

367

مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية

البراق عبد الهادي



المشروع القومي للترجمة

القلم الجريء

مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية

تأليف

إسرائيل شاحاق ولبرسنسر
ليفيا روكاش ألفريد ليلينثال
روجيه جاردى

ترجمة وتقديم

البراق عبد الهادى رضا



٢٠٠٣

المشروع القومي للترجمة إشراف : جابر عصفور

– العدد ٣٦٧

– القلم الجريء .

(مفكرون غربيون ويهود انتقدوا الصهيونية) .

– إسرائيل شاحاق ، ولبر سنسر ، ليفى روكاش ، ألفرد ليلينثال ، روجيه جارودى .

– البراق عبد الهادى رضا

– الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لعدة دراسات تتناول الفكر الصهيونى بالنقد والتحليل ، وهى :

- 1 - Shahak, Israel. Jewish History, Jewish Religion: The weight, of three thousand years. New york : Amazon, 1992.
- 2 - Sensor, wilbur. "Fraud of Zionism" http: ll codoh. دراسة موجودة فى الإنترنت، موقعها: com / Zionweb/
- 3 - Rokach, levia. Israel's Sacred Terrorism : A study based on moshe sharett's Diary, and other Documents. New york: Aaug press, 1986.
- 4 - Lilienthal, Al Fred. The Zionist Connection : What price? peace. New york; Amazon, 1983.
- 5 - Garaudy, Roger. Founding myths of Israeli politics.

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

| | |
|-----|--|
| 7 | - تقديم المترجم |
| 11 | - تمهيد (المترجم) |
| | أولاً : من "التاريخ العبرى - الديانة اليهودية ، تداعيات ثلاثة آلاف عام" |
| 17 | إسرائيل شاحاق |
| 19 | تمهيد |
| 21 | مقدمة جور فادال |
| 23 | الفصل الأول : جنة موصدة الأبواب |
| 33 | الفصل الثانى : التعصب والكذب |
| 43 | الفصل الثالث : العقيدة والتفسير |
| 53 | الفصل الرابع : تداعيات التاريخ |
| 67 | الفصل الخامس : قوانين ضد الأجانب |
| | الفصل السادس : النتائج السياسية. تداعيات ما حدث خلال |
| 83 | ثلاثة آلاف عام |
| 87 | ثانياً : "المخادعة الصهيونية.." ولبر سنسور |
| | ثالثاً : "الإرهاب الصهيونى المقدس : دراسة تعتمد على يوميات موسى |
| 101 | شارت، ومخطوطات أخرى" ليفيا روكاش |
| 103 | تمهيد |
| 105 | تقديم الكتاب لنعوم تشومسكى |
| 109 | مقدمة المؤلفة |
| 115 | يوميات شارُت |
| 117 | لماذا ذهب بن جوريون إلى سداح بوكرا. التنسك متاورة سياسى |

| | |
|-----|---|
| 118 | الانتقام للحرب السابقة |
| 122 | فرصة تاريخية لاحتلال جنوب سوريا |
| 126 | التخطيط لتقسيم لبنان على أسس طائفية |
| 129 | قصة حافلة الركاب |
| 134 | قضية لافون : الإرهاب للضغط على الغرب |
| 141 | تشتيت اللاجئين الفلسطينيين |
| 144 | السعى لإسقاط عبد الناصر |
| 153 | رابعاً : من كتاب "علاقات صهيونية: ما هو سعر السلام" ألفرد. م. ليلينثال. |
| 155 | تقديم المؤلف |
| 161 | من الجزء الثاني : التعقيم |
| 161 | الإرهاب وازدواجية المعايير |
| 183 | عن معاداة السامية |
| 193 | القصف والقذف |
| 207 | خامساً : " الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية" روجيه جارودي |
| 209 | تمهيد |
| 211 | مقدمة المؤلف |
| 218 | الأساطير الدينية : |
| 224 | أسطورة الشعب المختار |
| 233 | أساطير القرن العشرين : |
| 233 | أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية |
| 244 | أسطورة العدالة في نيويورك - برج |
| 273 | أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض |
| 285 | الاستغلال السياسي للأسطورة |
| 285 | مجموعات الضغط الاسرائيلية - الصهيونية في الولايات المتحدة . |
| 294 | مجموعات الضغط الاسرائيلية - الصهيونية في فرنسا |
| 300 | استنتاج |

تقديم المترجم

يقدم هذا الكتاب للقارئ العربي مختارات من أدبيات كتبها مؤلفون غربيون - غالبيتهم من اليهود - لانتقاد الفكر الصهيوني ، وكشف مخاطر استفحاله على يهود العالم ، وعلى الحضارة الإنسانية ذاتها ، والمؤلفات المختارة هي :

أولاً : كتاب التاريخ اليهودي - الديانة اليهودية : تداعيات ثلاثة آلاف عام الذي نشر باللغة الإنجليزية عام ١٩٩٤ لمؤلفه رئيس مجموعة حقوق الإنسان الإسرائيلية ، إسرائيل شاحاق ، الذي يتناول بالتحليل الديانة اليهودية ، وتاريخ اليهود ، مقدماً وجهة نظر جديدة بشأن أسباب معاناتهم من معاداة السامية خلال القرون الماضية ، ونقد مقذع لما يحدث في إسرائيل حالياً .

الدراسة الثانية ، وهي : الخداع الصهيوني بقلم وبار سنسور تذكر وتحلل الصفحات الأكثر سواداً من تاريخ الحركة الصهيونية حتى قيام الدولة العبرية .

الدراسة الثالثة ، وهي : كتاب إرهاب إسرائيل المقدس ، لليفيا روكاش ، تتناول مذكرات وزير خارجية إسرائيل ورئيس وزرائها الأسبق - موشى شاريت - بالتحليل ، موضحة الخلافات الحادة بين الحمايم والصقور في الحكومة الإسرائيلية ، كاشفة من خلال تحليل هذه اليوميات أن إسرائيل خططت منذ الخمسينيات لاحتلال قطاع غزة والضفة الغربية ، وسعت لإشعال نيران الطائفية البغيضة في لبنان ، وودت قلب نظام الحكم في أكثر من دولة عربية ، بل ومارست الإرهاب ضد الدول المجاورة لها بشكل منتظم ومدرّوس .

أما الدراسة الرابعة ، وهي : علاقات صهيونية : ما هو سعر السلام ؟ لألفرد م. ليلينثال ، فتتناول بالتحليل الإرهاب الصهيوني خلال مرحلة السبعينيات ، وخصوصاً سيطرة الصهاينة على الإعلام الغربي ، التي يسميها المؤلف " الإرهاب

الإعلامي " ، مدعياً أن التأكيد على وجهة نظر إسرائيل فحسب - على حساب وجهات النظر العربية - وتجاهل الإعلام الأمريكي لها أدى للمزيد من العنف في الشرق الأوسط .

أما الكتاب الأخير ، وهو الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية لروجيه جاردى فيحلل فلسفة الحركة الصهيونية وما نتج عنها من قتل وإرهاب ودمار خلال القرن الماضي ، وإن كان المؤلف - جاردى - غير يهودى ، فإن كتابه استمرارية لذات الفكر الداعى لإعادة تقييم الغرب لموقفه الداعم لإسرائيل التى ما زادت المعونات الغربية إلا تعنتاً فى عدوانيتها وعنصريتها .

من الواضح أن الأفكار التى نقدمها هنا تختلف بعض الشيء عن الأفكار الشائعة فى وسائل الإعلام العربية بشأن إسرائيل ، فالمفكرون الذين نترجم أعمالهم معنيون بتوضيح الفوارق بين عنصرية السياسات الصهيونية والقيم الروحية الموجودة فى الديانة اليهودية ، بل إن القارئ سيكتشف وجود ديارتين يهوديتين : الأولى تدعو لقيم إنسانية نبيلة ، ويمثلها فكر أنبياء اليهود المتأخرين ، والأخرى عنصرية مستقاة من أفكار تلمودية تحض على كراهية من ليسوا يهوداً والتعدى عليهم ، وهى بعض النصوص التى يعلمنا القرآن الكريم أنها محرفة، وعليها بنيت الحركة الصهيونية وسياسات وقوانين إسرائيل المعاصرة .

وقد قمت بترجمة هذه الأعمال - فى الواقع - حتى يتعرف القارئ العربى على رؤية المفكرين اليهود الذين انتقدوا الصهيونية فى الغرب ، وهى وجهة نظر جديدة : فبعبكس ما هو شائع ، يعتبر هؤلاء المؤلفون الصهيونية حركة إرهابية ، يتهمونها بالتطرف والعنصرية فى أفكارها الأساسية ، ويمحاولة استغلال الغرب لضمان بقاء وأمن إسرائيل . هناك أيضاً نقاشات بشأن قضية معاداة السامية ، وازديادها بسبب عدوانية إسرائيل وما تمارسه من عنف ضد الفلسطينيين .

وقد يتهمنا البعض بالتحيز نظراً لعدم إدراجنا لدراسات صهيونية فى هذا الكتاب. ولكن الواقع هو أن وجهات النظر الصهيونية شائعة تماماً ومعروفة فى جميع أرجاء العالم ، وأن ما نهدف له هنا هو التعبير عن وجهة النظر الأخرى والمكبوتة ، لمؤلفين تتهمهم الصهيونية بمعاداة السامية ، وبكراهية اليهود ، وإن كان جُلهم يهوداً .

والكثير من هذه النصوص غير متاح فى المكتبات الأوربية ، بعد أن رفع الصهاينة قضايا بمعاداة السامية ضد مؤلفيها ، وقد عثرت عليها فى خطوط الاتصالات الدولية ، الإنترنت ، فى مواقع يحض الصهاينة على مقاطعتها ، ويسعون لتدميرها ، وينتقدونها فى الإعلام الغربى كل يوم .

الكتاب فى خاتمة المطاف يسعى لتتوير القارئ العربى ، بحيث يدرك طبيعة الشخصية اليهودية وتاريخها ، وعلاقاتها المعقدة بالحركة الصهيونية حتى يكون قادراً على مناقشة أى يهودى أو داع للصهيونية على أساس معرفة مستفيضة بتاريخها وتاريخه ، ومخاوفها وهمومها . وربما يكون التفكير فى الفوارق بين اليهودية والصهيونية الخطوة الأولى فى سبيل التحرر من سلطة هذه الحركة العنصرية التى لا تزال قوتها الأساسية ودعمها يأتى من يهود الشتات الذين تستغلهم بقدر استطاعتها لتحقيق أغراضها التى لا ترتبط بالديانة اليهودية فى كثير أو قليل .

ومن الله التوفيق ،،

تمهيد (المترجم)

يحتوى هذا الكتاب تراجم لعدة دراسات غربية بشأن ما يسمى "الحل الصهيونى" للقضية اليهودية ، أى الهجرة إلى فلسطين من الشتات ، وكلها تؤكد أن أضرار هذا الحل كانت أكثر من منافعه ، كما أشرنا لذلك آنفاً .

والقضية اليهودية لم تتغير لثلاثة آلاف عام ، منذ بدء التشتت اليهودى بعد السبى البابلى فى عهد بختنصر ، وأساسها هو السؤال : هل يجدر باليهود البقاء بمعزل عن المجتمعات التى يحيون فى وسطها ، بلا تزواج أو تعامل أكثر مما هو ضرورى أو إجبارى مع من حولهم من غير اليهود أو الأغيار ؟ أو هل سيكون من الأفضل اندماجهم مع القوى البناءة النشطة فى تلك المجتمعات - على الأقل إلى درجة صياغة مصالح مشتركة ؟ والواقع هو أن الأقليات اليهودية بقيت منفصلة عن المجتمعات التى تعيش فى وسطها لقرون طويلة ، إما بسبب ضغوط الأحرار الذين أجبروا اليهودى على الانفصال عن الآخرين ، والبقاء وسط التجمع اليهودى المحيط به ، أو لأن قوانين المجتمع ذاته عادت اليهود ، فمنعتهم من التزاوج بالمسيحيين ، وفرضت عليهم العزلة. وقد بدأ الوضع فى التغير منذ القرن الثامن عشر ، مع ظهور الدولة المدنية ، التى طبقت ذات القوانين على الأغلبية والأقليات ؛ فبات اليهودى قادراً بشكل أفضل على الاندماج فى المجتمع الذى يعيش فى وسطه ، وما عاد يعمل فى ميدان التجارة والربا بالذات فحسب ، بل ظهر بين اليهود الفنانون والأدباء والعلماء والأطباء والصحفيون، واحترفوا منذ ذلك الحين مهناً متعددة ، وإن كرهوا يوماً الفلاحة ، أو الأعمال اليدوية .

والصهيونية فى الواقع حركة رجعية ؛ إذ طالبت - تماماً كما فعل الأحرار وأعداء السامية - بانعزال اليهود عن يعيشون فى وسطهم ، أى أنها أرادت العودة بالزمن إلى الوراء ، تحديداً إلى العصور الوسيطة ، حين أُجبر اليهودى على الانتماء لمجتمعه اليهودى ، وما أُتيحت له فرص الاختلاط بالمجموعات الأخرى . فى كتاب اليد الخفية ، يذكر د. عبد الوهاب المسيرى ، الأسباب التى استخدمها الصهاينة لإقناع اليهود بفكر الانعزالية:

ثمة خاصية ما فى اليهود ، ثمة خصوصية كامنة فيهم ، تجعل من العسير على المجتمعات الإنسانية دمجهم ، أو استيعابهم ، وتجعل من العسير عليهم الاندماج فيها. أعضاء الشعب اليهودى هذا لا يشعرون بالانتماء لأوطانهم ، إذ إنهم أينما وجدوا يحنون ويبينون لها وحدها أو لحكومتهم اليهودية بالولاء ، ومن ثم فاليهودى عادة يعانى من ازواج الولاء ولا يشعر بالاستقرار فى وطنه ، ونتيجة لهذا يصبح شخصية مريضة لا تخضع للقوانين الإنسانية العامة ، يقاوم الاندماج فى الأغيار ويقع ضحية فريدة لعنفهم (١) .

يعتبر الفكر الصهيونى أن اليهودى لا ينتمى للمجتمع الذى عاش فى وسطه لقرون، ويطالب اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، حتى يعيدوا خلق مجتمع خاص بهم يفترض أنه وجد فى يوم من الأيام . وهذا الفكر يعتبر غير اليهودى من " الأغيار " ، الأقل شأنًا فى الحياة . أما اليهودى الذى يود البقاء فى أوروبا أو أمريكا أو الشرق الأوسط ، ويتعامل مع من حوله من غير اليهود وتربطه بهم مشاعر الود والاحترام ، فهو "شخصية مريضة" ، ويسمى اليهودى "الذى يكره ذاته" .

والصهيونية كذلك تستخدم فكرة أن المجتمعات التى يعيش اليهود فى وسطها تكرهم وتكن لهم العداء ، وهى ما تسمى بـ " معاداة السامية " ، وإن كان من الأفضل تسميتها بمعاداة اليهودية . ومن أهم الأمثلة على هذه الفكرة قضية المحرقة النازية التى استخدمتها الصهيونية لتبرير نقل اليهود إلى فلسطين ، والتى ذكرها شامير فى خطابه فى مؤتمر مدريد فى ٢١-١٠-١٩٩١ ، والتى يحللها ويفندها المفكر المصرى سيد محمود القمنى :

عمد الخطاب مباشرة إلى الضغط على ضمير العالم ، منكرًا بمأساة الشعب اليهودى ، الذى لاقى صنوف الاضطهاد ، وأنه قد أن الأوان كى يصحو ضمير العالم ، ليرد لهذا الشعب أبسط الحقوق وهى الأمن ، بل ويطلب من اليهود الصنف والمفخرة

(١) مكتبة الأسرة ، مصر ، ١٢-١١-٢٠٠٠ .

(السنا علماً يدعى التحضر ٩) . ومن هنا أخذ يوجه حديثه إلى كل فرد في هذا العالم الخاطي ويقول : لقد تمت ملاحقة اليهود عبر التاريخ في كل القارات تقريباً .. وتعرض اليهود للاضطهاد والتعذيب والتبجح . وشهد هذا القرن خطة إبادة نفذت على أيدي النظام النازي ، وهذه الكارثة والإبادة الجماعية المنقطعة النظير ، والتي قضت على ثلث شعبنا ، تمت في واقع الأمر لأن أحداً لم يدافع عنا ، فقد كنا بلا وطن ، ولكن هذه الكارثة هي التي جطت المجتمع الدولي يعترف بمطالبنا ، القائمة على حقنا في أرض إسرائيل (١) .

يلاحظ سيد القمني في تحليله لهذا الخطاب أن " ضحايا اليهود " حسب هذا الفكر " قدموا أنفسهم قرباناً على مذبح قيام إسرائيل " ، والواقع هو أن اليهود عانوا الاضطهاد لأسباب عدة ، منها اختيارهم للعزلة ، أو فرضها عليهم لقرون طويلة ، مما أدى لانقضاخ النازية - التي ودت توحيد الأمة الألمانية - عليهم ، فقد كان اليهود قلة ذات قيم مخالفة لا تنتمي للجماعة ، سعى دعاة القومية الألمانية للتخلص منها عن طريق تهجيرها من أوروبا . وهناك أكثر من دراسة في هذا الكتاب توضح أن الصهاينة في ألمانيا تواطؤوا مع النازية ، واستخدموها ، نظراً لأن كلا الفكرين النازي والصهيوني ، ودا تهجير اليهود من ديارهم إلى وطن خاص بهم . وهكذا نلاحظ - مع الكثير من المؤلفين اليهود وغير اليهود - أن الصهيونية استفادت من معاداة السامية ، بل وسعت أحياناً لصناعتها ، لأن ازدياد الكراهية لليهود في مجتمع ، تجبرهم على الهجرة منه إلى فلسطين .

وفي فلسطين اضطرت الحركة الصهيونية لممارسة سياسات تتعارض تماماً مع الفلسفة التي دعا لها اليهود وحاربوا من أجلها لقرون ، فاليهود - نظراً لكونهم أقلية في أغلب المجتمعات التي يعيشون في وسطها - يدعون لقيم التسامح الديني مع الأقليات ، ويطالبون بأن لا يقيم المجتمع الفرد على أساس دينه أو تفكيره أو أصله العرقي ، بل حسب سلوكه فحسب . ولكن الحكومة الإسرائيلية تستخدم سياسات تفرق

(١) رب الزمان ودراسات أخرى . مديولى الصغير ، القاهرة ، ١٤-١٩٩٣ .

بين الناس حسب الدين الذى يؤمنون به ، فتعطى لليهود حقوقاً للعودة ، وامتلاك الأرض ، وتحرم بقية السكان الفلسطينيين من هذه الحقوق ذاتها . وهذه السياسات يبررها التعليم الذى يدافع عن التفرقة على أساس الدين والعرق ، ويؤدى - كما يلاحظ المؤلف المعروف - السيد يسين " إلى سيادة مشاعر مريضة إزاء أى نقد يوجه إلى الممارسة السياسية والاجتماعية فى المجتمع الإسرائيلى ، ونمو مشاعر الشك إزاء الغرباء ، والتعصب والتطرف الأيديولوجى " (١) .

التناقض الواضح بين فكر اليهود المتفتح فى الشتات ، وانغلاق الفكر الصهيونى ، يؤدى إلى انفصام الشخصية اليهودية بين مبادئ متناقضة ، وإلى انحطاط القيم الأخلاقية لليهود فى عصرنا ، وهكذا فقد اليهودى السلطة الأخلاقية التى أتاح له سابقاً الدعوة لما يؤمن به باسم دين سماوى . إذ تراه اليوم يدعو حيناً للتسامح ، وطوراً يدافع عن سياسات إسرائيل العنصرية وممارساتها الإرهابية ضد السكان العرب العزل . وهذا التناقض الواضح يزيد من حدة معاداة السامية .

ولهذا السبب يقول نقاد الحركة الصهيونية : إن نقل اليهود إلى مكان واحد قد يؤدى لأن تتحول الكراهية لليهود جميعاً إليه . أى أنها أكثر خطورة من بقائهم فى بلدان مختلفة . وهم ينتقدون الفكر الصهيونى كذلك لأن ممارسات إسرائيل القمعية ، واستخدامها للقوة ، وقوانينها العنصرية جميعها تؤدى لازدياد كراهية الشعوب المختلفة لليهود . فاليهودية مثل باقى الأديان ، لها قيمها الروحية ، وخصوصاً نصوص الأنبياء المتأخرين ، التى تنتقد النزعات المادية ، وتحث على الثراء الروحى للأفراد . وأورشليم فى الكتاب المقدس ليست مساحة جغرافية ، بقدر ما هى موقع رمزى تقترب فيه روح الفرد من الرب وتسمو على الشهوات الدنيوية . لكن الصهيونية تتجاهل هذه القضايا جمعاء ، وتفسر الديانة اليهودية بمعيار حرفى ، مؤكدة على أهمية عودة اليهود إلى أرض بعينها . وتحويلها إلى جيتو يهودى ، عن طريق طرد سكانها منها .

(١) تشريع العقل الإسرائيلى ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٠-٢٠٠١ .

الكثير من المؤلفين الموجودة أعمالهم في هذا الكتاب ، مثل : ولبر سنسر وإسرائيل شاحاق ، ينتقدون عنصرية الحركة الصهيونية . أما ليفيا روكاش وألفرد ليلينثال فيدرسان الإرهاب والقمع الذى تمارسه هذه الحركة فى إسرائيل والولايات المتحدة . كتاب روجيه جارودى يتناول جميع هذه المواضيع ، وإن كان أهم ما فيه تحليله العميق لقضية تواطؤ الصهاينة مع هتلر ، واستخدامهم اللاحق لقضية معاناة اليهود فى ألمانيا النازية من أجل ابتزاز العالم الغربى .

قد يتصور القارئ أن الحضارة الغربية قد تقبلت النصوص المترجمة فى هذا الكتاب كما تقبلت غيرها من النصوص من قبل . والواقع يخالف ذلك تماماً . فمن يتجراً على نشر كتاب ينتقد سياسات إسرائيل فى الغرب يواجه الكثير من القذف ، مثل الاتهام بمعاداة السامية ، الذى يعنى فرض الحظر عليه وعدم نشر كتبه وفصله من عمله ، وربما اغتياله . ألفرد ليلينثال يصف معاناته فى أحد الفصول التى نترجمها من كتابه . أحياناً كثيرة ألغيت محاضراته فى آخر لحظة ، بسبب ضغوط اللوبي الصهيونى على المؤسسات التى دعتة للتحدث ، وإن تحدث تعرض للمقاطعة ، وتلقى أكثر من تهديد بالقتل . ورفعت عليه أكثر من قضية . أما روجيه جارودى ، فقد تابع الإعلام المصرى مؤخراً ما حل به ، والقضايا التى رفعت ضده فى فرنسا لأنه انتقد إسرائيل فى كتابه عن الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية . إنها إذاً كتابات دفع ثمنها لحماً ودماً .

وإن كان هناك تشابه بين أفكار هؤلاء الباحثين وبعض الرؤى العربية للشأن الإسرائيلى ، إلا أننا نرجو ألا يتقبل القارئ كل ما ذكره المؤلفون هنا على علته . وقد لاحظ أستاذنا الكبير د. حسين مؤنس ، فى دراسته القيمة « كيف نفهم اليهود » ، وجود " مبالغات ومغالطات جسيمة لا يخلو منها أى نص يكتبه اليهود عن أنفسهم " (١) وسبب هذا الوضع هو أن الاضطهاد الذى واجهه اليهود فى أوروبا لقرون نتج عنه شعور بالدونية تحول فى عصرنا إلى نزعة استعلاء وشعور بالعظمة . قد يجد القارئ فى هذه النصوص بعض السعى لتمجيد الذات ، وشيئاً من الأنانية ، وبقايا من عدم تقبل الآخرين ، الذين يسمونهم " الأغيار " ، وغيرها من أخطاء الفكر اليهودى . أحياناً ،

(١) دار الرشاد : القاهرة ، ص. ٨٣ .

حين بلغ السيل الزبى ، قررنا التدخل فى هامش أو حاشية لتوضيح مغالطات من ترجمنا أقوالهم . ولكنا غالباً فضلنا أن نترك حرية التقييم للقارئ الحصيف الذى سيدرك الغث من الثمين . وإن كنا بشكل عام تؤيد المؤلفين فى غالب ما نكروه من نقد لسياسات إسرائيل الداخلية ، أو عدوانيتها تجاه الدول المحيطة بها . وخصوصاً لأن ما يذكرونه موثق ، إذ يخشون مقبة الحديث بهذا الشأن بدون توثيق ، خوفاً من الاتهامات التى ستلحق بهم نتيجة لذلك .

أما أهم ما أود توضيحه فى هذا الكتاب ، فهو أنه من الخطأ الخط بين اليهودية والحركة الصهيونية . فاليهودية ديانة قديمة ، تعيش الآن قرنها الثلاثين . أما الصهيونية ، فعبارة عن حركة قومية متطرفة لم تبدأ بتحقيق طموحاتها قبل عام ١٩٤٨ ، أى أن عمرها لم يبلغ ، حتى الساعة ، القرن الواحد . هكذا يوجد بين اليهود من تجرأ وعارض الصهاينة فى كتاباته وعانى من جراء ذلك الأمرين . والغالبية يخشون مقبة الحديث بهذا الشأن ، وإن اختلفت آراؤهم مع الصهاينة .

أما الحل الذى يقدمه جميع مؤلفى هذا الكتاب للقضية اليهودية فهو أن يندمج اليهود بشكل أفضل فى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، وألا يحتاجوا للهجرة والحياة فى جيتو كبير - إسرائيل - حيث تسود قيم العنصرية والعنف فى التعامل مع من ينتمون لأى عنصر آخر . وفى إسرائيل ذاتها ، لابد من صناعة قوانين أكثر إنسانية ، والسماح لمن هجروا بالعودة إلى ديارهم .

وعسى الله أن يهدى اليهود ، فيتعلموا الحياة مع من حولهم من سكان العالم بسلام ، كما عاشت الأقليات اليهودية فى وسط المجتمعات الإسلامية بأمان لأربعة عشر قرناً .

ومن الله التوفيق .

**أولاً : من ” التاريخ العبرى - الديانة اليهودية ، تداعيات
ثلاثة آلاف عام ”**

إسرائيل شاحاق

تمهيد

أثارت المحاضرات التي ألقاها د. إسرائيل شاحاق (١) في الولايات المتحدة في يونيو ١٩٦٩ ضجة كبيرة ، وأقلقّت من تشبعوا بالصورة المثالية عن المجتمع الإسرائيلي التي يبثها الإعلام الأمريكي . وقد قيل عنه آنذاك إنه يهودى " يكره الذات " ، وإنه " خان اليهودية إذ تحدث بشأن اليهود مع غير اليهود . " ولكنه بقى يوماً يؤكد على ضرورة تطابق أقوال سياسيّ إسرائيل للعالم مع أفعالهم ، وأن تبنت إسرائيل دولة يعيش فيها الناس من جميع الأديان والأجناس متمتعين بحقوق المساواة .

وهذا المفكر البولونى الأصل ولد فى وارسو فى ٢٨ أبريل ، عام ١٩٢٢ لأسرة تنتمى للطبقة المتوسطة . وأهم أحداث أعوام طفولته الباكورة إرسال النازيين له ولوالديه إلى معسكر بلسن حيث عانى الأمرين من الجوع والإرهاك النفسى والجسدى . ومن مشاهدة الجثث حوله كل يوم ، ومنها جثة والده الذى توفى فى المعتقل . كما أسقطت طائرة أخيه ، وتوفاه الأجل أيضاً خلال الحرب . وقد سافر إسرائيل شاحاق مع والدته إلى الدولة العبرية وعاشا فيها منذ قيامها عام ١٩٤٨ .

وقد أذهلته مقولة بن جوريون ، الذى عده مثلاً اقتدى به ، إذ قال أمام الكنيست : " إن إسرائيل بدأت حرب ٥٦ لا للدفاع عن النفس بل لتأسيس أجزاء من مملكة سليمان " . ومنذ ذلك الحين انتقد ما شاهد فى إسرائيل من عنصرية ضد العرب . فى الستينيات انتقد شاحاق سياسات إسرائيل ، خصوصاً بعد احتلالها للضفة الغربية وغزة ، واضطهادها للشعب الفلسطينى . وفى عام ١٩٧٠ تم انتخابه رئيساً للجنة حقوق الإنسان التى تكونت منذ عام ١٩٢٧ لتشجيع الإضراب عن الطعام فى السجون التى

Jewish History, Jewish religion. The Weight of Three Thousand Years. By (١)
Israel Shahak. New York : Amazon Press, 1992

أدارتها السلطات البريطانية آنذاك . وكانت أهم مطالبه إيقاف التعذيب فى السجون ،
والمساواة بين المواطنين فى التعامل .

وكتابه " التاريخ اليهودى " من أوائل الكتب التى كتبها يهودى إسرائيلى تنتقد
إسرائيل ، باللغة الإنجليزية ، بحيث يتاح للعالم الاطلاع عليه . والمؤلف يلاحظ أن
الكثير من السياسات العنصرية للدولة العبرية تنتج عن قواعد تحت على كراهية
الأجانب موجودة فى التلمود ذاته ، ولذلك يؤكد على ضرورة وضع هذا النص المقدس
لدى اليهود فى سياقه التاريخى ، بحيث يتم تفسيره بطريقة مخالفة لتلك المتبعة حالياً .
وهو يطالب برؤية نقدية للتاريخ اليهودى والمجتمع الإسرائيلى ، حتى يصبح أكثر
إنسانية وأقل عنصرية مما هو عليه الآن . وهذه الدراسة بالفعل من أهم الدراسات
الحديثة للتاريخ اليهودى بعد التشتت ، إذ تتناول المراحل المختلفة من هذا التاريخ ،
وتوضح أسباب ظهور معاداة السامية ، وعلاقتها بالحركة الصهيونية المعاصرة . وهى
تذكر أيضاً المواضيع الأساسية التى تهم المختص بالإسرائيليات ، بطريقة بسيطة
واضحة .

مقدمة جور فادال

يقول المؤرخون إن الرفاق تخلوا عن الرئيس الأمريكى ، هارى ترومان ، حين دخل ميدان التنافس على الرئاسة عام ١٩٤٨ . ثم قدم له أحد الصهاينة مليوناً دولار فى حقيبة وهو على متن قطار أقله إلى محافظة ليخطب بها فى الناس . ولذلك اعترفت أميركا بإسرائيل بسرعة . وهذه القصة مجرد طرفة أخرى يقصها الناس عن فساد السياسة الأمريكية .

ومن المؤسف أن ما نتج عن الاعتراف السريع بإسرائيل كان فوضى ودمار . ما أراده الكثير من الصهاينة الأوائل ، أى دولة يعيش فى ظلالها المسلم واليهودى والمسيحى ، ووطن مستقبلى لليهود الأوروبيين والأمريكيين المسالمين ، وحتى أولئك الذين آمنوا بأن الرب قد وهب لهم هذه الأرض ، لم يتحقق . وبما أن عدداً كبيراً من المهاجرين دعوا علناً للاشتراكية فى أوروبا ، فقد اعتقدنا أنهم سيعارضون تحول مؤسسات الدولة إلى الشيوعية ، أى الدولة الدينية ، وأنه سيتاح للفلسطينيين الحياة معهم بمساواة . ولكن ذلك لم يحدث . ولن أكرر الآن قصة الحروب والمعاناة التى مرت بها تلك المنطقة الحزينة ، ولكنى أشعر بأن ميلاد إسرائيل السريع سمم الأجواء السياسية والثقافية فى الولايات المتحدة ، الحليف غير المتوقع لإسرائيل .

غير المتوقع ، نظراً لعدم وجود أى أقلية أخرى فى التاريخ الأمريكى امتصت أموال دافعى الضرائب لاستثمارها فى وطن أم . لو كان دافع الضرائب سيضطر لدفع المال للبابا من أجل تحقيق طموح كاثوليكي لاستعادة أملاك الكنيسة لأن ثلث السكان كاثوليك ، لقامت الدنيا وما قعدت . ولكن أقلية دينية لا يزيد عددها عن ٢ ٪ أخافت أو اشتريت 70 شيخاً فى مجلس الشيوخ (وهو العدد الضرورى للموافقة على أى قانون ، حتى إن احتج عليه رئيس الدولة) ووجدت من يدافع عنها فى وسائل الإعلام .

وأنا بالفعل أحترم نشاطات جماعة الضغط اليهودية التي نجحت فى ضخ بلايين الدولارات ، عاماً بعد عام ، من أجل تحويل إسرائيل لقلعة حصينة ضد الشيوعية ، على الرغم من أنه لم يكن للشيوعية وجود قوى أساساً فى منطقة الشرق الأوسط . ما نجحت أمريكا فى إنجازه هو تحويل العالم العربى الذى كان صديقاً سابقاً إلى عدو . وفى الوقت ذاته ، قدم الإعلام الأمريكى معلومات مشوهة عما يحدث فى الشرق الأوسط ، حتى بات من ضحاياها ، لا دافع الضرائب الأمريكى فحسب ، بل اليهود الأمريكان الذين خافوا أن تتحقق ادعاءات بيجن وشارون . بل إن يهود أمريكا تركوا اليسار ، حليفهم التقليدى ، وربطوا أنفسهم باليمين المسيحى المتطرف والآلة العسكرية الأمريكية . وقد كتب يهودى أمريكى أن اليهود وجدوا " حين جاءوا إلى أمريكا آراء اليسار أقرب لفكرهم ، ولكنهم تغيروا الآن ، لأن الحياة تتطلب من الفرد المرونة ، ولا داعى للتمسك ، بجمود وتصلب ، بآراء أكل عليها الدهر وشرب . أما من انتقدوا هذا التحول ، فيعتبرون " أعداء السامية " أو " اليهودى الذى تعلم كراهية الذات " .

من حسن الحظ أن يبقى صوت العقل حياً ، حتى داخل إسرائيل ذاتها . ففى القدس، يحلل الأستاذ إسرائيل شاحاق السياسات الإسرائيلية القائمة ، بل والتمود ذاته ، وتأثير التراث العبرى على نولة صغيرة يود الأحبار تحويلها إلى وطن لدين واحد فقط . وإسرائيل شاحاق كاتب حصيف حساس للتناقضات الموجودة فى الدين والسياسة ، وهو يوماً كاتب مثقف قراءته ممتعة .

بالطبع ، تأسف السلطات الإسرائيلية لكتابات شاحاق . ولكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا لأستاذ كيمياء متقاعد ولد فى وارسو عام ١٩٢٢ ، وقضى أعوام طفولته فى سجون النازية ؟ عام ١٩٤٥ ، جاء إلى إسرائيل ، وخدم فى الجيش ، ولم ينتم للماركسية حين شاع ذلك . فقد كان ، ولا يزال ، إنسانياً يبغض التسلط باسم عقيدة على غيرها من العقائد . وهو كذلك يواجه بفطنة وحصافة التطرف الفكرى ، والاتجاهات الأصولية فى إسرائيل . وهو يرسم فى هذا الكتاب صورة للحاضر والماضى وراءه ، ويبقى داعياً للعقل ، مع مرور الأعوام . أولئك الذين يستمعون لآرائه سيصبحون أكثر حكمة . إنه مثل أنبياء إسرائيل القدماء ، يندبون الوضع السيئ لشعبهم ، ويحاولون دفعه إلى الأمام .

الفصل الأول

جنة موصدة الأبواب

أكتب هذا الكتاب باللغة الإنجليزية لأفراد يعيشون خارج إسرائيل ، وإن كان في الواقع استمرارية لنشاطاتي كيهودي إسرائيلي . وهذه النشاطات بدأت باحتجاج عام ١٩٦٥ - ١٩٦٦ أدى لفضيحة آنذاك . فقد شاهدت يهودياً متديناً يرفض يوم السبت السماح باستخدام تليفونه لاستدعاء عربة إسعاف نقل فلسطينياً انهار في المنطقة اليهودية . طلبت اجتماعاً للأخبار الذين رشحتهم الحكومة ، وسألتهم إن كان هذا السلوك يتلاءم مع معتقدات الديانة اليهودية . قالوا لي إن سلوك الرجل كان سليماً تماماً ، وأكدوا على صحة أقوالهم بالاستشهاد بنصوص قوانين التلمود ، التي اعتمدتها الحكومة في عصرنا . وقد نشرت القصة في الجريدة الإسرائيلية اليومية ، هآرتز ، وأثارت ضجة إعلامية كبيرة .

لم تكن نتيجة الجدل إيجابية . فالسلطات الدينية أكدت قوانينها ، وألحت على أنه لا يحق لليهودي كسر إجازة السبت من أجل إنقاذ حياة غير اليهودي . ثم أضافوا ، إن كسر استراحة السبت مباح فقط لإنقاذ حياة اليهود . وهكذا أدركت استحالة فهم طبيعة العلاقات بين اليهود وغير اليهود بدون دراسة مفصلة لتأثير قوانين التلمود على السياسات المعاصرة ، وخصوصاً القوانين التي التزمت بها إسرائيل بعد حرب الأيام الستة ، التي خلقت النزعة العنصرية في الأراضي المحتلة ، وأراء أغلب الإسرائيليين بشأن حقوق الفلسطينيين .

حين أقدم هذه الفكرة لا أتجاهل الدوافع السياسية التي تؤثر على صناع القرار . أقول إن السياسات الموجودة حالياً عبارة عن ربط بين الواقع (جيداً كان أو سيئاً)

والعقيدة الدينية . وهذه العقيدة تكون أقوى وأكثر تأثيراً كلما قل الحديث عنها . جميع أنواع العنصرية ، وكراهية الأقليات ، تزداد سوءاً إن لم يتناولها الناس بالدراسة والنقد ، بل تقبلوها على علاتها . وهذا الوضع يتم تكريسها حين يمنع الحوار . وما الفرق بين بغض اليهود للعرب ، وعنصريتهم وتحاملهم عليهم ، ومعاداة أعداء اليهود لهم ، المسماة بمعاداة السامية ؟ والآن ، وعلى كل حال ، بينما يناقش الناس أوضاع معاداة السامية ، تراهم يتجاهلون أوضاع التفرقة العنصرية في إسرائيل ضد العرب .

إن لم تدرس عواطف اليهود تجاه من ليسوا يهوداً ، لا يمكن فهم فكرة إسرائيل " الدولة اليهودية " . التصور الخاطئ أن إسرائيل ديمقراطية ينبع من تجاهل معنى " دولة يهودية " لمن ليسوا يهوداً من المواطنين . أعتقد أن إسرائيل الدولة اليهودية تشكل خطراً على سكانها ، وعلى جميع اليهود في الشتات ، وعلى سكان الشرق الأوسط . وأنا كذلك أؤمن بأن الدول المجاورة إن سادت بها نزعات وطنية أو دينية متطرفة ستصبح خطرة كذلك . ولكن إن عرف الناس الخطر العربي على إسرائيل ، فإن مخاطر الشخصية الإسرائيلية على جيرانها تبقى خفية .

كان مبدأ أن إسرائيل دولة يهودية أساساً لجميع سياساتها منذ تكونها . وحين بدأت أقلية من المفكرين بالتساؤل بهذا الشأن في أوائل الثمانينيات ، تم تقديم قانون دستوري - لا يمكن إلغاؤه إلا بصعوبة بالغة - يؤكد هذا المبدأ ، واجتاز الكنيست بأغلبية كبيرة عام ١٩٨٥ . وحسب هذا القانون ، لا يسمح لأي حزب يعارض مبدأ الدولة اليهودية بالمشاركة في انتخابات الكنيست . وأنا ممن يعارضون هذا المبدأ الدستوري . وهكذا لا يحق لي الانتماء في دولة - أنا من مواطنيها - لأي حزب يشاركني أفكارى ويستطيع تمثيلى في الكنيست . وهذا المثال يوضح أن إسرائيل ليست ديمقراطية لأنها تطبق قوانين صارمة ضد من ليسوا يهوداً ، أو يهوداً يؤمنون بآراء مخالفة . ولكن خطر هذه العقيدة يتجاوز حدود إسرائيل ، ويؤثر على علاقاتها بالدول المجاورة . وهذا الخطر سيكبر ، إذا ما بقيت إسرائيل دولة يهودية في قوانينها ، مسلحة بالصواريخ النووية . ومن الواضح كذلك أن إسرائيل تؤثر على النظام السياسى الأمريكى . ولذلك ، فمعرفة معلومات دقيقة عن اليهودية ، وخصوصاً عن معاملة من هم من غير اليهود في إسرائيل ، ليست مفيدة فحسب ، بل ضرورية كذلك .

تعريف إسرائيل الرسمي لليهودى يوضح الفارق بين هذه الدولة وغيرها من دول العالم . فحسب هذا التعريف ، تنتمى إسرائيل لليهود ، بغض النظر عن موقع إقامتهم ، ولهم فحسب . الدولة لا تنتمى رسمياً لمواطنيها من غير اليهود ، الذين يعتبرون أقل شأنًا . هذا يعنى أن من يعتبر يهودياً فى بيرو يحق له المجئ إلى إسرائيل والاستفادة من مساحات شاسعة من الضفة الغربية ، و ٩٢٪ من إسرائيل ٤٨ ، فهذه الأراضي مخصصة لليهود فحسب . لا يحق لغير اليهود استغلالها . قصة سكان بيرو الذين تهودوا معروفة . فحين جاءوا تم توطيئهم فى الضفة الغربية ، بجوار نابلس ، على أرض تم تهويدها ، أى منع غير اليهود من الإقامة فيها . الحكومات الإسرائيلية تتحمل مخاطر كثيرة ، منها إمكانيات الحروب ، حتى تبقى هذه المستوطنات يهودية ، لا إسرائيلية كما تدعى وسائل الإعلام .

ألا يعتبر يهود الولايات المتحدة أو بريطانيا تحول هاتين الدولتين إلى " دول مسيحية " ينتمى لها المسيحيون فقط ، نوعاً من معاداة السامية ؟ مثل هذه الفكرة تعنى أن اليهودى سيصبح مواطناً فقط إن تحول للمسيحية . بل إن اليهود عرفوا فوائد تغيير الدين طوال تاريخهم . حين فرقت الدول بين مواطنيها ، مثل اليهود ، بسبب ديانتهم ، وقد انتهت التفرقة حين تحولوا إلى الدين الشائع . وكذلك ، سيتم معاملة غير اليهودى على قدم المساواة ساعة تحوله إلى الديانة اليهودية فى إسرائيل . وهذا المثال يوضح أن اليهود الذين اشتكوا من معاداة السامية يمارسون ذات العنصرية فى بلادهم . أما من يعارض هذه العنصرية فى إسرائيل ، فإنهم يعتبرونه يهودى كارهاً للذات ، وهى فكرة لا أفهم معناها .

معنى كلمة يهودى إذاً بات فى سياق السياسات الإسرائيلية موازياً لكلمة شيعى فى الاتحاد السوفيتى السابق . أما القانون الرسمى ، فيؤكد أن من له أم أو جدة يهودية فهو يهودى ، أو إن تحول الفرد لليهودية ، أو لم يتحول من اليهودية لديانة أخرى . التعريف الأول يعتمد على التلمود . أما تحول الفرد من دين آخر إلى اليهودية ، فيتطلب حضور بعض الأحيار .. وفى أحوال النساء ، أن تراقب الفتاة عارية وهى " تستحم للتطهر " وهو طقس معروف فى إسرائيل ، وإن جهله من قد يهمله أمره خارجها . أتمنى أن ينجح هذا الكتاب فى توضيح حقيقة الأوضاع الحالية ، وربما يقدم الأمل فى تغييرها .

هناك جوانب أخرى للتفرقة بين اليهودي ، وغير اليهودي . فدولة إسرائيل تفرق بين اليهود وغيرهم في مجالات الحياة المختلفة ، التي أعتبر ثلاثاً منها الأكثر أهمية . وهي حق السكن ، والعمل ، والمساواة أمام القانون . التفرقة في السكن واضحة لأن الأراضي التي تملكها الدولة تقدم لليهود حسب القانون الذي يحرم من ليس يهودياً من السكن ، أو فتح موقع عمل ، على هذه الأراضي . أما اليهود ، فيحق لهم البناء والسكن في أي مكان يودونه في إسرائيل . وإن تم تطبيق قانون كهذا في أي دولة أخرى ضد اليهود ، لاعتبر القانون معادياً للسامية وأدى للاحتجاج والمظاهرات . أما في إسرائيل ، فيتم تجاهل الوضع ولا يذكر إلا نادراً .

حرمان الناس من حق العمل يعني أن المواطنين يمنعون بقوة القانون من العمل على أرض قدمتها الحكومة لليهود . وإن لم يتم تطبيق هذه القوانين إلا أنها موجودة . وقد حاولت الحكومة أحياناً فرضها : مثلاً حين قامت وزارة الزراعة بمحاولات للسيطرة على نظام سمح لعرب إسرائيل بالعمل في حصاد الفواكه الإسرائيلية . الحكومة الإسرائيلية أيضاً لا تسمح لمن يسكن أراضي إسرائيل بتأجيرها للعرب ، ومن يفعل ذلك يدفع غرامات باهظة . وهذا يعني أنني أستطيع استئجار أرض من يهودي آخر ، لزراعتها وحصادها ، ولكن من ليس يهودياً لا يملك الحق .

ليس لمواطني إسرائيل من غير اليهود حق المساواة أمام القانون . ففي أحوال العودة ، لا يحق سوى لليهودي العودة والإقامة في إسرائيل . هو يملك جنسية إسرائيلية فور عودته ، وعوائد اقتصادية تختلف حسب الدولة التي هاجر منها . يُقدم لليهودي المهاجر من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق حوالي ٢٠٠٠ دولار أمريكي للأسرة . ولكل يهودي فور عودته حق الانتخاب وترشيح نفسه للوصول إلى الكنيست ، حتى إن جهل اللغة العبرية . والكثير من القوانين لا تذكر كلمة يهودي ، بل تستبدلها بكلمة "من يحق له العودة" ، وتستبدل بكلمة "غير يهودي" من لا يحق له العودة .

أسلوب تطبيق هذا النظام هو بطاقة الهوية التي يفرض على الجميع الاحتفاظ بها طوال الوقت . وبطاقة الهوية تذكر جنسية الفرد ، الذي قد يكون يهودياً ، عربياً ، درزياً ، إلخ ، مع استثناء كلمة إسرائيلي . كل محاولات تغيير نظام بطاقات الهويات بحيث تحوي كلمة "إسرائيلي" التي تشمل جميع المواطنين فشلت . وهناك رسالة رسمية

تنص على وجود قرار بعدم الاعتراف "بالجنسية الإسرائيلية في الهويات الشخصية" تُقدم لكل من يتساعل . والرسالة لا تذكر من الذى اتخذ القرار .

هناك قوانين كثيرة تفرق بين من "يحق له العودة" ومن يحرم منها . فمثلاً ، يقدم للمواطنين الذين تركوا إسرائيل وعابوا لها حسب قوانين العودة معونات مالية لدراسة أبنائهم ، وحق الاقتراض لشراء سكن ، وغيرها . أما من لا يملك حق العودة ، فليس له أى من هذه الامتيازات . أما هدف هذه القوانين ، فهو تقليص عدد سكان الدولة من غير اليهود حتى تصبح يهودية تماماً .

عقيدة الأرض المخلصة :

هدف تقليص أعداد من هم غير يهود يبدو واضحاً في عقيدة " الأرض المخلصة " التى يتم تعليمها للأطفال . حسب هذه العقيدة ، " الأرض المخلصة هي تلك التى ذهبت من ملكية غير اليهود إلى ملكية يهودية . " وهذه الملكية قد تكون للدولة ، أو لأفراد بعينهم . أما الأرض التى لا يملكها يهودى ، فلا تعد مخلصة . إن اشترى يهودى ارتكب الموبقات والجرائم أرضاً من غير يهودى يلتزم بالقانون ، لاعتبرت أرضاً مخلصة . أما إن اشترى غير اليهودى الذى يحترم القانون أرضاً من أسوأ اليهود ، فإن الأرض الطاهرة المخلصة سابقاً تصبح مدنسة . وهكذا ، فإن الجنة الموعودة ، حسب منطق العقيدة الإسرائيلية ، هي أراض مخلصة لا يملكها سوى اليهود . وزعماء حزب العمال وضعوا هذه القاعدة البشعة في خطبهم . يذكر " والتر ليكور " في كتابه - تاريخ الصهيونية - أن أحد القواد الروحيين ، أ.د. جوردن ، الذى توفاه الأجل عام 1919 " رفض فكرة العنف إلا في أحوال الدفاع عن النفس . ومع ذلك ، سعى لأن تزرع يد يهودية كل شجرة . " وهذا يعنى أنهم أرادوا ترحيل الآخرين حتى يملك اليهود الأرض . اللاحقون بجوردين أضافوا العنف ، وبقي مبدأ تخليص الأرض .

وبذات الطريقة ، رفضت المستوطنات الزراعية الاشتراكية وجود العرب بين أفرادها ، وحتى إن سكنها علمانيو اليهود . بل وطالبت بتحول جميع ساكنيها إلى اليهودية . ولذلك فإن سكان هذه المزارع الاشتراكية - الكيبوتز - من أكثر سكان المجتمع الإسرائيلي تعصباً . وهذه العقيدة التى ترفض كل دين آخر هي سبب

الاستيلاء على الأراضي ، أى سياسة " تهويد الأرض " ، التى تشجع اليهود على الاستقرار فى منطقة بعينها عن طريق تقديم المعونات الاقتصادية لهم . أتساءل كيف سيكون رد فعل اليهود إن سمعوا بخطة لتصير الأحياء اليهودية فى نيويورك؟! أما فى إسرائيل ، فالشرطة ومؤسسات أخرى تدفع الكثير لتحرير أى أرض يريد غير اليهود بيعها ، ومنع أى يهودى من بيع أرضه لغير اليهودى عن طريق تقديم سعر أعلى .

سياسة التوسع :

الخطر الأساسى الذى تمثله إسرائيل لجيرانها هو سياسة السعى نحو التوسع ، التى أدت لحروب كثيرة . وكلما باتت إسرائيل أكثر تهوداً (وهو نشاط مرحلى بدأ منذ ١٩٦٧) ازدادت العقائد قوة وتطرفاً ، وقلت قدرة العقل على التحكم فى السياسة الخارجية . ولا أعنى هنا بالعقل التقييم الأخلاقى لسياسات إسرائيل ، ولا احتياجات الدفاع المزعومة ، بل السياسات التوسعية المبنية على المصالح . إنتى أعتبر تطبيق أى سياسة تستند إلى أفكار التهويد شراً . أما الدفاع الذى تقدمه الدولة عن سياساتها فهو "العقائد الدينية لليهود" ، أو "حقوقهم التاريخية التى تستند إلى تلك العقائد" .

تحولى الباكر من الإعجاب بين جوريون إلى عداوته بدأ مع هذه المسألة . ففى عام ١٩٥٦ ، وافقت مع بن جوريون على الأسباب التى ذكرها لدخول إسرائيل حرب السويس ، حتى قال (وهو مدعى العلمانية) فى الكنيست فى اليوم الثالث بعد بدء الحرب : إن السبب الحقيقى هو استرجاع الحدود التاريخية لمملكة سليمان . وحين استمع أعضاء الكنيست لقوله ، صفقوا طويلاً ونهضوا ليردوا معاً النشيد الوطنى . وحسب حدود معرفتى ، لم ينتقد أى سياسى إسرائيلى فكرة بن جوريون هذه التى تدعى بأن حدود إسرائيل يجب أن تعتمد على الحدود القديمة المذكورة فى التوراة . بل إن الاطلاع على سياسات إسرائيل الخارجية ، خصوصاً النصوص العبرية ، يوضح أن العقيدة اليهودية ، أكثر من أى عامل آخر ، هى التى تحدد السياسات الإسرائيلية . ومن لا يفهم الديانة اليهودية لا يدرك أسباب هذه السياسات .

دعنى أقدم مثلاً حديثاً عن الفوارق بين السياسة العلمانية التوسعية ، والعقائد الدينية التى تدعو لضم أى أرض وعد الرب بها اليهود ، سواء فى التوراة أو - وهو

الأهم - تفسيرات التلمود ، إلى إسرائيل لأنها الدولة اليهودية . وبلا شك ، فإن الحمائم يتصورون أن هذا الإنجاز يجب أن يؤجل إلى وقت أفضل ، حين تصبح إسرائيل أكثر قوة ، عن طريق إقناع العرب ببيع الأرض مقابل مبالغ أو معونات تقدمها الدولة اليهودية .

وقد قدم الأخبار عدة نسخ من خريطة إسرائيل التوراتية . وبعضها شملت سيناء وأجزاء من مصر ، حتى ضواحي القاهرة ، الأردن ، وأجزاء من السعودية والعراق ، ولبنان وسوريا . وطالب بعض الأخبار باحتلال هذه الأرض . بل إن بعضهم ادعى أن رفض إسرائيل لإعلان الجهاد ، وإعادة سيناء لمصر ، جرائم سيعاقب الرب عليها الدولة العبرية . مثلاً : الحبر يوف ليور ادعى أن فشل إسرائيل في لبنان كان عقوبة ربانية لإعادتها أراضي سيناء وطابا إلى مصر . ولا أحد يعترض على فكرة هذه الحدود المطاطية في إسرائيل ، وإن لم تعلن الحرب لأسباب عملية منها كثرة الضحايا . اقترح أرييل شارون في مؤتمر حزب الليكود أنه يجدر بإسرائيل اعتبار الحدود التوراتية جزءاً من سياساتها الرسمية . والمشكلة ليست العقيدة ذاتها ، ولكن رفض السماح بالنقاش ، مما أدى لزيادة حدة التطرف . لم يسأل أحد شارون عن الحدود التوراتية التي يدعو لها . الاحتجاجات كانت مبنية على أساس الاستحالة العملية .

ولكن لإسرائيل أيضاً مخطط علماني ، لا يستند إلى العقيدة ، بل إلى مبادئ عملية . الجنرال شلومو جازيت ، وهو قائد سابق للمخابرات العسكرية ، يشرح بوضوح هذا المخطط إذ يقول : إن هدف إسرائيل هو الدفاع عن مصالح الغرب في منطقة الشرق الأوسط . وإن كان هناك نفاق ظاهر في هذه الفلسفة ، فالنفاق هو ضريبة يدفعها الأشرار للفضيلة . أما الدعوة للتوسع فهي وسيلة لتفادي دفع هذه الضريبة .

وإن كنت أعارض هذه الأهداف التي لا ترتبط بالعقيدة اليهودية ، فأحذر أن سياسات بن جوريون وشارون قد تكون أكثر خطورة . الخطر ينتج عن كلا السياستين : التوسعية ، أو تلك التي تسعى للتدخل لتأمين مصالح الغرب في المنطقة . وفي كلتا الحالتين ، تعتمد السياسة على رؤية اليهود التاريخية الدينية لغير اليهود ، وهو موضوع سنعود له لاحقاً .

تأثير العقيدة اليهودية على اليهود يكون أشد سوءاً كلما قلت فرص مناقشتها . النقاش قد يدفع الفرد لإدراك أن التعصب ضد السامية لا يخالف العنصرية ضد

العرب . ولا يمكن محاربة معاداة السامية بدون دراسة تاريخها ، وكذلك لا نقدر على التحرر من العنصرية والتطرف الديني في إسرائيل بدون معرفة تاريخها ومناقشتها . وهذا الوضع ينطبق اليوم أكثر من أى عصر سابق ، وإن باتت العنصرية اليهودية والتطرف الديني أكثر خطراً من معاداة السامية . ولكن هناك عامل آخر . فأننا أومن أن معاداة السامية والتطرف اليهودي حليفان متقاربان ، ولا بد من محاربتهما معاً .

الجنة الموصدة الأبواب :

حتى يتم تقبل هذه الأفكار ، ستبقى السياسات الإسرائيلية المبنية على أسس عقائدية أكثر خطورة على أمن الدولة الإسرائيلية والمنطقة المحيطة بها من السياسات المبنية على أسس علمانية . والفرق بين النوعين من السياسات واضح في دراسة لهيو تروفر روبر عن "السيد توماس مور واليوتوبيا" حيث يقسم السياستين إلى أفلاطونية وميكافيلية :

ميكافيلي على الأقل يعتذر عن الأساليب التي اعتبرها ضرورية في ميدان السياسة على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة . وهو يعترف بضرورة استخدام القوة والخداع ولا يسميها بأى اسم آخر . ولكن أفلاطون ومور يبررا هذه الأساليب - ما دامت تستخدم من أجل الحفاظ على ولايات ودول مثالية النزعات .

يستخدم المؤمنون بالدولة اليهودية ذات الأسلوب الأفلاطوني لتبرير ما يمارسونه من عنف وعنصرية ، مما يشكل خطراً على أمن إسرائيل والمنطقة أكثر من أى مخطط علماني . جازيت على الأقل يدعى أن المنطقة كلها ستستفيد من سعى إسرائيل للدفاع عن مصالح الغرب عن طريق محاربة التطرف والحفاظ على الاستقرار . أما بن جوريون ، فلم يتظاهر بأن أى دولة أخرى ستستفيد من إنشاء إسرائيل القديمة من جديد ، سوى إسرائيل ذاتها .

واستخدام أفكار افلاطون لتحليل السياسات الإسرائيلية ليس غريباً . فقد لاحظته عدة محللين ، من أهمهم موسى هاداس الذي ادعى أن أفكار اليهودية القديمة الموجودة

فى التلمود تستند إلى فكر أفلاطون ، وخصوصاً تصويره لإسبارطة . وحسب تصور هاداس ، فإن أحد أفكار أفلاطون الأساسية هى : " أن كل مرحلة من حياة الإنسان ترتبط بقواعد دينية يمكن للدولة تطبيقها وفرضها على الناس " .

وهذا التحكم هو ما فعله الأحيار . يزعم هاداس أن اليهودية تقبلت ما اعتبره أفلاطون هدفه الأساسى ، فى الفقرة المعروفة التالية :

أهم شىء هو ألا يوجد أى رجل أو امرأة بدون مراقب مسئول عنه . ولا يعتاد أى فرد على اتخاذ قرار ، مازحاً أو جاداً ، على مسئوليته الفردية ، فى أحوال السلام والحرب ، لابد أن يبقى متطلعاً ناظراً لأوامر الضابط المسئول عنه . باختصار ، لابد من تعليم العقل عدم التصرف بشكل فردى .

وإن استخدمنا كلمة حبر بدلاً من ضابط ، لوجدنا ذات الوضع الذى يتحدث عنه أفلاطون سارياً فى المجتمع الإسرائيلى متحكماً فى سياساته .

اليهودية القديمة ، وحفيداها ، المؤمنون بالديانة اليهودية ، والصهاينة ، كلاهما يرفضان فكرة إسرائيل المفتوحة الأبواب . المجتمع اليهودى ، سواء بوضعه الحالى ، أو حين يزداد تهوداً ، لا يتقبل أو حتى يتحمل فكرة مجتمع متفتح منفتح . هناك خياران يواجهان المجتمع الإسرائيلى اليهودى . أولاً ، يمكن إغلاقه تماماً وتحويله إلى معسكر إسبارطة يهودية ، تستعبد العمالة العربية للبقاء ، وتؤثر على السياسات الأمريكية ، وتهدد جيرانها بمخزونها النووى ، أو أن تحاول التحول إلى مجتمع منفتح . والخيار الثانى ممكن فقط إن راجعنا بصدق التاريخ اليهودى ، وإعترفنا بوجود نزعتى التطرف والعنصرية فى صفوفنا ، ودرسنا بصراحة رؤية اليهود لمن ليسوا يهوداً .

الفصل الثانى

التعصب والكذب

أولى مصاعب الكتابة فى هذا الموضوع هى أن كلمة يهودى حملت أكثر من معنى خلال الـ ١٥٠ عاماً الأخيرة . ففى عام ١٧٨٠ ، اتفق العالم مع اليهود على أن لهم هوية دينية ، بل وحكمت طقوس الدين جميع جوانب حياتهم الخاصة والاجتماعية ، وتحكمت فى علاقاتهم بالآخرين . لا يحق لليهودى أن يشرب كأس ماء فى منزل غير يهودى . كانت هناك قوانين عامة حكمت اليهود فى كل مكان ، بحيث انفصل اليهود عن المجتمعات غير اليهودية التى عاشوا فى قلبها .

ولكن هذا الواقع تغير بسبب نشاطين تاريخيين متوازيين - بدأ فى هولندا وبريطانيا ، ثم انتقلا إلى فرنسا مع الثورة الفرنسية . فمع مجيء عصر النهضة ، بات لليهود حقوق قاربت المساواة مع غيرهم من أفراد الشعوب التى عاشوا فى وسطها ، كما ضعفت سلطة التجمعات اليهودية على أفرادها .

منذ العصر الأخير للإمبراطورية الرومانية ، كان للمجتمع اليهودى قوانين خاصة حكمت أفرادها . وهذه القوانين شملت القدرة على الضغط (مثلاً ، عن طريق مقاطعة يهودى خرج على الجماعة ، أو حتى رفض دفن جثته فى المقبرة اليهودية) ولكنها كذلك امتلكت سلطة قانونية واضحة : السجن ، النفى ، الجلد ، والفلكة . وهذه العقوبات فرضتها محكمة الأحبار على الأفراد لأسباب مختلفة . فى دول مثل : إسبانيا وبولندا ، تم تطبيق قوانين قاسية شملت الإعدام . وقد عاونت الدول المسيحية والإسلامية الأحبار فى السيطرة على التجمعات اليهودية لرغبتها فى الحفاظ على الاستقرار والأمن ، ولكن مقابل مكاسب مادية . مثلاً ، توجد وثائق تاريخية من ملوك إسبانيا تحت مسئولية

الدولة على معاونة الأحمبار فى فرض العطلة الأسبوعية يوم السبت . ولماذا ؟ لأن الأحمبار ، حين فرضوا عقوبة مالية على يهودى ، قدموا تسعة أعشارها إلى الملك ، وهو نظام مفيد اقتصادياً للدولة . من الممكن الاستشهاد برسالة الحبر موسى موفر فى هتغاريا إلى الملك ، شاكياً سوء الأوضاع ، مؤكداً أن فقدان المجتمع اليهودى للقدرة على محاسبة أفرادهم أدى إلى ضعف الحس الدينى . يقول : " فى السابق ، حين كان يهودى يفتح دكانه للتجارة يوم السبت ، كنا نبعث بالشرطة لحبسه وتغريمه " .

وهكذا كانت أهم حقيقة اجتماعية فى الوجود اليهودى قبل مجىء الدولة الحديثة هى احترام القوانين التلمودية ، وتعليمها للأطفال ، وفرضها على الكبار بحيث لا يوجد مفر للفرد إلا بالتخلى عن دينه والتحول إلى دين آخر ، مما تطلب تغييراً تاماً فى الحياة الاجتماعية لم يقدر أغلب اليهود عليه . ولكن ، ومع مجىء الدولة الحديثة ، فقد أحمبار اليهود القدرة على الردع ، وتكسرت شيئاً فشيئاً الروابط التى أمسكت زمام هذا المجتمع بقوة . وقد جاءت هذه التحولات من خارج المجتمع اليهودى ، وكان لها آثار واسعة النطاق . وهكذا ، نجد اليوم فى إسرائيل من ينتقد فكرة سلطة القانون الوضعى وأفكار الحرية والديمقراطية لأنها غير يهودية . وهذه الأقوال صائبة من وجهة نظر تاريخية . وقد حاول البعض كتابة تاريخ يهودى مخادع عاطفى ، تجاهل حقائق السلطة المطلقة للأحمبار على اليهود . وهكذا لا يجد القارئ فى كتابات المؤرخ اليهودى حنة أرندت أى ذكر لأوضاع اليهود فى ألمانيا خلال القرن الثامن عشر ، ومنها : إحراق الكتب ، ومعاقة الكتاب ، والنقاش حول القوى السحرية للأحجار الكريمة ، ومنع اليهود من التعلم خارج مدارسهم الخاصة ، ورفض طلبهم للتعلم حتى إن احتاجوا لمعرفة قواعد اللغات الشائعة فى عصرهم . والمؤرخون كذلك يستناسون ما ادعاه نساك اليهود (والتنسك اليهودى عاد يشيع بين الناس) حين قالوا : إن كل ما هو غير يهودى ذراع للشيطان ، وإن القلة غير الشيطانية ممن هم من غير اليهود يتمتعون فى الواقع " بأرواح يهودية " ، وإن فقدوا الرؤية حين تعدى الشيطان على السيدة المقدسة (ماترونيث ، وهى جزء من الرب ، زوجته فى كتاب القبالاه) .

وأهم النتائج الاجتماعية لتحرير الأقلية اليهودية عن طريق تطبيق ذات القوانين المدنية على جميع المواطنين هي أن اليهودي أخيراً بات حراً ، لا يحكمه سوى قانون البلد التي عاش فيها وأنه بات مساوياً لغيره من البشر ، بدون أن يضطر لتغيير دينه . امتلك أخيراً حرية التعلم والقراءة والكتابة في مواضيع لا يوافق عليها الأخبار ، حتى حرية تناول الطعام ، وحرية التفكير ، لأن الأفكار الممنوعة كانت خطيئة – أخيراً بات لليهود جميع هذه الحقوق في أوروبا . وحتى حين كره الحاكم اليهود ، كما حدث في عصر نيكولاس القيصر الروسي الذي عرف بالتسلط والقسوة وكراهية اليهود – زادت سطوة القانون حتى بات صعباً على المجتمع اليهودي قتل المارقين من أفرادهم . مثلاً ، عام ١٨٧٣ ، طلب الحبر تزدك في أوكرانيا قتل يهودي مرق على الجماعة ، وتم ذلك عن طريق إلقاء جسده في مياه مغلية . ولاحظت النصوص التاريخية برعب وذهول أن الرشوة " ليست كافية " وأن القتل والحبر ذاته عوقبوا على الجريمة التي ارتكبت . حكومة ماترينش قبل عام ١٨٤٨ في النمسا كانت معادية لليهود ، لكنها ، مع ذلك ، لم تسمح لليهود بتسميم أحد أحبارهم لأنه كان متسامحاً رعوفاً متحرراً أكثر مما ينبغي .

وهكذا انقسم اليهود طائفتين : توجد أولاً مجموعة تنتمي لمجتمع تسلطى قانع لحقوق أفرادهم ، وهناك أيضاً مجموعة تتقبل أفكار المجتمع الحر الغربي الذي عاشوا في ظلاله . ومن الضروري ملاحظة أن أغلب ما نسميه اليوم " صفات اليهود " – أي الصفات التي تميز هذه المجموعة من الناس عن غيرها – جديدة ، غير معروفة طوال تاريخهم القديم . مثلاً ، هناك صفة " السخرية " اليهودية . في الواقع ، المرح صفة نادرة في أدبيات اليهود حتى القرن التاسع عشر ، لأن المزاح والنكتة من الصفات المذمومة في الديانة اليهودية ، إلا في حال انتقاد الأديان والشعوب الأخرى والسخرية منها . الأدب الساخر من سطوة رجل الدين غير موجود في التاريخ اليهودي . وكذلك ، لم يتمتع اليهود تاريخياً بحب العلم ، باستثناء علوم الدين وتعاليمه ، التي كانت نقلية ، بلا أي احترام لحرية العقل . بل إن أجزاء من العهد القديم ذاته حرمت قراءتها ، وتم استبدالها بنصوص تلمودية . دراسات اللغة كانت محرمة . حتى التاريخ اليهودي تم تجاهله . الحس النقدي الذي يقال إنه من خواص اليهود في عصرنا والرغبة في

التعلم، صفات جديدة . ومن المؤسف أن بين يهود عصرنا من يتشوق لذلك الماضي ، ويسعى لإحياء ذلك المجتمع المريح المقفل الذي أكل عليه الدهر وشرب . وهناك بين الصهاينة من يودون العودة إليه ، وهم الأعلى سطوة وشأناً وصوتاً في إسرائيل .

معوقات طلب العلم :

لا يسعى مجتمع مغلق لإدراك ذاته ، ربما لأن أى وصف عبارة عن نوع من الحس النقدي الذي قد يشجع الأفكار الممنوعة . كلما انفتح المجتمع ، ازداد الاهتمام بتأمل البنية الاجتماعية ، ووصفها ثم انتقاد عيوبها ، المعاصرة والماضية . ولكن إن أرادت مجموعة إرجاع مجتمع متفتح إلى أوضاعه المغلقة المظلمة سابقاً ، فستحول ذات العلوم التي أدت للتطور والانفتاح مثل : الفلسفة ، العلوم التطبيقية ، التاريخ والاجتماع ، إلى وسائل لخيانة العقل . يتم تحريفها حتى تخدم الخداع ، وهكذا تنحط القيمة العلمية لهذه العلوم .

لم تسع الجاليات اليهودية البقية لتأمل أحوالها من وجهة نظر نقدية . من المهم تذكر أن كتابات التاريخ اليهودي اختفت تماماً منذ بدايات القرن الأول الميلادي حتى القرن الخامس عشر ، وعادت باستحياء في عصر التنوير ، حين تأثر اليهود بالفكر الإيطالي . وقد خشي الأحرار مغبة كتابة التاريخ اليهودي ، وكان أول كتاب نشر بالعبرية (في القرن السادس عشر) يتناول تاريخ ملوك فرنسا ، والملوك العثمانيين . ثم نشرت بعض الكتابات التي تناولت الاضطهاد الذي عاناه اليهود . أما أول كتاب يهودي يتناول العصور القديمة فقد منعه الأحرار ، ولم يظهر حتى القرن التاسع عشر . وقد اتفق بعض أحرار شرق أوروبا على منع أى دراسات خارج نطاق التلمود ، لأنها تضيع وقت اليهود ، الذي يجدر بهم قضاءه في الدراسات الدينية ، أو جلب المال لمعاونة الجالية عن طريق دفع الضرائب لأحبارها . وقد نتج عن ذلك أن اليهود خلال مائتي عام لم يعرفوا بوجود أمريكا ، جهلوا أيضاً تاريخهم ، وقنعوا بوضعهم هذا .

تاريخ من الطغيان :

ولكن كان هناك نقطة واحدة لأبد لليهودى من معرفتها .وهى مقاطع وأجزاء التلمود التى عارضت المسيحية وكرهت الغرباء . وقد بدأت هذه السطور بالتحول إلى قضية مهمة فى وقت متأخر ، حوالى القرن الثالث عشر الميلادى ، (وقبل ذلك الوقت هاجمت الكنيسة المسيحية الديانة اليهودية معتمدة على نصوص التوراة إذ جهلت وجود التلمود . وقد بدأت الحملة ضد التلمود حين تنصر يهود عرفوه إلى المسيحية) .

وسنعترف منذ البداية أن التلمود والأدب التلمودى يحوى لغة قاسية تهاجم المسيحية . فمثلاً ، باستثناء التهجم على السيدة مريم (البتول) والدة النبی عيسى (عليه السلام) ، يقولون : إن الرب سيعاقبه حين تقوم الساعة . ومثل هذه الأقوال ستغضب أى مسيحي . وهناك أيضاً أمر لليهود بإحراق الأناجيل المسيحية بشكل علنى أمام الناس (وهذا القانون لا يزال سارى المفعول . إذ تم إحراق مئات من الأناجيل فى ٢٣-٢-١٩٨٠ من قبل منظمة تساعد فى تمويلها وزارة الأديان الإسرائيلية .)

وهكذا ، بدأ فى أوروبا ، ومنذ القرن الثالث عشر ، حوار هاجم التلمود . نحن لا نعنى هنا الجهلاء فى مدن ريفية من صغار القساوسة ، بل محاورات تمت فى أفضل الجامعات الأوروبية وبأسلوب علمى محايد .

وماذا كان رد الأخبار ؟ استعملوا الرشوة والوساطات . وهكذا نُشر التلمود كاملاً فى عصر البابا سيكستوس (الذى احتاج للمال يوماً بسبب نشاطاته العسكرية والسياسية) . وقد حدث خلال هذه الفترة أن هوجم التلمود أحياناً ، ولكن خلال القرون اللاحقة ، ومنذ القرن السادس عشر ، تم فرض الرقابة والحذف فى عدة دول . واستمر هذا الوضع فى روسيا حتى عام ١٩١٧ . بعض الرقباء ، فى هولندا مثلاً ، كانوا أكثر مرونة ، وآخرون أكثر قسوة ، وهكذا حذفت أجزاء أو تم تحريفها .

وكل الدراسات الحديثة للديانة اليهودية ، وخصوصاً التي كتبها اليهود ، نشأت على أساس هذا الصراع ، وحتى اليوم تحمل هذه الدلالات ، سواء أكانت خداعاً ، أم اعتذاراً ، أم عدوانية ، تجاه المسيحية ، مع تجاهل وكبت للحقيقة . الدراسات اليهودية باللغة العبرية تعادى عدواً خارجياً ، بدلاً من مناقشة قضايا داخل النص التلمودي ذاته .

من الضروري ملاحظة أن معاداة تجمّع خارجي كان طبيعة الدراسات التاريخية في جميع المجتمعات القديمة (باستثناء الحضارة الإغريقية) . والوضع ذاته تكرر مع مؤرخي الكاثوليكية والبروتستانتية ، ومع أقدم كتب تاريخ الدويلات الأوروبية نلاحظ وجود الحس الوطني المتطرف واحتقار الدويلات الأخرى . وأخيراً يأتي وقت حين يسعى الفرد لفهم الجماعة التي يحيا في وسطها وينتقد ما يراه من أخطاء في تفكيرها وشطط في سلوك بعض أفرادها . وكلا هذين التطورين يحدثان معاً . فقط حين تتحول دراسة التاريخ إلى حوار مستمر - بدلاً من حرب تستخدم علم التاريخ - تبدأ الدراسات التاريخية الإنسانية ، التي تسعى وراء الصدق والاتزان وتتحول آنذاك إلى سلاح فعال للإنسانية والتعلم .

ولهذا السبب ، تسعى الدول المتسلطة لإعادة كتابة التاريخ حسب مصالحها ، أو تعاقب المؤرخين الذين لا يسيرون حسب منهجها . وحين يتحول مجتمع بأكمله إلى الاستبداد ، ويتم كتابة التاريخ الاستبدادي ، كثيراً ما يكون الدافع ضغوطاً من الأسفل، لا من الحكومة ، بل من الشعب ذاته . هذا هو ما حدث خلال التاريخ اليهودي، وهو أول معوقات العلم التي لا بد من التغلب عليها .

وسائل الدفاع :

وما الوسائل التي استخدمتها التجمعات اليهودية للدفاع عن التلمود حين تعرض للنقد ؟ يمكن تحديد عدة أساليب ، لكل منها آثار نلاحظها على سياسات دولة إسرائيل الحالية .

أول الأساليب التي سأذكرها هو التحدي الذي يختفي خلف قناع الطاعة الظاهرية . وهكذا تم حذف بعض الفقرات الشديدة الحدة من جميع اللغات الأوروبية .

كلمات مثل غير يهودى ، (جوى بالعبرية أو الأغيار أو الأمميون بالعربية) التى تظهر فى جميع النصوص الأصلية باتت "كافر" عابد للأصنام " أو حتى " كنعانى " ، وهى كلمات يمكن تفسيرها للأجانب، وإن فهم القارئ اليهودى أنها بدائل للكلمات الأصلية المحذوفة .

ومع ازدياد حدة الهجوم ، بات الدفاع أكثر صلابة ، وأدى أحياناً لنتائج مأساوية. خلال مراحل من تاريخ القياصرة ، حذفت هذه الكلمات أيضاً . واستبدلها الأحبار بـ "عربى" أو "مسلم" (بالعبرية Yishmaeli) وهى كلمة تعنى الاثنين ، أو حتى أحياناً مصرى ، متوقعين أن السلطات الروسية لن تحتج على هذه الكلمات . وفى الوقت ذاته ، احتفظ الأحبار بالنصوص المحذوفة أو المحرفة من التلمود . تصدر طبعات التلمود قسماً بؤك. أن جميع المصطلحات العدوانية فى الكتاب تهاجم ملحدى العصور القديمة، الكنعانيين ، لا " سكان الدول التى نعيش فى ظلها " . وبعد احتلال بريطانيا للهند واستعمارها ، قرر بعض الأحبار الادعاء بأن التهجم فى التلمود كان موجهاً ضد الهنود .

من الواضح أن كل هذا كان عبارة عن خداع . وما إن تم تأسيس دولة إسرائيل، واطمأن الأحبار على أمنهم ، حتى أعادوا جميع الفقرات القاسية إلى الطبعات الجديدة بلا أى تردد . ولأن إعادة جمع وطبع هذا الكتاب ستكون باهظة التكلفة ، فإن كتيب " ما حذف من التلمود " يعاد طبعه مراراً ويسعر مخفض فى إسرائيل بعنوان "Herasonot Shas" . وهكذا يقرأ المرء النص ، ويتعلم التلاميذ فقرات مثل تلك التى تحت كل يهودى ، حين يمر بجوار مقبرة ، من الترحم على من يرقدون فى القبور إن كانوا يهوداً ، ولعن أمهاتهم إن انتموا لديانات أخرى . الطبعات القديمة حذفت الجزء الخاص باللعن ، أما الجديدة فتعيد كلمات مثل أغراب وغير يهود ، وتشرح معانيها فى الحواشى .

بسبب الضغوط الخارجية ، حذف الأحبار بعض أجزاء التلمود ، وإن أبقوا على الممارسات ذاتها . لا بد لليهود من تذكر أن مجتمعهم استخدم أساليب بربرية لغسل عقول أفرادهم . وهذه الأساليب ليست رد فعل للاضطهاد الذى واجهه اليهود فحسب ، بل تعدى على البشرية جمعاء . لا بد لليهودى المتدين من أن يلعن أمهات الأموات فى المقبرة التى يمر بها ، إن كان متديناً . بدون مواجهة هذه الحقيقة ، نتجاهل ونسمم حاضرنا ومستقبلنا .

استمرار الخداع :

لم يستمر المحدثون من دارسى اليهودية فى الخداع ، بل كانوا أكثر جرأة من أجدادهم . أترك هنا جانباً دراسات عن معاداة السامية ، لا تستحق التأمل الجاد . أقدم بعض الأمثلة عن الخداع فى عصرنا .

عام ١٩٦٢ ، صدر ما يسمى " كتاب المعرفة " ، وهو يحوى أهم قوانين العقيدة اليهودية وممارساتها فى طبعة بلفتين ، بحيث احتوت صفحة النص العبرى والمقابلة لها ترجمته إلى الإنجليزية . وكان النص هنا كاملاً ، بلا حذف أو تنقيح . والدعوة إلى قتل الملحدین كاملة فى النص العبرى . " من الواجب قتلهم باليدين . " أما الترجمة المخففة فقالت " لابد من العمل من أجل القضاء عليهم . " ولكن النص العبرى يستطرد ذاكراً الملحدین المعنیین : " مثل عيسى وتلاميذه ، عسى أن تفنى أسماء الأشرار " . وهذا السطر لم يترجم فى الصفحة المقابلة إلى الإنجليزية . وأكثر من ذلك ، على الرغم من شيوع الكتاب بين اليهود الناطقين بالإنجليزية ، لم يذكر أحد هذا الخداع للقراء .

المثال التالى يأتى من عمل أقل جدية ، وأكثر شعبية ، وهو " متعة اللغة العبرية " للسيد ليوروستن . وهذا العمل اللطيف ، الذى أعيدت طباعته عدة مرات ، عبارة عن قائمة بكلمات عبرية شائعة بين اليهود الناطقين باللغة الإنجليزية . يحوى الكتاب ، بالإضافة للتعريف وبعض القصص الطريفة التى توضح استخدامات كل كلمة ، شرحاً لجنورها . كلمة شايجستين - التى تعنى شاباً غير يهودى - استثناء لأن النص يقول باختصار : " عبرية الأصل " بدون أن يخوض فى جنور الكلمة . ولكن ، وبجوار كلمة شيلكسا ، وهى مؤنث شايجتس ، يقدم المؤلف الأصل العبرى ، شيكتز - التى تعنى تلوث مشوه . وهذه كذبة ، كما يعرف كل ناطق بالعبرية . فالقاموس يوضح أن شايجتس تعنى " حيوان قذر ، بشع ، فاسق ، فتى غير جدير بالاحترام ، شاب غير يهودى " .

مثالى الأخير يتناول سلوك التنسك اليهودى تجاه غير اليهود . ومن المعروف أن لحركة هاسيدسم المتطرفة مئات الآلاف من الأتباع ، لبعضهم سلطة وتأثير فى إسرائيل ، سواء فى ميدان السياسة أو الجيش . وأهم كتب هذه المجموعة يدعى - هاتانيا - ويؤكد أن من هم ليسوا يهوداً " يفتقدون لذرة خير . " وهذا الكتاب يعاد طبعه مراراً ، ويدرسه الأحبار بشكل روتينى للتلاميذ ، حتى باتت أفكاره شائعة فى

المدارس والجيش. وقد لاحظ أحد أعضاء الكنيست ، شولاميت ألوانى ، أن الإعلام الإسرائيلي ردد بعض هذه الأفكار قبيل غزو إسرائيل للبنان فى مارس ١٩٧٨ ، من أجل دفع الأطباء لعدم معاونة الجرحى من غير اليهود . وهذه النصيحة التى تذكرنا بالعهد النازى لم تذكر العرب ، الفلسطينيين أو اللبنانيين ، بل حددت كل من هم ليسوا يهوداً - (جويم) . أحد رؤساء دولة إسرائيل السابقين ، شارازر ، كان مؤمناً بمبادئ التنسك اليهودى ، والكثير من السياسيين دافعوا عنها ومجدوها بشكل علنى . بل إن جميع من كتبوا عن هذه الحركة باللغة الإنجليزية تجاهلوا هذا الجانب العدوانى فى فكر الحركة ، على الرغم من تصريحات زعمائهم المتعطشة للدماء وتهجمهم الدعوب على العرب . ولو فكرنا فى الجرحى الذين لقوا حتفهم - لأن الإعلام حدث الأطباء والمرضات على عدم معاونتهم - لأدركنا بشاعة الجريمة التى ارتكبت .

أما سبب شعبية هذه الحركة ، فهو جهل الناس بحقائق فكرها . خصوصاً الكتاب بالإنجليزية أخفوا الحقائق عن القراء . ومن أشهر المخادعين الكاتب المعروف مارتن بوبر . ففى عدة أعمال دافع عن حركة هاسيد (وفرعها هاباد) بدون ذكر أفكارها بشأن غير اليهود . وقد تمت ترجمة هذه الأعمال إلى العبرية ، وأثرت فى التعليم العام فى إسرائيل ، مما شجع قيادات الحركة فى سعيهم وراء خلق الصراعات وسفك الدماء ، وكراهية من ليسوا يهوداً .. وبوبر أيضاً تجاهل كراهية الحركة للنساء ، وسعيها وراء الخمر ، وخضوعها للأخبار بشكل يقارب العبودية . وهى صفات ذكرها بعض نقاد الحركة من اليهود . وانتصرت أفكاره لأن الناس تعطشت بعد الحرب العالمية لكل ما ينتمى " للتراث اليهودى " . ولم يكن بوبر وحيداً . يسحاق كوفمان تأثر بأفكار الحركة وطالب بقتل سكان فلسطين من غير اليهود ، وهو جو برجمان طالب بتهجير الفلسطينيين إلى العراق ، وكان هناك غيرهم ممن شاركوهم فى أدبيات الكراهية .

وهكذا يتوجب علينا التحاور مع كبار المفكرين من اليهود إن مجئوا اللا إنسانية. ولا بد لنا من محاربة مدعى النبوة والكذابين ، حتى إن وافقهم المجتمع الإسرائيلى . لنتذكر نصيحة الحكيم لكريشوس : " التدين يدفع بالفرد للخير ، ولكن التطرف والمغالاة فى التدين يدفعان بالإنسان لأقصى درجات الشر " . والتدين ليس دائماً ، كما يدعى ماركس ، أفيون الشعوب ، ولكنه أفيون للمتطرفين ممن يغالون فى التدين . أما المفكرون الذين يبررون باسم الدين كراهية الإنسانية ، فهم مهربو المخدرات .

ويمكننا من هذا التحليل ، الوصول إلى استنتاج ، وهو أن الأسلوب الناجع لفعل الشر والخداع - فى الوقت الذى تبقى اليدان طاهرتين من الدم والعنف - هو إفساد عقول الناس ودفعهم للتسلط والقتل . إذ إن أقسى أنواع التسلط فى الضفة الغربية تنتج عن التعصب اليهودى . الناس يتصورون أن الطغيان يعتمد على العنف الجسدى . ولكن يبدو لى أن جنوره تتبع من أعماق الذات . فالأخبار - ومن يدافعون عنهم - والكتاب والصحفيون والسياسيون الصامتون ، كلهم يكذبون . هم لا يواجهون خطر الموت ، بل فقط الضغوط الاجتماعية . يكذبون لأنهم يتوهمون أن الكذب واجب عليهم باسم الوطنية التى تدفع بهم للصمت حين يشاهدون كل يوم التفرقة العنصرية ضد الفلسطينيين .

ونلاحظ هنا مجموعة أخرى قد تكون أكثر شراً . فالكثير ممن هم غير يهود (ومنهم مسيحيون ، وماركسيون) يعتقدون أنه يجدر بهم تجاهل أخطاء اليهود لتعويضهم عما لحق بهم من اضطهاد . والتهمة الشائعة التى تواجه كل من يشتكى من أخطاء اليهود تجاه الفلسطينيين أو يذكر الماضى اليهودى ، بمعاداة السامية لها تأثيرها خارج إسرائيل ، فى دول غير يهودية . إن هؤلاء الأفراد المؤثرين فى دول الغرب ، وخصوصاً الولايات المتحدة ، عاونوا الأخبار ودارسى اليهودية على نشر أكاذيبهم بلا مقاومة تذكر .

وإن بدت ظاهرة تشجيع الشر - خاصة إن كان يهودياً ، أكثر قوة منذ عام 1945، حين ظهرت حقائق المحرقة النازية ، فمن الخطأ تصور أنها بدأت آنذاك . بين اليساريين ، كان هناك صديق لماركس ، هو موسى هس ، الذى يعتبر من أول دعاة الاشتراكية . ولكنه كذلك كان عنصرياً ، إذ دعا لجنس يهودى طاهر ، لم تختلف دعوته عن رغبة النازيين بطهارة العرق والدم عن طريق سفك دماء الآخرين . ولكن اليسار الألمانى ينتقد العنصرية الألمانية ، ويغض الطرف عن العنصرية اليهودية . الأحزاب اليسارية لا تناقش النكر اليهودى البتة ، بل تتقبله على علاقته . وذات الوضع يتكرر فى الولايات المتحدة .

وهكذا لا نحتاج إلى مواجهة التطرف اليهودى والعنصرية بين اليهود فحسب ، بل محاورة من يسمون " التقدميون " فى الغرب ، وإن لم يستحقوا هذه التسمية البتة .

الفصل الثالث

العقيدة والتفسير

هدف هذا الفصل هو شرح مبادئ الديانة اليهودية . ولكن فى البداية لابد من التخلص من بعض الأخطاء الشائعة ، خصوصاً أفكار من يتحدثون عن " تراث يهودى مسيحى مشترك . " أو عن " القيم المشتركة بين الديانات التوحيدية المختلفة " .

سأتعامل الآن مع أكثر هذه الأساطير شيوعاً ، وهى فكرة أن اليهودية ديانة توحيدية . وهى فكرة خاطئة ، كما يعرف دارسو التراث العبرى ، وثبتت دراسة العهد القديم ، فالكثير من أسفاره تعترف بوجود أرباب أخرى وبقوتها ، لكن - يهوى - وهو أقوى الأرباب ، غيور من منافسيه ويمنع الشعب من عبادتهم . فقط فى أسفار متأخرة من الكتاب المقدس ، يقوم بعض الرسل بالتأكيد على وجود رب واحد .

وما يعنينا هنا ليس الكتاب المقدس ، بل الديانة اليهودية التاريخية ، وهى حتى اليوم لا تؤمن بالتوحيد . أفكار التنسك اليهودى (والقبالاه) التى تم تطويرها خلال القرنين الثانى والثالث عشر ، والتى شاعت فى القرن السادس عشر ، أضعفت من الأفكار التوحيدية فى مراكز التدين اليهودية . وقد حارب اليهود أفكار القبالاه خلال فترة التنوير ، ولكنها بقيت مؤثرة حتى هذه الساعة على أحبارهم .

معرفة هذه الأفكار ضرورية لسببين . فثولاً ، بدون دراستها لا يعرف الفرد الفكر اليهودى خلال القرون الماضية . ثانياً ، لا تزال هذه الأفكار تلعب دوراً سياسياً مهماً ، لأنها عقائد خفية لقادة سياسيين متدينين ، ولزعماء الحركة الصهيونية سواء انتموا لليمين أو اليسار .

وكتاب القبالاه يؤكد على وجود عدة أرباب تنتج عن مسبب واحد بعيد . وأول هذه الأرباب هو " الحكمة " أو " الأب " ، والربة " المعرفة " أو " الأم " . ومن زواجهما ينتج

طفلان : الابن ، وله أسماء أخرى . والبنت ، وتسمى السيدة ، الملكة ، إلخ . وقد منع الشيطان ، وهو شخصية قوية مستقلة فى هذا التفكير ، زواج الربين الأخيرين ، ثم خلق الجنس اليهودى لإصلاح الشرخ الذى سببه آدم وحواء بمعصيتهما ، وأسفل قمة جبل سيناء جسد موسى الرب الابن ، ونجح فى الاتصال بالربة البنت . ولكن عبادة اليهود للصنم الذهبى - العجل - أدت لفصلهما مرة أخرى . وكل حادث فى التفكير اليهودى يرتبط بزواجهما بشكل أو بآخر . إنشاء المعبد الأول والثانى ساعد على إتمام الزواج ، ودمارهما لاحقاً والسبب البابلى لا يدل على انفصالهما فحسب ، وإنما على اتجاه اليهود نحو أرباب أخرى . إذ يقترب الشيطان من الربة البنت ، ويتجه الرب الابن نحو صيغ شيطانية مؤنثة ويرتبط بها .

وظيفة اليهود المتدينين هى مساعدة إتمام هذا الاتحاد بين الرب والربة ، وطقوس الصلاة اليهودية اليومية ترمز لمراحل مختلفة متعددة منه . بعض أنواع الصلاة - حسب تفسير القبالاه لها - تهدف لخداع الملائكة (الذين يعتبرون أرباباً صفاراً مستقلين) أو لخداع الشيطان . فى لحظة معينة خلال صلوات الصباح ، يتفوه اليهود بكلمات أرامية من أجل خداع الملائكة حتى يفتحوا الباب الذى تدخل منه الصلاة إلى الجنة على الرغم من أنهم يحاولون منع دخولها . فالملائكة - حسب هذا التفكير - لا يفقهون سوى العبرية ، وتحيرهم الصلاة بلغة أخرى . ولذلك يفتحون الأبواب ، وفى هذه اللحظة ، تدخل الصلوات العبرية والآرامية معاً .

هناك مثال آخر : فقبل أن يغسل اليهودى يديه ، يصلى صلاة خاصة تتكون من جزئين . الصلاة الأولى للرب ، من أجل زواج الابن والبنت ، والثانية للشيطان ، الذى يحب صلاة اليهود لدرجة أنه ينشغل بها لوهلة فيترك الربة البنت . بل إن المؤمنين بالقبالاه يعتقدون أن بعض الضحايا التى تحرق فى المعبد تذهب للشيطان ، لتشفله عن الأضحيات التى تقدم للرب .

هناك عدة نقاط أساسية لابد من ذكرها لفهم علاقة هذا النظام باليهودية القديمة، والحركة الصهيونية الحديثة . أولاً ، لا يمكن اعتبار نظام القبالاه توحيدياً ، إلا إذا اعتبرنا الهندوسية والعقائد الرومانية القديمة توحيدية . ثانياً ، طبيعة هذه الديانة تتجسد فى سهولة تطبيقها . الإيمان يلعب دوراً تافهاً فى هذا الدين . المهم هو الطقوس ، لا مغزاها ، أو العقيدة المرتبطة بها . ولذلك ، حين رفض بعض اليهود

القبالة ، بقوا يمارسون ذات الطقوس ، وإن مارسها البعض تقريباً للرب ، وآخرون لكي يُشغل بها الشيطان . وبما أنهم يمارسون ذات الطقوس ، ويصلون معاً ، فإنهم ينتمون إلى المجتمع ذاته ، مهما كرهوا عقائد بعضهم البعض . أما إذا غير أحدهم الممارسات، الصلاة التي تقدم لغسل اليد مثلاً ، فآنذاك سيحدث شرخ كبير .

والشيء ذاته يقال عن الديانة اليهودية . فمادام الطقس صائباً ، لا أهمية تذكر لمغزاه . " استمعى يا إسرائيل ، الإله هو ربنا ، وهو واحد " . التي يقولها اليهودي المتدين كل يوم ، تحوى معانى عدة : قد تعنى أن الرب واحد ، وتعنى كذلك قرب موعد زواج الربين الابن والبنت . أما إن قيلت هذه الصلاة بأى لغة باستثناء العبرية ، فذلك سيفضب جميع الأحبار ، بغض النظر عن معتقداتهم .

الأهمية القصوى لهذه الطقوس ، وكراهية من هم ليسوا يهوداً ، و يقيمون في فلسطين ، النزعة القدرية نحو جميع مساعى السلام مع الدول العربية ، هذه وغيرها من المبادئ لا يفقه معناها من لا يعرف أفكار اليهودية . لقد استخدم بن جوريون بعض العقائد لمصلحته وترك بعضها الآخر . ولكن لا يمكن تجاهل تأثير الماضى على الحاضر . حين يفهم الناس الماضى سيتحررون من سلطته .

تفسير التوراة :

كثير من المعلومات الشائعة عن اليهودية خاطئة . كل ما ذكرناه من معلومات وجد في النصوص القديمة الأصلية . وأحياناً في كتب حديثة مكتوبة لقراء مختصين في هذا المجال باللغة العبرية . مثل هذه المعلومات غير متاحة باللغة الإنجليزية حتى الساعة . المسيحيون كذلك يتصورون أن الديانة اليهودية تعتمد في أساسها على التوراة ، وأن للعهد القديم من السلطة في اليهودية ما للجديد في المسيحية . وهذا سؤال يتعلق بالتفسير . ففي شأن الإيمان ، هناك الكثير من الحرية . أما التفسير ، فهو موحد تماماً ، حسب أسس التلمود ، لا التوراة . الكثير من الأفعال والأوامر اليهودية تفهم من قبل اليهود بطريقة مخالفة ، وأحياناً مغايرة ، للفهم المسيحي لها ، الذى يستند على قراءة حرفية للنصوص . وحتى اليوم ، يوجد فرق شاسع في إسرائيل

بين اليهودية التي تدرس في المدارس الدينية ، وتلك التي تدرس في المدارس الأخرى ، التي تعتمد على العهد القديم عموماً .

دعنا ندرس بعض الأمثلة لتوضيح الفوارق بين الرؤيتين :

١ - الوصية الثامنة ، لا تسرق ، تحرم سرقة أو خطف شخص يهودى . السبب هو أن الوصايا العشر تشير لفواحش تؤدي لقتل مرتكبها . والسرقه ليست من الخطايا التي تؤدي لقتل السارق . وحتى اختطاف غير اليهود مباح لليهودى فى القانون التلمودى . وهكذا نلاحظ أن لتفسير الجملة ، لا تسرق ، معانى تخالف معناها الحرفى .

٢ - النص المعروف " العين بالعين والسن بالسن " يعنى " العين - مال مقابل العين " أى دفع دية ، لا عقاب جسدى .

٣ - ومن أشهر الأمثلة على عكس المعنى الحرفى النص القائل : " لا تجب فى دعوى مائلاً وراء الكثيرين للتحريف . " (خروج ٢٣: ٤) وهو فى الواقع يحض على متابعة الجماعة .

٤ - فى أحيان كثيرة ، تضاف لكلمات مثل " رفيق " غريب " أو حتى " رجل " معنى خاص . النص المعروف " تحب قريبك كنفسك " (لاويين ١٩: ١٨) يعنى أن تحب رفيقك اليهودى ، لا أى إنسان . كذلك النص القائل : " لا تقف على دم قريبك . " (لاويين : ١٩: ١٦) يعنى معاونة يهودى فى خطر ، ولكن من المحرم مساعدة من ليس يهودياً . أما الحث على الكرم تجاه الفقراء والأغراب ، فيشمل اليهود فحسب . وحتى قوانين التعامل مع الأموات المذكورة فى أرقام : ١٩: ١٦ فتشمل جثث ومقابر اليهود فحسب . وهكذا تم تدمير المقابر الإسلامية ، وفندق هلتون - تل أبيب فى الواقع مقام على واحدة من هذه المقابر . ولكن المساس بأى مقبرة يهودية فى العالم يؤدي لردود فعل شديدة من قبل الحكومة الإسرائيلية .

٥ - أخيراً ، وليس آخرأ ، دعوة أشعياء للإنسانية إذ يقول مثلاً : " فحين تبسطون أيديكم أستتر عيني عنكم وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع أيديكم ملأته دماء " (١٥: ١) تحوى معانى رمزية . فالأخبار يبسطون أيديهم لمباركة المصلين ، أى أنه لا يحق لقاتل ممارسة العمل الدينى .

من الواضح أن اليهود يقرأون الكتاب المقدس بشكل مغاير تماماً لغيرهم من الناس. والفرق واضح حتى في إسرائيل حين يقرأ الجميع النص بالعبرية . التجربة العملية، منذ عام ١٩٦٧ ، أكدت ذلك . الكثيرون من اليهود في إسرائيل ممن ليس لهم دراية بالديانة اليهودية حاولوا إحراج الدولة بتذكيرها ببعض النصوص التي تدعو للإنسانية في العهد القديم . ولكن هذه الأساليب فشلت تماماً لأن النص التوراتي يعنى للدارس معانى مختلفة تماماً عن المعنى الشائع . وإن لم يفهم اليهود بعضهم بعضاً حين يناقشون النص الذي يقرأونه معاً بالعبرية، فالأمور ستكون أسوأ إن درست التوراة كجزء من المسيحية ، بل إن المزيد من قراءة ذلك النص تؤدي للمزيد من سوء الفهم . فالمعنى بالنسبة لدارسي اليهودية يوجد في التلمود .

بنية التلمود :

لابد من إدراك أن مصدر السلطة لجميع الممارسات اليهودية ، والأساس الذي تبنى عليه بنيتها القانونية ، هو التلمود ، أي التلمود البابلي ، بينما تخدم بقية النصوص التلمودية (والتلمود المسمى بالفلسطيني) كسلطة ثانوية .

يتكون التلمود من جزئين . هناك أولاً " المشنا " ، وهو نص قانوني يتكون من ستة أجزاء ، كل منها يقسم لعدة أقسام ، كتبت في فلسطين حوالي عام ٢٠٠ قبل الميلاد من نصوص شفوية قانونية تكونت خلال القرنين الماضيين . أما الجزء الثاني والأكثر أهمية فهو " جمارا " الذي يحوى نقاشات وتأملات في المشنا . والجمارا يتكون من جزئين ، الأول كتب في بابل ما بين ٢٠٠-٥٠٠ قبل الميلاد ، والثاني في فلسطين في وقت سابق غير محدد . التلمود البابلي (أي المشنا والجمارا البابلي) أكثر اتساعاً وترتيباً ، وهو الوحيد الذي يعتمد عليه . أما التلمود الفلسطيني فهو أقل أهمية كنص قانوني تشريعي، ومعه عدة نصوص تسمى أدبيات تلمودية ، وتحوى مادة تركت خارج النصين الأولين.

وباستثناء المشنا ، كتبت نصوص التلمود بالعبرية والآرامية ، بل وتعتبر اللغة الأخيرة أكثر أهمية في التلمود البابلي ، والتلمود لا يحوى مادة قانونية فحسب . فبلا

أى سبب واضح ، تقطع النقاشات القانونية بقصص عن الأحبار ، الملائكة والشياطين ، السحر ، المعجزات . وعلى الرغم من شيوعها بين الناس ، فقيمة القصص أقل من الأجزاء الأخرى . النصوص القانونية هي الأكثر أهمية ، وخصوصاً تلك التى تطرح للنقاش قضايا تعتبر شائكة . والتلمود يعرف أنواعاً مختلفة من اليهود ، بشكل طبقى ، كما يلى : الأقل قيمة هم الجهلاء ، يليهم من يعرف العهد القديم، ثم من يفهم المشنا أو الجمارا ، والصفوة هم من درسوا ويستطيعون مناقشة الأجزاء القانونية من الجمارا . هؤلاء فحسب هم القادرون على قيادة اليهود .

قوانين التلمود شاملة وشمولية ، يمكن توسيعها مع مرور الزمان ، ولكن بدون أن تتغير أسسها البتة . وهى تشمل جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، وعقوبات لكل مخالفة يمكن للعقل تصورها . قواعد السلوك لكل موقف مذكورة ، لا يمكن التساؤل بشأنها . وما يمكن ويتم مناقشته هو توسيع وتطبيقات هذه القوانين . دعنا نقدم بعض الأمثلة :

يمنع ممارسة أى عمل يوم السبت . والعمل يتم تقسيمه إلى ٣٩ نوعاً ، لا علاقة لها بصعوبة العمل ، أو يسره . القضية عبارة عن تعريف قسرى لأنواع مختلفة من النشاط . الكتابة مثلاً ممنوعة . وهنا يأتى السؤال : كم حرفاً يكتبه المرء حتى يمارس خطيئة الكتابة يوم السبت ؟ الإجابة : اثنان . وهل الخطيئة ذاتها تنطبق بغض النظر عن أى يد استخدم المرء ؟ كلا . ولكن ، من أجل حماية الناس من السقوط فى هذه الخطيئة، يضاف لها قانون ثانوى يحظر الفرد من لمس أى مادة كتابية (ورقة ، أقلام ، إلخ) يوم السبت .

طحن المحاصيل كذلك محرم يوم السبت . ينتج عن هذا التحريم أن أى نوع من أنواع الطحن ممنوع . وينتج عن الأخير أن جميع أنواع الممارسة الطبية محرمة حتى لا يتم الطحن السبت . ولا جدوى من ذكر أن هذا الوضع لا ينطبق على عصرنا . . المحرم يبقى محرماً بغض النظر عن عقلانيته . يقول أحد القساوسة القدماء ، ويدعى ترتليان : " أومن بالفكرة الدينية بغض النظر عن مدى توافق فكرى معها " . وهذا الوضع ينطبق على أغلب قوانين التلمود ، إن استبدلنا كلمة "أو من" بكلمة "أمارس" .

وقد حدثت تحولات كثيرة فى حياة اليهود مع مرور الوقت . فمثلاً ، عمل اليهود فى الزراعة ، وسكنوا فى أراضى ما بين النهرين . ولكن ، ومنذ عام ٨٠٠ قبل الميلاد ،

حتى ٣٠٠ قبل الميلاد ، نقل المعلومات التاريخية ، ولا يعود المجتمع اليهودي يحوى الفلاحين . تغيرت مواقع حياة الأفراد وأساليبهم فى العيش . أما كيفية تعامل المجتمع العبرى مع هذه التغيرات ، فهو نظام التدبير .

نظام التدبير :

كما لاحظنا ، قوانين التلمود قاسية لا تسمح بأى مرونة حتى حين تكون غير ملائمة بسبب تغير الظروف . التلمود يتطلب تفسيراً حرفياً ، ولا يمكن رؤيته بشكل رمزى البتة . ولكن خلال مراحل تاريخية معينة ، كانت عدة قوانين غير ملائمة لحياة الطبقات الحاكمة والأحبار والأثرياء . وهكذا اخترعوا نظاماً يتيح لهم احترام القانون بشكل ظاهرى ، مع مخالفة معناه ، وهذا هو نظام التدبير الذى كان أهم أسباب انحطاط اليهودية فى العصور القديمة . (سبب آخر كان التنسك اليهودى) . دعنا نقدم بعض الأمثلة على هذا النظام :

١ - نسبة الربح (الربا) : يمنع التلمود اليهودي من أى ربح ينتج عن دين يقدمه يهودى لآخر (وإن أكد على ضرورة أكبر ربح ممكن من غير اليهود) . قوانين كثيرة تلمودية مفصلة تمنع اليهود من الاستفادة من أى نسبة ربح مهما كانت ضئيلة . جميع المشتركين فى هذا النظام - حتى الشهود وكاتب العدل - يعدون من المارقين ، ولا تقبل شهاداتهم فى المحاكم ، إذ إن فعلهم هذا إعلان لخروجهم على طاعة الرب . من الواضح أن هذا القانون ملائم لاحتياجات الفلاحين اليهود فى مجتمعات صغيرة ، حيث يقومون بإعارة المال لمن يدينون بديانات أخرى . ولكن الوضع تغير تماماً فى بولندا فى القرن السادس عشر . فقد كبر المجتمع اليهودي ، وصار اليهود الأغلبية فى عدة مدن . لم يستطع إعارة النبلاء سوى القلة الثرية من اليهود ، بينما تعامل غالبيتهم مع بعضهم البعض .

فى هذه الظروف ، صنع ما يسمى نظام " التدبيرالاقتصادى " بحيث يربح من يعير المال لآخر ، وإن كان طرفا التعامل من اليهود ، بحيث لا يكسر القانون بشكل حرفى . من يقدم المال لآخر لا يعيره ، بل " يستثمر " المال لديه . المعير يستثمر المال فى أعمال من يدينه ، ويشاركه فى الربح . أما فى أحوال الخسارة ، فيطلب منه جلب بعض الأحبار للشهادة ، والحبر عادة يرفض التدخل فى هذا التبادل التجارى . كان

المطلوب كتابة بعض السطور بالآرامية التي لا يفهمها غالبية الناس ، بحيث يكسب اليهودى المال من آخر بطريقة قانونية .

٢ - العام السابع : حسب قانون التلمود ، لا بد أن تترك الأرض الزراعية للعام السابع بلا أى عمل زراعى أو حصاد . وهناك أدلة على احترام اليهود لهذا القانون منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى اختفت الزراعة اليهودية من فلسطين . وحين لم يعد هناك ضرورة لهذا القانون ، بقى نظرياً . ولكن فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، مع بدء الحركة الاستيطانية ، قدم الأحرار نظام تدبير للمزارعين . وحسب هذا النظام ، يأخذ الحبر الأرض العام السابع ، ويعيرها لغير اليهود ليعملوا على زراعتها طوال هذا العام ، ثم تعاد الأرض لصاحبها فى نهايته . والأحرار من غير الصهاينة يشكون فى هذا النظام على أساس أن القانون اليهودى يمنع بيع الأرض لغير اليهود . ولكن الأحرار الصهيانية يقولون إن ما يحدث عبارة عن إدانة ، لمدة عام .

٣ - حلب الأبقار صباح السبت محرم على اليهود . ولم توجد أى صعوبة فى التعامل مع هذا القانون : إذ طلب صاحب الأبقار من أحد عماله من غير اليهود حلبها . المستعمرون الأوائل فى فلسطين اعتمدوا على العرب للقيام بهذه الخدمة . ومع تأكيد الحركة الصهيونية على ضرورة عمل اليهود ، بات وجود نظام تدبير ضرورى . وتم ذلك بالشكل التالى . فنولاً اكتشف بعض الأحرار وجود قانون يتيح حلب البقرة صباح السبت حتى لا تمرض ، وعلى شرط عدم الاستفادة من اللبن . وهكذا يقوم أحد اليهود صباح السبت بوضع إناء تحت البقرة صباح السبت ، ويتركه ويذهب للصلاة ، نظراً لعدم وجود أى مانع من القيام بهذا العمل . ثم يأتى آخر بنية صافية وهى حلب البقرة بدون الاستفادة من لبنها . فيجد الإناء ويتركه فى مكانه ، ويحلب البقرة ثم يذهب للصلاة . ويعود صاحبه فيما بعد ، ويجد الحليب فى الإناء فيرفعه ويضعه فى ثلاجة . ويتكرر ذات النظام صباح السبت اللاحق .

٤ - السبت وعمل غير اليهودى : بقيت دائرة الأعمال المحرمة يوم السبت تتسع ، وكذلك اتسعت الضرورات التى لا بد من إنجازها يوم السبت . منع الطحن كان سهلاً للفلاح ، الذى طلب من أحد عماله القيام بالوظيفة . ولكن الأمر اختلف لأصحاب الطواحين الهوائية والمائية فى شرق أوروبا ، وهى وظيفة شاعت بين اليهود فى العصور الوسيطة . ولكن ، حتى قضية بسيطة ، مثل شرب كأس حليب دافئ فى الصباح ، كان مشكلة عصبية بدون معاونة غير اليهودى .

تطلب عمل هؤلاء الأفراد من غير اليهود تدبيراً خاصاً . فالقانون التلمودى يمنع اليهودى من أن يطلب من غير اليهودى إنجاز أى عمل محرم عليه . وهكذا صنع نوع من التدبير يسمى - التلميح - ويعتمد على منطق أن التعبير عن الرغبة الخاطئة مقبول، إن كان غامضاً . مثلاً ، يسمح لليهودى أن يلمح لخادمه يوم السبت قائلاً : "الجو بارد" "الحجرة مظلمة" . ولكن التلميح الأكثر غموضاً أفضل . " لو كان الجو أكثر دفئاً ، لاسترحنا جميعاً " . ولا بد للخادم غير اليهودى من إدراك المغزى ، وإنجاز المطلوب ، وإلا لطرد من وظيفته فوراً .

الأسلوب الثانى يستخدم فى أحوال حين يتطلب من الخادم إنجاز أعمال بعينها كل سبت . التعاقد يتم لشهر أو لعام بدون ذكر يوم السبت البتة ، ولكن العامل لا يعمل إلا يوم السبت فى الواقع . وهذا النظام ويدعى " Havla'ah " استخدم لإنارة شموع المحفل مساء السبت .

يوجد نظام مشابه لعمل يوم السبت ولكن لغاية أخرى . فلا يحق لليهودى الحصول على أى أجر لعمل يقوم به فى يوم السبت . والمثال الأساسى هنا هو الأحبار وأساتذة التلمود والوعاظ . أحياناً لا يوجد أى أجر لهذه الأعمال . بالنسبة للأحبار ، كان الوضع معقداً ، إذ إن التلمود يحرم أن يكسب المرء أى رزق عن طريق تعليم الدين . وهكذا تنص عقودهم على أن ما يأخذونه لا علاقة له بعملهم الفعلى ، بل تعويض . (Dmey Batalah) .

صفتان أساسيتان لهذا النظام تتطلبان المعالجة :

أولاً ، من الواضح أن نظام التدبير مبنى على الخداع - أى التحايل على القوانين الإلهية لتحقيق احتياجات الناس . وهكذا ضعفت أخلاقيات الدين اليهودى ذاته ، ويات يعتمد على طقوس فارغة وخرافات ، لها - على الرغم من ذلك - تأثيرات هائلة . فهذه الخرافات هى ما يؤمن به الناس ، لا الأجزاء الثرية بالمعنى الإنسانى فى العهد القديم والتلمود ذاته . فمثلاً ، صلاة الترحم على روح الميت حتى تصل روحه إلى الجنة تقال بلغة آرامية لا يفقهها أغلب الناس . اليهود يهتمون بهذه الأجزاء أكثر من غيرها .

ومع التحايل على القوانين الدينية هناك خداع للآخرين ، عادة لمصلحة الأثرياء . إذ لا توجد أى تدابير للفقراء . فمثلاً ، لا يحق للفقير تناول أى نوع من الغذاء الممنوع،

وإن كان أرخص . وكذلك نلاحظ أن نظام التدبير صنع من أجل الفائدة المادية . إن الجمع بين النفاق والرغبة في الثراء كان من صفات اليهود لفترة طويلة . والناس في إسرائيل يدركون ذلك ، على الرغم من وسائل الإعلام التي تبرر الأفكار الدينية . لا تملك المؤسسة الدينية شعبية كبيرة في إسرائيل ، والسبب في ذلك هو سمعتها السيئة، سواء بسبب الخداع ، والجشع ، أو الفساد . وإن كانت غالبية اليهود مخلصين في تدينها، فذلك لم ينتج عن نشاط المؤسسة الدينية ، بل على الرغم منها .

الفصل الرابع

تداعيات التاريخ

كتب الكثير لتقديم تفسير اجتماعي للديانة اليهودية . وذلك غير ممكن نظراً لأن البنية الاجتماعية والهيكل العقائدي للمجتمع اليهودي تغيرا عبر التاريخ . بل ويمكن تحديد أربع مراحل تاريخية أساسية :

١ - المرحلة الأولى : منذ تكوين الممالك القديمة في إسرائيل ويهوذا ، حتى تدمير المعبد الأول (٥٨٧ ق . م) والسبي البابلي . وجل العهد القديم يتعامل مع هذه المرحلة ، وإن كتبت العديد من نصوصه لاحقاً . اجتماعياً ، شابهت الممالك اليهودية القديمة الدويلات الموجودة آنذاك في فلسطين وسوريا ، - وكما توضح كتب الأنبياء المتأخرين في التوراة - تشمل التشابهات العقائد التي آمن الناس بها بل وحتى الطقوس التي مارسوها . الأفكار التي شاعت لاحقاً ، شاملة النزعة الهرمية ، والإيمان برب واحد أقوى من أرباب الأمم الأخرى ، كانت موجودة في هذه المرحلة ولكن بين قلة من القساوسة والرسل ، الذين توقف نجاحهم على الدعم الملكي .

٢ - مرحلة المركزين ، فلسطين وما بين النهرين ، منذ العودة من بابل (٥٣٧ ق . م) حتى ٥٠٠ بعد الميلاد . وهذه المرحلة تتميز بوجود مجتمعين إسرائيليين منفصلين ، كلاهما يعتمد على الزراعة ، حيث فرضت الديانة اليهودية بقوة وسلطة الإمبراطورية الفارسية . يصف أحد كتب العهد القديم حياة إزرا اليهودي الذي أعطاه الإمبراطور الفارسي السلطة لاختيار القضاة والنواب في فلسطين ، بحيث يحترم الناس قانون الرب ، وقانون الملك ، ويعاقب المارقون بالموت ، أو النفي ، أو مصادرة الأملاك ، أو الحبس . وهكذا يبدو واضحاً أن الديانة اليهودية فرضت بالقوة على المجتمعات اليهودية ، أحياناً عن طريق دول خارجية .

وقد بقي كلا المركزين مستقلين خلال أغلب تلك الفترة ، فقمعت جميع محاولات التحرر من استبداد النظام الدينى القائم . وقد حدث استثناء لهذا الوضع حين تأثرت طبقة الأحرار الثرية ذاتها بأفكار إغريقية (من ١٦٦ - ٢٠٠ قبل الميلاد) ، ثم فى عصر هيرود العظيم (منذ 50 قبل الميلاد حتى سبعين ميلادية) . وقد حدثت صراعات داخلية نتيجة لهذا الوضع ، ولكن ما إن انتصر أى طرف ، حتى فرض مبادئه على اليهود فى كلا المركزين .

وخلال معظم هذه المرحلة ، خصوصاً بعد انهيار الإمبراطورية الفارسية وحتى حوالى سنة ٢٠٠ ميلادية ، كان اليهود خارج هذين المركزين أحراراً من ضغوط الأحرار والقضاة اليهود . توجد رسالة تعود إلى عام ٤١٠ قبل الميلاد تحوى نصاً لإمبراطور فارس ، وهو داريوس الثانى ، يحث اليهود على ممارسة طقوس خاصة للاحتفال بأحد أعيادهم (الفصح) . ولكن الممالك القديمة لم تكن بهذه الطقوس كثيراً .

سمحت حرية اليهود خارج فلسطين بظهور أدب يهودى مكتوب باللغة الإغريقية رفضه اليهود اللاحقون وتقبله المسيحيون وحافظوا عليه . كان صعود المسيحية ممكناً بسبب الحرية النسبية المتاحة للتجمعات اليهودية خارج المركزين الأساسيين . تجارب القديس بول مهمة : فحين اتهمه أحد اليهود بالهرطقة ، رفض الحاكم الرومانى جالو النظر فى القضية ، مؤكداً أنها لا تدخل فى نطاق اختصاصاته . ولكن فى فلسطين ، اضطر الحاكم الرومانى فسستوس للتعامل مع قضايا اعتبرها خاصة .

وقد انتهى هذا الوضع عام ٢٠٠ م ، حين فرضت الديانة اليهودية من قبل السلطات الداخلية على جميع اليهود فى الإمبراطورية .

٣ - المرحلة الثالثة تسمى الكلاسيكية ، وستناقشها لاحقاً لأهميتها .

٤ - المرحلة الحديثة وتتميز بضعف متزايد لسلطات الأحرار وقواهم ، ومحاولاتهم المستميتة لاستعادتها ، ومن أهمها الصهيونية . والمصطلح - الصهيونية - بدأ فى هولندا فى القرن السابع عشر ، وظهر فى فرنسا والنمسا فى أواخر القرن الثامن عشر ، وفى أغلب دول أوروبا الأخرى فى أواسط القرن التاسع عشر ، وفى بعض الدول الإسلامية فى القرن الـ ٢٠ . (اليهود اليمينيون كانوا لا يزالون يعيشون المرحلة الكلاسيكية ، التى ميزت العصور الوسيطة ، عام ١٩٤٨) .

بين المرحلتين الثانية والثالثة ، أى اليهودية الكلاسيكية ، هناك عدة قرون ليس لدينا عنها أى معلومات حتى الساعة . فى الدول المسيحية لا يوجد أى سجلات حتى أواسط القرن العاشر ، والمعلومات التى يسجلها اليهود فى تجمعاتهم لا تتوفر حتى القرن الحادى عشر ، وتزداد فى القرن ١٢ . قبل ذلك ، نعتمد تماماً على معلومات رومانية ومسيحية . وفى الدول الإسلامية يوجد المزيد من المعلومات . ومع ذلك ، فالواقع هو ندرة المعلومات بين القرنين الخامس والثامن .

خواص أساسية للمرحلة الكلاسيكية :

دعنا إذاً نبدأ بالقرنين ما بين ١٠٠٠-١٢٠٠ ، حين تتاح معلومات كافية عن تجمعات اليهود المختلفة من مصادر يهودية وخارجية . والكثير من خواص هذه المرحلة لا تزال شائعة فى عصرنا . وأهم ما يميزها عن العصور السابقة أن لها ثلاث صفات : أولاً : اختفى الفلاح اليهودى من بلاد ما بين النهرين . فعلى الرغم مما عانوه من اضطهاد ، صعد اليهود إلى مراكز أعلى فى المجتمع . وأفقر اليهود ، الصانع ، الحداد ، الموظف ، كان أفضل حالاً من الفلاح . بل إن الكثير من اليهود عملوا فى مراكز وسيطة ، بين الفلاح والمستهلك ، أو الفلاح والدولة . وفى كل مكان ، ظهر على التجمع اليهودى نزعة احتقار الفلاحين ، أكثر من غيرهم من المجتمعات غير اليهودية ، وهذه الظاهرة ، التى لم أشاهد لها مثيلاً فى أى مجتمع آخر ، واضحة تماماً لآى إنسان درس الأدب العبرى فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

لم يعترف الكثير من دعاة الاشتراكية المعاصرين فى إسرائيل البتة بمشاعر الاحتقار التى يحسون بها تجاه الفلاحين . الصهاينة كانوا الأسوأ فى هذا الشأن : فقد احتجوا على المزارع الكاثوليكية على أساس أنها تعادى السامية . وحتى اليوم تجد اليهود يحتقرون الفلاحين فى روسيا . وهذه النزعة العنصرية التى تستند إلى تمجيد أخلاق وعقلية اليهود تؤدى إلى عدم تفهم معاناة أكثر من اضطهدوا بين البشر - الفلاحين .

ثانياً : اعتمد اليهود على سلطة الملوك والنبل . فى الفصل التالى ندرس قوانين يهودية تعادى الأميين ، أى غير اليهود ، وخصوصاً تلك التى تحت على قذفهم وعدم

تقدير طباعهم . مع استثناء واحد ، وهو ملك قوى ، أو حاكم مسيطر . الملك يُمدح ويمجد ويطاع فى القضايا المدنية وبعض القضايا الدينية . الأطباء اليهود الذين يُمنعون من إنقاذ حياة الأممين يوم السبت ، يُطلب منهم بذل أقصى جهد لإنقاذ الملوك والحكام . وهذا هو سبب اعتماد الملوك على الطبيب اليهودى . وليس الأطباء فحسب . فقد اعتمد الملوك على اليهود لجمع الضرائب وعملوا بجهد أكثر من أى مسيحى لأن دينهم حثهم على الإخلاص لمن يحكمهم .

اعتمد الوضع القانونى لليهود على مزايا خاصة - يقدمها لهم الملوك أو النبلاء . ومن هذه المزايا الاستقلال ، أى أن يحكم الأحرار تجمعات اليهود . ومنها وجود طبقة خاصة من الموظفين اليهود الذين يخدمون اليهود فى الدولة ، ولا يدفعون الضرائب . بل يحق لهم فرضها على باقى اليهود . وهذا الاتفاق ، الذى بدأ فى عصر الإمبراطورية الرومانية ، استمر مع مجىء المسيحية .

منذ القرن الثانى حتى الخامس الميلادى ، كان وضع اليهود فى الإمبراطورية الرومانية ما يلى : وجد حبر (عاش فى فلسطين) اعتبر رسمياً زعيماً لجميع اليهود فى الإمبراطورية ومسئولاً عنهم . بل إن سلطته فاقت سطوة حاكم فلسطين . فالإمبراطور ثيوديسوس العظيم ، وهو مسيحى متدين ، أعدم حاكم فلسطين حين أخطأ فى حق الحبر الأكبر .

وفى الوقت نفسه كان للأحرار ، الذين اختارهم الحبر الأكبر ، حقوق كثيرة منها عدم دفع أية ضرائب . بل حق لهم فرضها على المجتمع اليهودى ، وتغريم أفرادهم ، وجلدهم ، وغيرها من العقوبات . وقد استخدم الحبر الأكبر القوة من أجل كبت المخالفين ومعاقبة كل من اتهمه بفرض الضرائب الباهظة على فقراء اليهود (كما يذكر التلمود) .

نعرف من مصادر يهودية أن الأحرار استخدموا النفى ، وأساليب أخرى لتأكيد الوحدة الدينية فى المجتمع . ونسمع أيضاً بكراهية فقراء اليهود للأحرار ، واحتقار الأحرار لهم إذ سموهم " بالجهلاء " . وهكذا استمر هذا الوضع وحمته سلطة الإمبراطورية الرومانية . فى المجتمعات الصغيرة ، يلاحظ وجود الطبقة الثرية والمتوسطة التى يتاح لأفرادها تعليم توراتى وتلمودى جيد . أما فى الأماكن التى

تزايدت فيها أعداد اليهود ، بحيث ظهرت طبقة فقيرة ، فيظهر الشرخ الاجتماعي واضحاً ، ويبدو التحالف بين الأحرار والأثرياء من اليهود ، واستغلال الطبقات الفقيرة لمصلحتهما ومصلحة العرش والنبلاء . حيث خدم الأحرار عمومًا الدولة ، وكلما ازدادت سطوتها وظلمها ، تزايد دفاعهم عنها .

ثالثاً : بقى المجتمع اليهودي معادياً لمن يحيا في وسطهم من غير اليهود ، باستثناء الملك والنبلاء . ونتائج هذه الصفات الثلاث هى عبارة عن تاريخ اليهودية في الدول المسيحية والإسلامية .

كان وضع اليهود في أفضل أحواله في دول قوية تتمتع بصفات إقطاعية ، في دولة مثل بولندا قبل عام ١٧٩٥ وأيرريا قبيل القرن الخامس عشر ، قبل ظهور النزعة الوطنية . بل إن اليهودية الكلاسيكية تزدهر في ظل حكومات مفصولة تماماً عن شعوبها ، إذ تخدم دور الطبقة الوسيطة - وإن لم تتمتع بالاستقلال . ولذلك عاداهم الفلاحون ، والطبقات الوسيطة الأوروبية (التى بدأت بالظهور) وأجزاء من الموظفين ، وحماهم النبلاء . أما حين ضعف الإقطاع ، وارتبط النبلاء بالملك لحكم البلاد وتتميتها ، بصيغة وطنية أو قومية ، ففي هذه الأحوال ساءت أوضاع اليهود .

كمثال على هذا الوضع ، سنحلل باقتضاب أحوال اليهود في العالم الإسلامى خلال المرحلة الكلاسيكية .

لم يتم البتة نفى اليهود من البلاد الإسلامية ، نظراً لتعارض النفى مع هذه الديانة السمحاء .

وازدهرت المجتمعات اليهودية في دول فصلت حكوماتها عن شعوبها ، وحكمت بقوة السلاح والتجارة . وخير مثال على ذلك هو إسبانيا الإسلامية ، حيث نمت ثقافة يهودية (تشمل الشعر ، النحو ، الفلسفة ، إلخ ...) . منذ سقوط الخلافة عام ١٠٠٢م ، وبداية عصر الطوائف الذى اعتمد على القوة فى الحكم . ظهور القائد العسكرى المعروف سامويل صناصيد (الذى توفى عام ١٠٥٦ ، ويعد من أعظم شعراء اليهود) اعتمد على أن مملكة غرناطة التى خدمها كانت تعتمد على قوة عسكرية بربرية تحكم

العرب . وتكرر ذات الوضع في الممالك الأخرى . ولكن وضع اليهود ضعف مع بدايات تكون ممالك ارتبطت بشعوبها ، فتعرضوا للاضطهاد ، واضطروا إلى الهجرة إلى إسبانيا المسيحية ، حيث كان الملوك أقل قوة .

وذات الوضع يتكرر في الشرق الإسلامي . فتول دولة قامت فيها سلطة لليهود هي الإمبراطورية الفاطمية ، خصوصاً بعد احتلالها لمصر عام ٩٦٩ م ، لأنها اعتمدت على جيوش إقطاعية ، ومماليك ، وتجار حمايتها . وقد تعاطف صلاح الدين مع اليهود في مصر ، والأجزاء الأخرى من الإمبراطورية لا لطبعه الرعوف ورحمته فحسب ، بل كذلك لأن معظم قواته كانت من المماليك الذين جلبوا من بلاد أخرى ، ولأنه وصل للسلطة عن طريق تغيير الحكومة التي خدمها والده وعمه قبله .

أما أفضل مثال عن دولة سعد بها اليهود منذ سقوط الإمبراطورية الفارسية ، فهي الإمبراطورية العثمانية ، خصوصاً خلال القرن السادس عشر . من المعروف أن النظام العثماني لم يوظف الأتراك ، ولا المسلمين الذين ولدوا لأسر إسلامية معروفة في مواقع حساسة داخل الدولة أو الجيش . بل اعتمد على عبيد تم أسرهم في طفولتهم وتعليمهم في مدارس خاصة . وحتى نهاية القرن السادس عشر ، لم يقدر تركي على الوصول لأي مركز سلطة . وقد ضعفت سطوة اليهود تدريجياً في الإمبراطورية العثمانية بعد ذلك ، حين ازداد اعتماد العثمانيين على الأتراك أو العرب .

من المعروف أيضاً أن بعض المفكرين العرب يدعون أن أوضاع اليهود كانت أفضل في الشرق الأوسط منها في أوروبا . ونحن لا نشك في أن الإسلام عامل لليهود بشكل أفضل من المسيحية ، ولكن السؤال المهم هو : أي دول فعلت ذلك ، ولماذا تحسنت أوضاع اليهود حيناً وساعت حيناً آخر؟! .. والجواب واضح الآن .

هناك أيضاً عامل آخر . فحين تحسنت أوضاع اليهود ، امتلك الأحرار المزيد من السلطة . فمثلاً ، نتج عن تسامح صلاح الدين مع اليهود أن قام كبار أحبارهم بتعذيبهم . لا يسمح مثلاً للقس اليهودي بالزواج من أرملة ، ولكن هذا القانون كسر في العصر الفاطمي . أما في عهد صلاح الدين ، فسمح للحبر الأعظم بالقبض على جميع القساوسة اليهود الذين تزوجوا من أرامل ، وجلدوا حتى تخلوا عن زوجاتهم . العثمانيون كذلك أعطوا للمحاكم اليهودية السلطة اللازمة لقمع اليهود .

ولهذا السبب ، يصعب استخدام قضية أوضاع اليهود في الدول الإسلامية القديمة لتقديم آراء سياسية معاصرة (١) .

اضطهاد اليهود :

يستخدم الصهاينة قضية تعرض اليهود للاضطهاد للدفاع عن القوانين التلمودية ضد الأميين . ولابد من دراسة هذه الظاهرة ، خصوصاً لأن الكثير من البولونيين يمتلكون السلطة اليوم في إسرائيل والولايات المتحدة وغيرها . وبسبب تاريخهم ، تجد هذه الطريقة في التفكير شائعة بينهم .

باستثناء الحركة النازية ، كانت الحركات المعادية لليهود شعبية ، لا تسيرها الدولة . وقد سعى النازيون للقضاء على تجمعات أخرى من البشر مثل : الفجر ، والسلافيين ، وأسرى الحرب . ولكن سعى دولة للقضاء على تجمعات بأسرها ظاهرة نادرة . السبب الذي يقدمه الصهاينة عادة لاضطهادهم للفلسطينيين هو معاداة السامية واضطهاد اليهود لعصر طويلاً .

خلال أسوأ مراحل الاضطهاد ، حين تعرض اليهود للقتل ، وقفت الأرستقراطية والبابا والإمبراطور والطبقة الحاكمة والأثرياء في صفهم . أما أعداء اليهود ، فكانوا من الطبقات الفقيرة . وقد دافع الأثرياء والمتنفذون عن اليهود نظراً لوجود مصالح مشتركة ، أو دفاعاً عن القانون ، أو الرهبة من الطبقات الدنيا والخوف من أن تتحول التظاهرات المعارضة لليهود إلى ثورات عارمة ضد الأثرياء والنبلاء . ومع ذلك ، فالحقيقة هي أنهم وقفوا في صف اليهود . وجميع المجازر التي حلت باليهود نتجت عن ثورات فلاحين أو حركات شعبية حين فقدت الحكومة سلطتها . وهذا الوضع ينطبق

(١) من الواضح ، على الرغم مما يقوله المؤلف أن اليهود لاقوا في الشرق الأوسط معاملة أفضل بكثير من تلك التي لاقوها في الغرب الأوروبي . فقد كان لهم محاكمهم الخاصة ، وعاملهم الحكام المسلمون خير معاملة . لذا يلاحظ أستاذنا الكبير ، د. شوقي ضيف ، في كتابه عالمية الإسلام : " كل من يعرف تاريخ اليهود بين المسلمين ، وتعايشهم في ديارهم طوال العصور الإسلامية وحمايتهم لهم وبخاصة في الأندلس والمغرب قروناً بعد قرون يعجب أشد العجب من عدائهم الشديد - في عصرنا - للمسلمين الفلسطينيين ، وإخراجهم من وطنهم وديارهم بالقوة مع التتكيل الشديد . " (٥٥) .

حتى على روسيا . القياصرة هاجموا اليهود سرّاً ، من خلال برامج حكومية خفية . ولكن فى مراحل ضعفهم فقط . (بعد اغتيال الإسكندر الثانى عام ١٨٨١ ، وخلال عام ١٩٠٥) . وحتى فى هذه المراحل ، حاولوا السيطرة على العنف الموجه ضد الأقلية اليهودية فى بلادهم حتى يستتب الأمن ويعود النظام للبلاد . خلال فترة القوة ، حين حكم نيقولاس الأول ، أو الإسكندر الثالث ، لم تتقبل الدولة التهجم على الأقلية اليهودية، وإن لم يكن للأقليات عادة ذات الحقوق التى تمتع بها أغلبية المواطنين .

هذه القاعدة العامة تلاحظ فى جميع المذابح التى تعرض لها اليهود فى شرق أوروبا . خلال الحملة الصليبية الأولى ، لم تعتد الجيوش على اليهود ، بل قام بالاعتداء الفقراء والفلاحون . وفى كل مدينة ، حاولت السلطات حمايتهم . والمظاهرات ضد اليهود فى بريطانيا خلال الحملة الصليبية الثالثة هاجمت كذلك موظفين آخرين تابعين للدولة . وقام الملك تشارلز الأول بمعاقبة المخطئين . التعدى على اليهود خلال وباء الموت الأسود حدث على الرغم من أوامر الإمبراطور ، والأمراء الألمان . وفى المدن الحرة ، مثل ستراسبورج ، سبقت لحظات العدوان ثورات نتج عنها استبدال القيادات بغيرها .

وربما يكون أهم مثال على مجازر اليهود هو ثورة التشميلنسكى فى أوكرانيا (١٦٤٨) التى بدأت بإضراب للضباط وتحولت بسرعة لحركة شعبية عنيفة . الفقراء ، وعامة الشعب ، الأرثوذكس الذين اضطهدتهم الكنيسة الكاثوليكية ، هبوا هبة رجل واحد ضد أسيادهم من الكاثوليك البولونيين . وضد معاونيهم من موظفين ويهود . وهذه الثورة العارمة ضد الاستبداد وما صاحبها من قمع وعنف وقتل وإرهاب مضاد، بقيت فى خيال اليهود إلى اليوم . ولكن لا كثورة فلاحين مضطهدين ، بل كحركة منظمة ضد اليهود بلا أى سبب . بل إن الصحافة اليهودية حتى اليوم تعتبر أى تصرف روسى أو أوكرانى معاد لإسرائيل " إرث تشميلنسكى يجسده أحفاده" .

المعاداة للسامية فى عصرنا :

تغيرت طبيعة الاضطهاد لليهود فى العصور اللاحقة . فمع ظهور الدولة الحديثة ، وانهيار نظام العبودية ، والوصول لبعض الحقوق الفردية ، اختفت الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية الخاصة باليهود ، وذهبت معها سطوة التجمع اليهودى على أفرادها ، حتى

بات متاحاً لليهودى الانضمام للمجتمع الذى يحيا فى وسطه . وقد كان لهذا التحول رد فعل عنيف من قبل اليهود (وخصوصاً الأحرار) ومن عابوا فكرة المجتمع المفتوح واعتقدوا أن التحرر لعنة .

تظهر معاداة السامية أولاً فى فرنسا وألمانيا ، ثم فى روسيا ، بعد عام ١٨٧٠ . ولا يوجد أى صدق للادعاء أن النظام الرأسمالى أفرز معاداة السامية . بل إن الدول الأكثر تحراً منها هى الأكثر تقدماً فى رأسماليتها ، مثل : بريطانيا وبلجيكا .

وقد كانت معاداة السامية الباكورة (١٦٠٠ - ١٨٨٨) رد فعل رجال متحيرين ، خشوا المجتمع الحديث بكل خواصه ، الجيدة والسيئة ، وأمنوا بوجود مؤامرات تسيير على مدى آلاف الأعوام . وقد اعتبروا اليهود سبباً لكسر أنظمة المجتمع القديم ، ولكل ما يقلق من مصاعب العصر الحديث . ولكن منذ البداية واجه عدو السامية مشكلة صعبة ، وهى كيف يعرف الضحية ؟ وما هى العلاقة بين اليهودى الموسيقى ، الصانع ، والمتسول ، خصوصاً بعد تفكك الروابط القديمة ؟ وقدمت نظرية الجنس اليهودى الحل لهذه المعضلة .

المسيحية والإسلام لم يعاديا اليهودية البتة لأسباب عنصرية ، بل ارتبطا بها . ويقال إن القديس توماس عاتب امرأة عدة مرات إذ لم تتقبل فكرة أن العذراء مريم كانت يهودية . أما الأسطورة العرقية ، فتؤكد أن اليهود كانوا مستقلين ، أقوى من التاريخ ، السلطة الاجتماعية ، وكل شيء ، وهذه هى الخاصة الأساسية لمعاداة السامية . بعض الزعماء ، مثلاً ، عارضوا مبادئ أ . نورمانت ، المؤلف الفرنسى المشهور بمعاداة اليهود فى كتابه الرائج اليهودى الفرنسى (١٨٨٦) . وقد قدم أعداء السامية من الألمان كتباً مشابهة .

ومن الضرورى توضيح أن بعض الجماعات المحافظة استغلت معاداة السامية لمصالحها ، وأن أعداء السامية استغلوا هذه الجماعات أيضاً ، وإن اختلفوا فى كل شيء آخر . الأعداء عادة لم يكونوا أثرياء اليهود ، بل من تعامل معهم . نورمانت هاجم أسراً حاكمة ، ونبلاء ، ورجال دين ، وحتى البابا ذاته .

يعتمد مدى تأثير معاداة السامية فى عصرنا ، وقدرتها على استخدام المحافظين ، على عدة عوامل :

فأولاً : يوجد تراث قديم معاد لليهود ، يسبق الديانة المسيحية ، فى عدة دول أوروبية . أما مدى النجاح فى استخدامه ، فيتوقف على الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى كل موقع .

الكنيسة البروتستانتية تقبلت معاداة السامية حيناً ، فى استونيا مثلاً ، ولكنها فى ألمانيا وسويسرا عارضتها وانتقدتها .

ثانياً : معاداة السامية تعبير عن كراهية الأجانب ، أو الرغبة فى مجتمع " طاهر " لا يحوى إلا جنساً بعينه . وفى عدة دول أوروبية حوالى عام ١٩٠٠ (وحتى عصرنا) كان اليهودى هو الغريب الوحيد . كما كان ذلك واقع الحال فى ألمانيا . الكراهية تتركز على الحاضر الموجود ، لا الغائب البعيد ، خصوصاً فى ظروف ذلك الزمان ، حين غاب السفر والسياحة وبقي أغلب الناس فى بلادهم فى أوقات السلام .

ثالثاً : إن اتجاهات التحالف بين المحافظين وأعداء السامية وازت قوى وقدرات أعدائها ، وهم دعاة التحرر والاشتراكية - تاريخياً ، القوى التى مارست بعدة طرق التراث الذى بدأ بالحرب من أجل استقلال ألمانيا (١٥٦٨ - ١٦٤٨) وحتى الثورة البريطانية والفرنسية . فى أوروبا حتى الساعة تجد من يدافع عن الثورة الفرنسية يرفض معاداة السامية . أما من انتقدها فقد يتحالف مع أعداء السامية ، ومن يبغضها ويود تدمير إنجازاتها هو الداعية لمعاداة السامية .

ومع ذلك ، فمن الضرورى التفرقة بين المحافظين وأعداء السامية . فالعنصرية (ومعاداة السامية جزء منها) تزدهر فى ظروف اجتماعية معينة ، ثم تشتد قوتها بسرعة ، ولا يمكن فهمها حسب قوانين الصراع الطبقي ، أو مصالح الدول . ولعل المعرفة الاجتماعية تزداد يوماً حتى نفهم أسباب النزعات العنصرية فى نفسية البشر . حيث لا يوجد زعيم فى العالم استطاع التنبؤ بمدى الشر الذى فجرتة النازية .

رد الفعل الصهيونى :

تاريخياً ، تعتبر الصهيونية رد فعل لمعاداة السامية ، وكذلك تحالف محافظ معها . وإن لم يدرك الصهاينة مع من تحالفوا .

وحتى صعود معاداة السامية المعاصرة ، تفاعل اليهود الأوروبيون أكثر من اللازم . وبدا ذلك واضحاً ، ليس فقط في خروجهم عن تجمعاتهم التقليدية ، ودعوتهم للتنوير اليهودي الذي بدأ في ألمانيا والنمسا واتسع ليشمل شرق أوروبا ، حتى بات قوة مؤثرة نتج عنها إعادة إحياء الأدب العبري . ولكن الحركة عموماً أمنت بفكرتين : أولاً : ضرورة تحليل ونقد المجتمع اليهودي ، وخصوصاً الدور الاجتماعي للديانة اليهودية في المرحلة الكلاسيكية ، والأمل في انتصار قوى الخير في أوروبا . وهذه القوى هي التي عاينت في تحرر اليهود .

كان نمو معاداة السامية وشيوعها ، واتفاق القوى المحافظة عليها ، ضربة قاصمة للتنوير اليهودي . فقد تحرر بعض اليهود في بعض المجتمعات ، وبقوا غير متحررين في دول أخرى . يهود الإمبراطورية النمساوية ما وصلوا أبداً لحقوق المساواة مع غيرهم حتى عام ١٨٦٧ . في ألمانيا ، أعطى بسمارك اليهود المساواة مع الآخرين عام ١٨٧١ . أما في الإمبراطورية العثمانية ، فكان اليهود ضحية سياسة تفرقة قانونية رسمية حتى عام ١٩٠٩ . وفي روسيا ، ورومانيا ، حتى عام ١٩١٧ . وهكذا ، فإن معاداة السامية الحديثة بدأت خلال عقدين منذ تحرر اليهود في وسط أوروبا ، وقبل تحرر يهود روسيا وهم أكبر تجمعات اليهود آنذاك .

وهكذا ، تجاهل الصهاينة نصف الحقائق ، وعابوا إلى مواقف الانفصال التي شاعت بين اليهود خلال اليهودية الكلاسيكية ، والادعاء أن غير اليهود يوماً بغضوا اليهود ، وأن الحل الوحيد هو نقل اليهود إلى فلسطين ، أو أوغندا . بعض نقاد الصهيونية الباكرين لاحظوا أن فكرة استحالة التعايش بين اليهود وغير اليهود تجمع الصهاينة وأعداء السامية ، وكذلك أن جمع اليهود في مكان واحد سيؤدي لتركيز الكراهية ضدهم في ذلك المكان ، وهو ما حدث بالفعل .

وفي الواقع ، فقد وجدت دائماً علاقات حميمة بين الصهيونية وأعداء السامية . توهم الصهاينة أنهم يقدرّون على استخدام معاداة السامية لصالحهم . توجد أمثلة كثيرة على هذا الوضع : تعاون هرتزل مع الكونت فون بليزفي ، القس المعادي لليهود في عصر القيصر نيكولاس الثاني . جابوتسكي اتفق مع بتليورا ، القائد اليوكريني الذي قتلت قواته حوالي مليون يهودي في عام ١٨٨٨ - ١٩٢٠ .

وقد يكون أهم الأمثلة على هذا الوضع سعادة بعض الزعماء الصهاينة بوصول هتلر للسلطة في ألمانيا ، إذ شاركوه فكرة أهمية الجنس وكراهية خلط اليهود بالجنس الأرى . هنأوه بالانتصار على دعاة التحرر . د. جواكيم برنر ، وهو حبر صهيونى هاجر لاحقاً إلى الولايات الأمريكية ، ويات رئيساً للمحفل الصهيونى العالمى ، وشخصية رئيسية فى التنظيم الصهيونى الدولى (وصديق شخصى لجولدا مائير) نشر عام ١٩٣٤ كتاباً خاصاً ، Wir Juden (نحن اليهود) للاحتفال بما يسمى ثورة هتلر وهزيمة القوى التحررية ، يقول فيه :

معنى الثورة للأمة الألمانية سيوضحه من صنعوها وصاغوا صورها . لنا ، نحن اليهود ، المعنى واضح ، وهو هزيمة النزعات التحريزية التقدمية . القوة السياسية التى دعت لأن يندمج اليهود فى المجتمعات التى يحيون فى وسطها قد سقطت .

يقول د. برنر بشأن انتصار النازية التى تعارض زواج اليهود من أوريين "لا يحزننا هذا" . " فحجر اليهود سوياً " إنما هو " تحقيق لرغباتنا . " ويستطرد قائلاً:

نريد بدلاً من الانصهار فى المجتمع قانوناً جديداً : وهو انتمائنا إلى الأمة والعرق اليهوديين . دولة تنشأ على مبدأ طهارة العرق والأمة سيحترمها اليهودى الذى ينتمى لها . وهو أن يحتاج للانتماء لدولة أخرى ، والدولة لا تريد إلا اليهود الذين ينتمون لها . لا نريد المنافقين ، نتوقع من كل يهودى الإيمان والإخلاص . فقط من سيحترم عرقه وبمه سيقدر الأمم الأخرى .

والكتاب ملئ بأفكار تجامل النازية ، وتشمت بفشل القوى التحررية والثورة الفرنسية ، بل ويتنبأ الكاتب بأن رسوخ أسطورة الجنس الأرى ستساعد أسطورة الجنس العبرى كذلك .

والواقع هو أن الصهاينة يتصورون أن الفلسطينيين هم ذات الفلاحين الذين شاركوا فى ثورة تشكلمنيسى ، وأنهم أعداء السامية ، حلفاء النازية .

ومن المؤكد أن د. برنر ، مثل غيره من المتعاطفين ودعاة النازية ، لم يعرف إلى أين اتجهت الحركة . وكذلك لا يدرك الكثيرون إلى أين تتجه الصهيونية فى عصرنا :

إلى أى خليط من كراهية اليهود للأديان الأخرى ، الأغراب ، وإلى استخدام كل أنواع الاضطهاد لليهود بشكل لا تاريخى من أجل تبرير وتمرير اضطهاد اليهود للشعب الفلسطينى .

مواجهة الماضى :

كل يهودى يرغب فى تحرير ذاته من الماضى اليهودى يحتاج لمواجهة مشاعره حيال معاداة الناس لليهود فى العصور القديمة ، خصوصاً ثورات الفلاحين الذين قتلوا من استطاعوا الوصول إليه من اليهود . ومن ناحية أخرى ، كل المعتذرين عن أحوال الديانة اليهودية ، الداعين للفصل والعنصرية يحتاجون لاتخاذ موقفهم بشأن ذات القضية . الحقائق التى لا يمكن التشكك فيها ، وهى أن الثوار نكلوا باليهود (وغيرهم ممن اضطهدوهم) تستخدم من قبل المدافعين عن الصهيونية ، بذات الطريقة التى يستخدمون بها فكرة الإرهاب لعدم تقديم العدالة للفلسطينيين .

إجاباتنا لابد أن يتم تطبيقها على جميع الأحوال . اليهودى الذى يود التحرر من العنصرية ومن الجانب العنصرى لديانة اليهود ، سيكتشف أن ثورات الفلاحين لم تكن ضد اليهود فحسب ، بل شاعت طوال التاريخ . فبعد ثورة تشيملنسكى ، ثار الفلاحون الروس بقيادة ستيفا ريازين . وبعد مائة عام أخرى ، حدثت ثورة بوجاتشيف . فى ألمانيا ، حدثت ثورة الفلاحين عام ١٥٢٥ . وفى فرنسا ، حدثت ثورة الجاكولاي عام ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ، وغيرها . الكثير من الثورات فى جميع أرجاء العالم تميزت بالعنف والدموية ، وذلك يشمل حتى الثورة الفرنسية . وما هو موقف المثقفين تجاه هذه الحقيقة: هل يقول المؤرخون البريطانيون إن الفلاحين الثوار فى أيرلندا " معانون للبريطانية ؟ " . ولكن المثقفين اليهود يتصورون أن الفلاح الثائر عنصرى ، على الرغم من استفادة اليهود من معاناته .

" من لا يتعلم من مواجهة التاريخ يضطر لتكراره " حقيقة نراها فى حالة اليهود الذين يعيدون الماضى للحياة فى سياساتهم الصهيونية . فإسرائيل اليوم تعمل كشرطى يضطهد المجتمع حوله ، تماماً مثل يهود بولندا عام ١٧٩٥ . يبدو وكأن الصهيونية أعادت إسرائيل إلى اليهودية الكلاسيكية ، وفى ظروف أشد خطورة .

لابد لنا من مواجهة الماضى اليهودى وعلاقته بالحاضر ، بدلاً من الكذب بشأنه وتقديسه . الصديق ضرورى فى هذه المواجهة ، وإضافة إلى ذلك ، الإيمان بمبادئ أخلاقية إنسانية وسياسية .

وقد كتب الحكيم الصينى منسيوس (القرن الرابع قبل الميلاد) ما يلى :

أقول إن الناس يتعاطفون مع بعضهم البعض للسبب التالى :
لو شاهد رجل طفلاً يسقط فى بئر ، يحاول مساعدته . وذلك ليس من أجل الوصول لرضا والذى الطفل ، أو مجاملة للناس ، أو خوفاً من العقوبة إن فشل فى إنقاذه . وهكذا نرى أن للإنسان شعوراً بالتعاطف والخجل ، بالصواب والخطأ . وهذا التعاطف هو بدء الإنسانية ، والشعور بالخجل هو بدء الأخلاق ، والشعور بالصواب والخطأ هو بدء الحكمة . ولكل إنسان هذه المشاعر ، ومن لا يؤمن بوجودها فى أعماقه يدمر نفسه .

والواقع ، كما سنرى فى الفصل اللاحق ، هو أن تعاليم التلمود تتعارض تماماً مع هذه المشاعر . من أجل ثورة يهودية ، حتى تصير ديانة إنسانية ، وتسمح لليهود بإدراك وفهم ماضيهم ، والتحرر من سطوته ، لابد من انتقاد أخطاء ارتكبت خلال التاريخ اليهودى ، ومراجعة حتى بعض القواعد التلمودية . بلا خوف أو مجاملات ، لابد لنا من الحديث عن ماضيها .

الفصل الخامس

قوانين ضد الأجانب

كما أوضحنا فى الفصل الثالث ، فإن النظام القانونى لليهودية الكلاسيكية - كما مارسها اليهود - منذ القرن التاسع حتى أواخر القرن الثامن عشر ، تعتمد على التلمود البابلى . ومع ذلك ، وبسبب تعقيد الصيغ القانونية المذكورة فى التلمود ، فقد أعيدت صياغتها حتى تكون أقرب لفهم الفرد غير المتخصص . وكان لبعض التفاسير لهذه القوانين سلطة كبيرة . ولهذا السبب سنعتمد على هذه الشروح التى تقدم صورة صادقة لمعنى النص التلمودى .

أقدم صيغ القانون التلمودى هى - مشراب تاراب - التى كتبها موسى بن ميمون فى القرن الثانى عشر . وأهم أنظمة التفسير - الشائعة فى عصرنا - هو - سولهان أروخ - الذى ألفه يوسف كاروفى أواخر القرن السادس عشر . واختصر فيه كتاباً أطول كتبه للمختصين . وكتاب سولاه أروخ قد درسه وعلق عليه الكثيرون . فبالإضافة للشروح الكلاسيكية التى تعود للقرن السابع عشر ، هناك شرح مهم فى القرن العشرين ، وهو مشرنوب بروراب . وأخيراً ، فإن موسوعة التلمود ، التى ألفها أهم علماء الأحبار ، تحوى دراسات أساسية جيدة عن التلمود . وعلى هذه التفاسير الشائعة للتلمود سنعتمد فى هذا الفصل .

القتل :

تؤكد الديانة اليهودية أن قتل يهودى من الكبائر (ومثلها: الزنى، وعبادة الأصنام). المحاكم اليهودية الدينية والسلطات المدنية تعاقب بقسوة من يقتل يهودياً . أما إن قتل

يهودى آخر بدون تعمد ، فجريمته تعد ضد " قانون الرب " وللرب ، لا الإنسان ، محاسبته عليها .

أما إن كان القتل غير يهودى ، فالوضع مخالف تماماً . اليهودى الذى يقتل غير يهودى متعمداً يعتبر قد ارتكب جريمة ضد " قانون الرب " لا يعاقب عليها القانون .

وهكذا تقول بعض كتب التفسير إنه لا يحق قتل غير اليهودى ، ولكن يمكن إيذائه بطريقة غير مباشرة . مثلاً ، إن سقط فى حفرة يمكن رفع السلم وتركه فيها . ولكن فعلاً سيسبب وفاة غير اليهودى محرم إن كان سيسبب العدوانية تجاه اليهود . أما إن كان القاتل والضحية من غير اليهود ، فلا بد للمحكمة اليهودية من إعدامه . وإن كان الضحية غير يهودى . وتحول القاتل لليهودية ، فلا عقوبة تسرى عليه .

ولجميع هذه القواعد تأثيرات عملية على دولة إسرائيل . فعلى الرغم من أن قوانين الدولة الرسمية لا تفرق بين اليهودى وغير اليهودى ، فالأخبار يقدمون هذا النصح لأتباعهم ، وخصوصاً بما أن القانون ضد غير اليهود ينطبق فقط على " غير اليهود فى أحوال السلم " . فالكثير من المصادر تؤكد أن أى فرد غير يهودى ينتمى لدولة معادية يمكن قتله . ومنذ عام ١٩٧٣ ، يتم تدريس هذه السياسات للجنود . وأول نصائح رسمية قدمت فى كتيب نشرته القيادة المركزية للجيش الإسرائيلى ، الذى عمل فى الضفة الغربية . وفى هذا الكتيب ، نقراً ما يلى :

حين تصل قواتنا لمدنيين فى غارة أو أثناء غزو ، فى أحوال عدم التأكد من أنهم غير قادرين على إيذاء قواتنا ، فحسب قوانين ديننا يجدر بنا قتلهم . ولا يمكن فى أى وقت الثقة بعربى ، مهما بدا متحضراً فى سلوكه .

وذات القوانين مفصلة فى الرسائل التالية بين جندى إسرائيلى وحبره ، فى الكتاب الدينى السنوى ، Midrashiygat Noam ، الذى يتناول الكثير من القواد والنشطاء السياسيين بالتحليل :

رسالة من الجندى موشى إلى الحبر سيبين :

إلى الحبر الغالى :

أولاً ، أرجو أن تكون وأسرتك بخير حال . اعذرني إن لم أكتب لكم منذ زمن . وأرجو أن أستطيع زيارتكم فى إجازة قريبة ، إن استطعت لذلك سبيلا .

وبعد . خلال نقاش مع رفاقي فى الكتيبة ، تساءلنا: إن كان سلاحنا " طاهراً " إن قتلنا رجالاً غير مسلحين ، أو نسوة وأطفالاً؟ وهل يحق لنا الانتقام من العرب ؟ أجاب: كل فرد حسب معرفته . تحيرت ولم أصل لجواب . فهل يحق لنا قتل العرب حتى يُفَنوا جميعاً ، أم يجبر بى أن أقتل الجنود فحسب ؟

مشكلة ثانية هى هل يحق لى أن أعرض نفسى للخطر لو أبقيت امرأة حية ؟ فالنسوة أحياناً يلقين بالقنابل . وهل يحق لى تقديم كأس ماء لامرأة عربية إن رفعت يدها مدعية الاستسلام ؟ يمكن أن يكون فى ذلك خدعة لقتلى . أختتم رسالتى بالشكر الجزيل لك ، ولأسرتك - موشى .

الإجابة :

تحيات يا عزيزى موشى :

أبدأ رسالة الاستجابة على أسئلتك هذا المساء وإن أستطيع إتمامها . إذ ستكون رسالة طويلة . أود تقديم إجابات شافية ، ومن أجل ذلك سأستشهد بأقوال الحكماء ، وأعتمد على الذاكرة وتفسير ما قالوه .

لبقية الأمم الحرب لعبة لها قواعدها ، مثل الشطرنج أو كرة القدم . ولكن اليهود لا يعتبرون الحرب لعبة بل ضرورة قصوى وهذا هو معيارنا الذى يحدد ما نفعله . فلولاً ، يقولون إن قتل اليهودى لغير اليهودى جريمة نكراء ، وإن لم يحق لمحكمة معاقبته ، فسوء فعله مثل أى جريمة أخرى . ومع ذلك ، فلأحد عظام الأحيار وهو الحبر شيمون يقول : " اقتل أفضل من هم من غير اليهود . فأفضل الثعابين لا تستحق سوى قطع رأسها " .

قد يكون معنى : اقتل " فى مقولة ر. شيمون رمزى ، إذ قد يعنى سيطر على غير اليهودى . وبهذه الطريقة نتجنب تناقض أقواله مع الأقوال التى استشهد بها سابقاً . وربما يكون ما قاله رأى شخصى ، لا يتفق معه حكماء آخرون . ولكننا نجد التفسير الصابق فى التوالوت ١٢ ، ٢٦ . فهناك ، نرى التعليق الصائب على القاعدة التلمودية أنه لا يجب مساعدة غير اليهودى إن سقط فى حفرة ، وكذلك لا يجب دفعه ، مما يعنى أنه لا يجدر قتل أو إنقاذ من هم من غير اليهود . يكتب توسافوت ما يلى :

" أما مقولة اقتل أفضل من هم من غير اليهود ، فتعنى اقتلهم خلال الحرب . فلا بد من التفرقة فى التعامل بين فترتى الحرب والسلم . قتل غير اليهودى محرم خلال فترات السلام ، أما خلال الحرب ، فلا بد (من الواجب الدينى) قتلهم ."

وهذا هو الفرق بين اليهودى وغير اليهودى . فالقاعدة التلمودية القائلة : " من يأتى لقتلك ، اقتله أولاً " . تنطبق على اليهود ، ولكن فقط إن شكوا بشكل حقيقى أن القادم يود قتلهم . لا يحق لهم قتله إلا إذا كانت نواياه شريرة ، وهذه هى قاعدة " طهارة السلاح " - المذكورة فى نصوص الدين ، لا القواعد الحديثة التى يتقبلها الجيش الإسرائيلى والتى أدت لوفاة الكثيرين بين صفوف جنودنا . أترك لك مع رسالتى جزءاً من جريدة تذكر خطاب الحبر كالممان كاهانا ، يوضح بشكل محزن كيف تؤدى قاعدة طهارة السلاح للموت .

وأنا أختتم رسالتى هنا ، راجياً أن تجد فيها فائدة .

السلام معك ، ومع جميع اليهود .

المخلص شيمون .

إجابة موشى :

إلى السيد الميجل ، الحبر الجليل :

أرجو أن تكون وأسرتك الكريمة ، بخير حال وأحسن صحة .

أشكرك على عنايتك بى ، التى تجسدها رسالتك الطويلة . فلتنا
أعرف أنك تستجيب لأسئلة الكثيرين ، وما يتبقى من وقتك أقل .
مما تحتاج إليه لإنجاز دراساتك الخاصة .

ولذلك أشكرك بعمق .

فهمت ما يلى من رسالتك :

" فى أثناء الحرب ، لا يحق لى ، بل لابد من قتل كل عربى وعربية
أراهما ، إن شككت فى تعاونهما مع الطرف الآخر . ولابد لى من
قتلهما حتى إن تعارض ذلك مع قوانين الجيش . أما قانون
" طهارة السلاح " ، فيجدر بالكليات العسكرية دراسته وتبسيطه
بحيث يصير واضحاً سهل الفهم . فحتى المتدينين بين الجنود
لا يفهمونه جيداً بعد . وأتمنى أن تسعى وراء هذا الأمر بجدية ،
حتى نسير على خطى أجدادنا . أختتم رسالتى ، راجياً أن
أستطيع زيارتكم خلال شهر .

مع جزيل الشكر والتقدير . موسى

من الواضح أن قواعد الديانة اليهودية بشأن القتل تتعارض ، لا فقط مع قوانين
الدولة ، ولكن ، كما تلمح الرسالة ، مع قانون الجيش ذاته . وليس هناك مجال للشك
فى أن هذه القواعد تؤثر على مجرى العدالة ، خصوصاً فى الجيش . فالحقيقة هى أن
اليهود ، حين ارتكبوا القتل ، فى سياق عسكري ، أو شبه عسكري ، وحتى حين
ارتكبوا المجازر ، كما حدث فى كفر قاسم عام ١٩٥٦ ، فى جميع هذه الأحوال ، كانت
العقوبات أقل بكثير مما ينبغى أن تكون .

إنقاذ الحياة :

قضية القيمة المطلقة لحياة الإنسان والواجب المفروض على كل فرد لإنقاذ حياة
غيره - أمر مهم فى حد ذاته . وهو كذلك مهم فى سياق اليهودية ، حين نتذكر أنه ،
منذ الحرب العالمية الثانية ، أدان اليهود العالم بأكمله - أو أوربا - لوقوفها جانباً حين

تعرضوا للقتل الجماعى . فى الديانة اليهودية ، لا واجب أهم من إنقاذ حياة يهودى .
ذلك الواجب الذى يفوق كل المسئوليات والمعوقات ، باستثناء الكبائر الثلاث : القتل ،
الكفر ، زنا المحارم .

أما غير اليهود ، فالقانون التلمودى هو عدم إنقاذهم ، وإن حرم قتلهم . التلمود
يؤكد تلك الحقيقة . " لا ترفع غير يهودى من بئر سقط فيها ، ولا تسقطه فيها " .
موسى بن ميمون يقول : " أما من هم من غير اليهود فى أحوال السلام ، فالدين يحرم
قتلهم ، ولكن يحرم على اليهودى كذلك إنقاذهم إن أمن مغبة ذلك . فمثلاً ، إن سقط
أحدهم فى البحر ، فلا داعى لإنقاذه . فمن هو غير يهودى ليس الصديق الذى تشمله
القاعدة التى تقول : " لا تقف على دم رفيقك " .

ولا يحق لطبيب يهودى إنقاذ حياة غير اليهودى . بل إن موسى بن ميمون ، وهو
طبيب معروف ، صريح بهذا الشأن . فهو يذكر أن " الرفيق " ليس " غير اليهودى " .
ويؤكد " إنه من المحرم إنقاذ حياة مريض غير يهودى ، حتى مقابل مال " .

ولكن رفض الطبيب اليهودى إنقاذ حياة غير اليهودى قد يؤدى لمعاداة غير اليهود
للإهود ويخاطر بحياتهم . وحين يحدث ذلك ، يعاون الطبيب المريض ، ولكن مقابل مبلغ
من المال ، هكذا يقول موسى بن ميمون : " ولكن إن خشيت عدوانيته ، فأنقذه مقابل
شئ من المال . فإنقاذه مجاناً محرم " . وفى الواقع ، فإن موسى بن ميمون كان
طبيب صلاح الدين الأيوبي . وهو يقر بضرورة أن يدفع المريض للطبيب " رمز على
أن العلاج واجب مفروض " . ولكنه كذلك يسمح أحياناً بالعلاج مجاناً ، إن لم يجد أى
سبيل آخر .

وهذه القاعدة ، منع إنقاذ حياة غير اليهودى ، وإيقاف القاعدة حين الخوف من
العدوانية ، تكررها شخصيات جدية أخرى ، مثل : أريا تورم ، وشولهان أروك فى
القرن الرابع عشر . بيت يوسف يقول أيضاً مستشهداً بموسى بن ميمون : " يحق
لطبيب يهودى تجربة نواء جديد على مريض غير يهودى ، إن كان لذلك فائدة " .

وقد اتفق كافة العلماء على أن القواعد التى نذكرها تنطبق على جميع من هم من
غير اليهود . الصوت الوحيد المعارض هو ر . موسى ريفكس ، وهو كاتب لتعليق غير
مشهور على Shulkan Arukh ، الذى يكتب ما يلى :

حكماؤنا يقولون غير يهودى لوصف من عبد الأصنام ، ولم يؤمن
بالنبي موسى ، الذى أخرج اليهود من مصر ، أو بخلق الرب
للعالم . ولكن غير اليهود الذين نعيش فى ظلالهم اليوم ، بعد أن
تشقت شعبنا ، يؤمنون بخلق العالم والرسول موسى ، وهذه
مبادئ ديننا ، ويصلون لخالق السماوات والأرض . لا مانع من
معاونتهم، بل نتوجب علينا .

المدافعون عن اليهودية يوماً يستشهدون بهذه الفقرة التى تعود إلى النصف الثانى
من القرن السابع عشر . والواقع أنها جيدة ، ولكن لا تشمل سوى المسلمين
والمسيحيين ، وتتجاهل مؤمنين بديانات أخرى ، وهم غالبية البشر . والفقرة على كل
حال توضح إمكانية وجود تفاسير إنسانية للتمود . ولكن الواقع هو أن أغلب السلطات
اليهودية رفضت أفكار ريفكس ، بدلاً من توسيع مجالها .

كسر استراحة السبت لإنقاذ حياة :

القيام بالعمل اللازم لإنقاذ حياة يهودى يوم السبت فرض دينى .

لا يهتم التلمود بقضية إنقاذ حياة غير اليهودى يوم السبت ، أو فى باقى الأيام .
ولكن القضية يتم تناولها فى سياقين .. فتولاً : إن وجدت مجموعة من الناس ، يحتمل
وجود يهودى بين أفرادها ، فهل يجب كسر إجازة السبت لإنقاذ حياتهم ؟ أحد
الأخبار، وهو شولهان أروخ ، يعتقد أن قوانين الاحتمالات تحسم هذه القضية . فمثلاً ،
لنتصور سقوط عمارة يسكنها يهودى ومعه تسعة من غير اليهود يوم السبت . وأن أحد
العشرة فى الخارج . هل يجب رفع حطام العمارة يوم السبت للتأكد من سلامة
اليهودى ؟ شولهان أروخ يجيب بالإيجاب ، نظراً لأن إمكانيات وجود اليهودى فى
العمارة كبيرة . ولكن لنتصور أن تسعة كانوا فى الخارج ، وواحد فقط فى الداخل -
ولا نعرف من ؟ فى هذه الحالة لا يتوجب رفع حطام العمارة ، نظراً لأن إمكانيات
وجود اليهودى فى الداخل قليلة . مثال آخر : إن تعرض قارب يحوى بعض اليهود
لعاصفة بحرية كان واجب اليهود كسر إجازة السبت لإنقاذهم . ولكن الحبر الأكبر،
أويفا إيجر (توفى عام ١٨٢٧) يقول إن هذا القانون يطبق فقط حين يتم التأكد من

وجود يهود على سطح القارب . أما فى حال عدم معرفة أى معلومات عن يتواجد على سطحه ، فلا يحق لليهود كسر استراحة السبت ، إذ يجدر بالمرء التصرف حسب قوانين الاحتمالات ، والواقع هو أن غالبية سكان العالم ليسوا يهوداً . وهكذا ، بما أن الركاب ليسوا يهوداً ، فلا مانع من غرقهم .

وثانياً : القانون الذى يطالب بإتخاذ حياة غير اليهودى درءاً للخطر يتوقف تنفيذه يوم السبت . حين يطلب غير اليهودى خلال أيام الأسبوع مساعدته ، يضطر الأخير للموافقة خوفاً من الأذى الذى قد يلحق به وجماعته . أما السبت ، فيحق لليهودى الاعتذار لأن دينه يحرم عليه ذلك . هناك مثلاً قصة فى التلمود عن امرأة يهودية طلب منها مساعدة غير يهودية أثناء الولادة . فقالت القابلة : يحق لى مساعدتكم طوال الأسبوع ، ولكن السبت لا أستطيع أن أساعد سوى اليهود . وهل هذا تفسير أم تبرير؟ القانون باختصار ، هو ألا يساعد اليهودى غير اليهودى يوم السبت ، حتى مقابل مال .

ومع ذلك ، فهذا القدر غير مقنع أو غير كاف لتجنب المعاداة . ولذلك تساهل بعض الأخبار مع هذا القانون وسمحوا بمعاونة غير اليهود ، وخصوصاً الأثرياء منهم ، الذين يقدر على إيذاء اليهود ، وهكذا يؤكد ر. بول سيركس ، مؤلف بين حداث ، وأحد أهم أخبار بولندا فى القرن السابع عشر ، على ضرورة إنقاذ " العمداء ، النبلاء ، والأرستقراطيين ، نظراً لخطورة عدم ممارسة ذلك . ولكن ، إن أمكن مخادعة غير اليهودى والتخلص منه ، فإن الطبيب اليهودى سيمارس الخطيئة إن تعاون معه . ولاحقاً خلال ذات المرحلة ، صدر حكم آخر مشابه ، فى مدينة منيز الروسية ، التى جمع جزئياً جسر منع اليهود من المرور عبره يوم السبت . ولكن حبر المدينة قرر أنه يحق لطبيب يهودى اجتيازه إن طلبه المحافظ . فيما أن الناس يرون الطبيب يجتاز الجسر لعلاج اليهود المرضى ، فإن المحافظ قد يغضب إن رفض الطبيب معاونته .

القضية الأساسية فى هذا النقاش هى العذر ، لا العلاج ، أو صحة المريض . النصوص كذلك تؤكد على حق مخادعة غير اليهود ، لا معالجتهم ، ما دام التحرر من العدوانية ممكناً .

من المؤكد أن أغلب الأطباء اليهود لا يعرفون هذه القواعد . وبعض الأطباء من المتدينين قد يفضلون الالتزام بقانون هيوقراط بدلاً من قوانين الأخبار . ولكن نصائح الأخبار قد أثرت على البعض ، والغالبية ، إن لم تكن قد اتبعت هذه القوانين ، فهى لم تحتج عليها .

وبعد دراسة موقف اليهودى تجاه حياة غير اليهودى ، سنتعامل مع قوانين أخرى تظهر ذات النزعة العنصرية . سنذكر فقط بعض القوانين ، نظراً لكثرتها :

الجرائم الجنسية :

الاتصال الجنسي بين امرأة يهودية متزوجة وأى رجل باستثناء زوجها من المحرمات ، ومن الكبائر الثلاث فى الديانة اليهودية . أما المرأة غير اليهودية ، فسواء تزوجت أم لا ، فإن فكرة الزواج لا تنطبق عليها . يعتبر التلمود أن ممارسة يهودى للزنا مع امرأة غير يهودية فاحشة توازى الجنس مع الحيوانات . والموسوعة التلمودية تؤكد أن اليهودى الذى يمارس الخطيئة مع امرأة غير يهودية لا تحقق عليه جريمة القتل . ولكن ذلك لا يعنى تقبل الديانة اليهودية لهذه العلاقة . ولكن العقوبة تفرض على المرأة . فلا بد من إعدامها حتى لو كان الرجل قد اغتصبها ، فالشر قد حل بها بسببه . ولكن اليهودى يجلد ، وإن كان من الأحبار ، فسيتضاعف عدد الجلادات التى يواجهها .

الوضع الاجتماعى :

لا يحق لغير اليهودى الوصول لوظيفة تتحكم فى أى جزء من حياة اليهود ، مهما ضعفت قيمتها العملية (وأشهر مثال على ذلك هو قائد العشرة جنود فى الجيش الإسرائيلى) . وهذه القاعدة تنطبق كذلك على من يتحول إلى اليهودية (نظرياً حتى الجيل العاشر) .

غيراليهود يعتبرون من الكذابين ، ولا يمكن قبول شهاداتهم فى المحكمة . ووضعهم شبيه بوضع المرأة اليهودية ، ولكنه أسوأ فى الواقع . فاليهودية تشهد فى بعض القضايا ، وتصديقها المحكمة المدنية . أما غير اليهودى - فلم يحدث حتى الساعة أن قبلت أى محكمة دينية فى إسرائيل شهادته .

تحدث صعوبة حين تحتاج محكمة لإثبات حدث لم يشهده سوى غير اليهود . ومثال على هذا أحوال الأرامل . فالديانة العبرية تهب الأرملة الحق فى الزواج ثانية -

ولكن فقط إن شاهد أحدهم زوجها يموت ، أو تعرف على الجثة . المحكمة تعترف في هذه الأحوال بقول يهودى سمع غير اليهود يؤكدون ذلك ، ولكن بدون مساعدههم بهذا الشأن ، فإجابة غير اليهودى على سؤال اليهودى تعتبر كذبة .

المال والملكية :

١ - يحرم التلمود تقديم الهدايا لغير اليهود . ولكن الأخبار تساهلوا مع هذا القانون لأن رجال الأعمال يقدمون الهدايا لتكوين الصلات الضرورية أثناء العمل . وهكذا يسمح لليهودى تقديم الهدايا أثناء العمل لأن ما يقدم لا يعد هدية ، بل استثماراً . الهدايا للأغراب غير مقبولة . وذات القانون ينطبق على الصدقات التى تقدم لمساعدة فقراء اليهود . أما التصديق على غير اليهود فيسمح به من أجل السلام . ومع ذلك ، فتوجد إنذارات ضد تعويد غير اليهودى على تقبل صدقات اليهود ، بحيث يمكن قطعها بدون خلق عداوة غير ضرورية .

٢ - المفقودات : إن عثر يهودى على أغراض مفقودة من يهودى ، يطلب منه إرجاعها ، أو الإعلان عنها . أما إن كان صاحب المفقودات من غير اليهود ، فالتلمود يحرم إرجاع ما فقده له . فى العصور الحديثة ، حين تفرض القوانين إعادة المفقودات لأصحابها ، طلب الأخبار من اليهود احترام قانون الدولة التى يعيشون فيها ، ولكن بدون بذل جهد للعثور على صاحب المفقودات إن كان من غير اليهود .

٣ - الخداع فى العمل . مخادعة أى يهودى لآخر محرمة . ومن المحرم كذلك خداع غير اليهودى بأسلوب صريح . المباح هو الخداع المبهم ، إلا إذا أدى لإيجاد عداوة ضد اليهود . المثال المعروف هو خطأ فى الحساب أثناء الشراء . إن أخطأ يهودى فى الحساب ملحقاً بنفسه الضرر ، فواجب اليهودى الآخر تصويبه . أما إن أخطأ غير يهودى ، فيجدر باليهودى القول : " اعتمد على حسابك " حتى يتجنب عدوانيته إن اكتشف الخطأ لاحقاً .

٤ - الغش : غش يهودى عن طريق رفع سعر بضاعة محرم . ولكن الغش غير محرم مع غير اليهود .

ه - النهب : السرقة ، بدون قوة ، محرمة تماماً في اليهودية . السرقة بالقوة (النهب) محرمة إن كان ضحيتها من اليهود . ولكن نهب اليهودي بالقوة لأملك غير اليهودي محل ، خاصة إن كان تحت حكم اليهود . وهذا يوضح سبب عدم احتجاج الأحرار على نهب اليهود لأراضي الفلسطينيين في إسرائيل .

أوضاع غير اليهود في إسرائيل :

بالإضافة للقوانين العامة ضد غير اليهود ، هناك قوانين خاصة تتعلق بالتعامل مع غير اليهود المقيمين في إسرائيل ، أو من يمرون خلالها . وهذه القوانين مصنوعة للتأكيد على سلطة اليهود في هذه الدولة ، وأي دراسة لهذه القوانين توضح أنها تطبق من قبل الصهيونية في إسرائيل .

يمنع اليهود من بيع الأراضي - الحقول والمنازل - في إسرائيل لغير اليهود . يسمح بإيجار منزل في إسرائيل لغير اليهودي ولكن بشرطين : أولاً ، لا يستخدم المنزل للسكن بل لأهداف أخرى ، مثل تخزين الأغراض . ثانياً ، لا يمكن إيجار منازل ثلاثة مجاورة لمنزل المستأجر . والهدف من هذا الشرط هو منع الأميين من التجمع في مناطق اليهود . وكما يوضح زعماء جوش إيمونيم ، سؤال التعامل مع الفلسطينيين يعتمد على وضع اليهود . إن كان لهم حول وقوة ، فواجبهم هو طرد الفلسطينيين .

أحرار إسرائيل وتابعوهم يستشهدون دائماً بهذه القوانين . فمثلاً ، استشهد الأحرار بالقوانين التي تحرم تأجير ثلاثة منازل مجاورة لغير اليهود في مؤتمر عقده عام ١٩٧٩ لمناقشة اتفاقيات كامب ديفيد . واعتبر المجتمعون أن الحكم الذاتي أكثر مما يجب تقديمه للفلسطينيين . واليسار الإسرائيلي لا يجرؤ على مواجهة هذه الآراء .

بالإضافة لهذه القوانين التي تشمل الأميين المقيمين في إسرائيل ، هناك قوانين كثيرة كتبت في التلمود تحت على إبادة الأمم القديمة التي عاشت في فلسطين ، مثل : الكتانين ، والعمالقة . بعض الأحرار المؤثرين على ضباط الجيش ، يعتبرون أن الفلسطينيين امتداد لتلك الأمم القديمة ، بحيث تصبح الأوامر مثل : " لا تبق على حياة أي كائن يتنفس " تطبيقات معاصرة . والكثير من مجندي إسرائيل الذين يذهبون إلى غزة يستمعون لمحاضرات تؤكد أن الفلسطينيين " مثل العمالقة " . بل إن الأحرار برروا

بعض المجازر ، وشاعت خطبهم هذه بين المجتدين فى الجيش . وهناك أمثلة كثيرة على أقوال الأحبار المتعطشين لدماء الفلسطينيين ، مستندة على هذه المبادئ .

الإذلال :

الكثير من القوانين الدينية تخلق الاحتقار والكراهية للأمميين .

فى صلاة الصبح يحمد اليهودى الرب لأنه لم يخلقه أمميا . الجزء الختامى من تلك الصلاة يقول : " نشكر الرب لأنه لم يخلقنا مثل بقية الأمم التى تركع للأصنام وتصلى لأرباب لا تخدمها " . وهذا السطر الأخير قد حذف من كتب الصلاة ، ولكنه كان يقرأ شفها فى شرق أوروبا . وقد أضيف الآن للكثير من كتب الصلاة الجديدة . وفى القسم الأخير من الصلاة اليومية ، هناك لعنة تحل بالمسيحيين ، واليهود المتنصرين : " وعسى ألا يكون لهم أمل ، ويموتوا جميعاً فوراً " . وهذه الصيغة تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادى ، حين كانت المسيحية مجموعة صغيرة مضطهدة . قبل القرن الرابع عشر خففت إلى " عسى أن يحيا من يخون اليهودية بلا أمل " . وبعد ميلاد إسرائيل ، أعيدت الصلاة إلى صيغتها الأولى . وبينما كانت الكنيسة الكاثوليكية تغير صلاتها ، وتلقى الدعوة لرحمة الرب لليهود وهدايتهم ، وهى الصلاة التى عدها الأحبار معادية للسامية ، بدأت تجمعات اليهود تصلى متمنية موت المسيحيين . هناك أيضاً قوانين تمنع أى شكر أو تقدير لأعمال الأمميين . إلا حين يؤدى المدح لتقدير اليهود والأشياء اليهودية . لا يزال المتدينون يحترمون هذا القانون . فمثلاً ، حين التقت الإذاعة الإسرائيلية بالكاتب أجنون ، بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للأدب ، امتدح الأخير المؤسسة الأكاديمية الأدبية ولكنه قال : " أنا أعلم أنه لا يحق لى مدح الأمميين ، ولكن يوجد مناسبة للمدح " . أى أنهم قدموا الجائزة ليهودى .

ومن الممنوع كذلك مشاركة الأمميين أفراحهم ، إلا إذا سبب ذلك عدوانية ضد اليهود . وهناك أيضاً قوانين تمنع الصداقة بين اليهود والأمميين . فمثلاً ، لا يحق ليهودى تناول شراب شارك فيه أممى . وسبب هذا القانون هو إيمان الأحبار بأن الأمميين يصلون لأرباب أخرى ، وقد يطلبون من أربابهم مباركة الخمر الذى يشربونه ، مما يجعله محرماً على اليهودى . وهذا القانون ينطبق على جميع المسيحيين ، وبصيغة

أخرى على المسلمين ، (القنينة التي يلمسها مسلم يمكن بيعها أو إهداؤها ، وإن حرم شربها) .

وحيث يقرأ الأطفال من اليهود هذه القوانين ، يتعلمون باكراً أن امتداح الأميين خطيئة ، وأنهم جميعاً كفار ملعونون ، بل إن كتب الأطفال أسوأ من التلمود ، لأنها تشرح القوانين ، وتؤثر على عقول الصغار غير المدركين . ومن هذه الكتب اختار واحداً هو الأكثر شعبية وشهرة ، وتعاد طباعته كثيراً ، وتدعمه الدولة . واسمه كتاب التربية ، وكاتبه حبر مجهول من إسبانيا خلال القرن الرابع عشر . والكتاب يشرح الضرورات الـ (Mitzrör) ٦١٢ لليهودية حسب ترتيبها في الكتاب المقدس ، معتمداً على التفسير التلمودي . وسبب خلود الكتاب هو بساطة لغته ويسر أسلوبه .

ومن أهم أهداف الكتاب شرح معنى كلمات مثل "حديقة" "رجل" "إنسان" في التوراة . القسم الذي نذكره يتعلق بالقاعدة : " لا بد أن تحب قريبك كما تحب نفسك" يسمى " واجب حب اليهود " ويفسره المؤلف بالشكل التالي :

أن تحب كل يهودى يعنى أن تعنى به وبماله كما نعنى بنفوسنا ومالنا . فقد كتب : " لا بد أن تحب رفيقك كما تحب نفسك " .
والحكماء من الأحبار يقولون : " عامل الناس كما تحب أن يعاملوك . " والكثير من الالتزامات الدينية تنتج عن هذه القاعدة .
فمن يحب إنساناً لا يسرق ماله . أو يخونه مع زوجته ، أو يسرق أرضه ، أو يلحق به أى ضرر .

أما بالنسبة للنص القائل بضرورة إبقاء العبد الأسمى إلى الأبد ، وتحرير العبد اليهودى بعد سبعة أعوام ، فالكاتب يقول ما يلى :

ما يعنيه هذا القانون هو أن اليهود صفوة البشر . إذ خلقوا لمعرفة الرب وعبادته ، ولذلك يستحقون أن يخدمهم العبيد . وإن لم يستعبدوا الأمم الأخرى ، لاضطروا لاستعباد بعضهم بعضاً ، فيفقد بعضهم القدرة على تبجيل الرب المعبود . ولذلك ، يطلب منا امتلاك العبيد ، حين يعدون جيداً ويكفون عن النطق بالكفر حتى لا يكونوا خطراً علينا . وهذا هو ما يعنيه القول :

"لا تضطهد إخوتك في إسرائيل ، لا تقسو عليهم" . أى لا تستعبد اليهود الذين يعبدون الرب مثلك .

أما بالنسبة للقانون الذى يطالب اليهودى بالحصول على نسبة ربح من مال يعيره لغير اليهود ، يقدم الكاتب التفسير التالى :

معنى هذه الفكرة هو أنه لا يحق لنا مساعدة من لا يعرفون الرب ولا يعبدونه . حين لا تساعد من لا يستحق المساعدة ، نجتاز الاختبار ونحقق ما يريده الرب – عظم قدره – منا . وبذات الطريقة ، يساعدنا الرب حين نحتاجه ، ولا يساعد الأمم الأخرى .

يفرق الكتاب كذلك بين اليهود وغيرهم فى عدة فقرات أخرى . حين يشرح مثلاً منع عدم دفع مرتبات الموظفين متأخرة ، يؤكد أن الخطيئة أقل سوءاً إن كان تطبيقها على غير اليهود . والقانون الذى يمنع اللعنة : " لا تلعن أى يهودى ، رجلاً أو امرأة " وكذلك ، فالقوانين ضد تقديم النصيحة ، كراهية الآخرين ، تحقيرهم أو الانتقام منهم ، تطبق فقط على اليهود . أما القانون ضد تقليد طباع غير اليهود ، فلا يعنى فقط " الابتعاد عنهم " بل " نهم طباعهم وسلوكهم والسخرية منهم " .

ومن الضرورى التأكيد على أن هذه التفسيرات تقدم صورة واقعية لتعاليم تلمودية . الأحبار والمدافعون عن اليهودية يعرفون هذا ، ولذلك لا يحاولون انتقاد هذه الأفكار فى وسط التجمعات اليهودية . ولكنهم ينتقدون بقسوة كل يهودى يناقش هذه القضايا مع الأميين ، وينكرون وجود هذه الأقوال إن تحدثوا عنها . مثلاً ، يؤكدون أن اليهودية تحت على الرحمة – وينسون أن الرحمة تتحقق فى التعامل مع اليهود فقط .

وأى فرد يحيا فى إسرائيل يعرف مدى شيوع القوة والوحشية فى التعامل مع غير اليهود . عادة تم إخفاء هذه المشاعر ، ولكن منذ عام ١٩٦٧ ، وصعود بيغن للسلطة ، بدأ البعض يتحدثون بهذا الشأن . مثلاً ، من يستغلون العمالة العربية يقولون فى التليفزيون إن العمل القاسى نصيب الأميين . مجموعة جوش إيمونيم تتحدث عن ضرورة اضطهادهم ، وتستخدم القوانين التلمودية لتبرير خططها لطرد العرب من فلسطين .

وحتى الصهاينة الذين يرفضون هذه القواعد لا يتصرفون حسب أسس أخلاقية إنسانية ، بل حسب المصلحة . فمثلاً ، يدعون أن استغلال الفلسطينيين سيفسد المجتمع اليهودي ، أو أن تهجير الفلسطينيين غير عملي في الظروف الحالية ، أو أن الأفعال الإرهابية ضد الفلسطينيين تعزل إسرائيل عن حولها . ولكن جميع الأحبار في الواقع يشاركون اليهود التقليديين كراهية الأجانب ، الأمميين .

رؤية اليهود للمسيحية والإسلام :

تحتوي اليهودية كراهية عميقة للمسيحية ، وجهلاً بشئونها . وقد ساءت الأوضاع بسبب سوء معاملة المسيحيين لليهود ، ولكن جنور هذه النزعة تعود لأوقات حين اضطهد اليهود المسيحيين . ولهذه النزعة سببان : فتولاً : توجد كراهية اليهود للمسيح (عيسى عليه السلام) والفكرة اليهودية عن المسيح لا ترتبط البتة بالنقاش الحالي بشأن المسئول عن قتله . فليس من الحق معاقبة يهود اليوم على ما حدث منذ ألفي عام . ولكن القضية هي التهم القاسى على المسيح في التلمود والتفاسير التلمودية ، والتي لا يزال كثيرون يؤمنون بها حتى يومنا هذا في إسرائيل . فهذه المعلومات لعبت دوراً أساسياً في تكوين وجهة النظر اليهودية تجاه المسيحية .

حسب ما يقوله التلمود ، فإن محكمة الأحبار قامت بصلب المسيح بسبب الحث على الزنا ، وعلى عدم إطاعة الأحبار ، إذ قال " من كان منكم بلا خطيئة " . لا يوجد أى ذكر للرومان بهذا الشأن . أما النصوص العبرية الأخرى ، مثل نص تولدوت يسبو ، فنتهم المسيح بممارسة السحر كذلك . وهكذا بات اسم المسيح رمزاً لكل ما هو شرير ، وهذا التراث لا يزال موجوداً في عصرنا . أما الأناجيل ، فهي لا تقرأ في المدارس في إسرائيل حتى يومنا هذا . كذلك ، ولأسباب دينية ، وبسبب الجهل ، اعتبر الأحبار المسيحية نوعاً من أنواع الإلحاد . فهم يرفضون فكرة التثليث والنبوة الריانية . وجميع أفكار ورموز المسيحية تعتبر " أصناماً " - حتى من قبل اليهود الذين يعبدون وثائق قديمة وأحجار وملكيات " رجال مقدسين " .

رؤية اليهودية للإسلام مقبولة نسبياً . مع أن الأحبار اتهموا النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بالتسرع في تفكيره وتصرفه " متهوجاً " حين تعامل مع يهود

الجزيرة العربية ، إلا أن الكلمة مقبولة بالمقارنة مع ما قالوه عن المسيح . (١) وهم أيضاً لا يطالبون بحرق القرآن ، وإن اعتبروه مجرد كتاب اعتيادي . غالبية الأحرار لا يعتبرون الإسلام ديانة إلحادية . لذلك يعتبر الأحرار المسلمين " أميين عادين " ، ولا يعاملونهم بالحسنى أو بالشر . وموسى بن ميمون يستشهد بأقوال فلاسفة الإسلام ، ويحترمهم . وقد كان طبيباً خاصاً لصلاح الدين ، كما ذكرنا سابقاً ، وجعله الأخير الحبر الأكبر على يهود مصر . ومع ذلك ، فهو يؤكد القانون ضد إنقاذ حياة غير اليهود (إلا في أحوال التقية) .

(١) الواقع هو أن اليهود لم يحترموا الحقوق ، بل خرقوا المواثيق ، في تعاملهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام . ولذلك ما كان متسرعاً ، حين اضطر في نهاية المطاف لإبعادهم عن المدينة ، تخلصاً من شرهم ، وما سببوه للمسلمين من أذى بخداعهم وجشعهم . بل كان عليه الصلاة والسلام يوماً طليماً صبوراً روفاً بهم .

الفصل السادس

النتائج السياسية - تداعيات ما حدث خلال ثلاثة آلاف عام

طرق تفكير اليهودية الكلاسيكية تجاه غير اليهود أثرت كثيراً على الصهاينة ، الذين يؤثرون بدورهم على دولة إسرائيل . منذ عام ١٩٦٧ ، باتت سياساتها تتأسس على العقائد ، لا المصالح فحسب . وتأثير العقائد هذا لا يلاحظه الأجانب المختصون ، الذين كثيراً ما يتجاهلون دور الديانة اليهودية في سياسات إسرائيل . وهذا هو سبب الاستنتاجات الخاطئة التي يقدمونها مراراً .

الواقع هو أن الدين خلق مشاكل سياسية لإسرائيل أكثر من أى عامل آخر . المساحة التي تحتلها النقاشات الدينية ، سواء بين الأحزاب الدينية المختلفة ، أو بين المتدينين والعلمانيين ، في الجرائد العبرية ، تفوق أى قضية أخرى ، إلا في أحوال الحروب أو حين يتم تهديد الأمن . أثناء كتابة هذا النص في أغسطس ١٩٩٣ ، طرحت الأسئلة التالية على صفحات الجرائد : هل يمكن دفن الجنود الإسرائيليين الذين يقتلون في المعركة مع اليهود ، حتى وإن كانت أمهاتهم غير يهوديات ؟ وهل يحق للمسؤولين عن الدفن تطهير الميت قبل دفنه - وإن لم يكن قد طهر أثناء طفولته (بدون مساعدة أسرته) ؟ قضايا مثل هذه تهم الرأي العام اليهودي أكثر من التفاوض مع الفلسطينيين .

فشلت مساعي قلة من السياسيين الإسرائيليين في تجاهل العقيدة اليهودية والاهتمام بمصلحة الدولة فحسب . في أوائل عام ١٩٧٤ ، بعد نكسة حرب أكتوبر ، سعت إسرائيل لإضعاف تأثير مؤسسة التحرير الفلسطينية ، التي لم تعترف بها الدول العربية بعد كممثل شرعي وحيد للفلسطينيين . وقد قدمت إسرائيل فكرة تشجيع التأثير الأردني في الضفة الغربية، وتقرر الاحتفال بعيد ميلاد الملك الأردني الحسين برفع

أعلام الأردن . ولكن المستوطنين - الذين كانوا قلة آنذاك - سمعوا بالفكرة فهددوا جولدا مائير وديان بمظاهرات قوية، لأن رفع علم دولة « غير عبرية » في إسرائيل يتعارض مع المبدأ المقدس القائل بأن هذه الأرض ملك لليهود فحسب . وهكذا خضعت الدولة لمطلب صهيوني ، ووافق الملك الحسين على الاعتراف بمنظمة التحرير كهيئة شرعية تمثل الفلسطينيين . وحتى اليوم تؤثر النقاشات الدينية على المفاوضات الفلسطينية أكثر من أى عامل آخر .

يقول اللورد كرومر: " لا نحكم دولة ، بل نحكم حكام الدولة " . ولكن العقيدة اليهودية ترفض الاعتراف بفكرة كهذه . فعقيدة تحرير الأرض تعنى أنه يجب تحرير ١٠٠٪ من الأراضي الفلسطينية بحيث يملكها يهود . وحتى فكرة حكم عمدة محلى غير يهودى داخل إسرائيل مرفوضة من حيث المبدأ . ولذلك لا تتراجع إسرائيل عن أرض محتلة بسهولة . خسارة أعداد كبيرة من الجنود ، فى حرب ١٩٧٣ ، ومعارك ١٩٨٢ - ١٩٨٥ فى لبنان ، أدت لانسحاب إسرائيل لأن للحياة اليهودية قداسة دينية . المستحيل هو أن تسمح إسرائيل بخلق دولة غير يهودية على أرض الدولة اليهودية لأسباب سياسية .

والعقيدة اليهودية تؤثر أيضاً على غالبية اليهود خارج إسرائيل . واليهود الأمريكان - بالذات - تأثير كبير على سياسات الدولة الإسرائيلية، لأنهم يقدمون لها المساعدات بشكل دائم . أما الصورة الشائعة فى العالم عن إسرائيل ، فهي مشوهة تماماً .

لا تؤيد الولايات المتحدة إسرائيل لمصالح مشتركة فحسب ، بل إن التأثير القوى للتجمعات اليهودية فى الولايات المتحدة وتشجيعها لجميع سياسات إسرائيل يشرح الكثير من أسرار سياسات أمريكا فى الشرق الأوسط . وهذه الظاهرة أكثر وضوحاً فى كندا ، التى لا تعتبر من الدول المعنية بالشرق الأوسط ، وإن فاق تعاطفها مع إسرائيل الولايات المتحدة ذاتها . فى دول أخرى مثل : بريطانيا وفرنسا ، تقدم التجمعات اليهودية الدعم لإسرائيل بذات الإخلاص الذى قدمته الأحزاب الشيوعية للاتحاد السوفيتى قبل انهياره . كذلك ، نلاحظ أن اليهود الذين يدافعون عن حقوق الإنسان فى كل مكان يغيرون مواقفهم حين يتعلق الأمر بإسرائيل . بل إن الإسرائيليين يلاحظون أن اليهود فى الخارج أكثر وطنية وعنصرية من يهود إسرائيل . ونذكر وضع اليهود فى أمريكا كمثال .

ما هو سبب ظهور النزعة العنصرية بين يهود الولايات المتحدة ؟ لنلاحظ أولاً شيوع نوايا يهودية لا يسمح لغير اليهود بدخولها . والغريب أنهم يبحثون عن أى ناد لا يسمح بدخول اليهود ويتهمونه بمعاداة السامية . اليهود المنظمون ، وأولئك الذين يقضون معظم وقتهم مع غيرهم من اليهود ، يسرون على خطى اليهودية الكلاسيكية . وإن لم يستطيعوا التعبير عن مشاعرهم الحقيقية فى دولة لا يزيد تعدادهم فيها عن ٣٪ من سكانها ، فهم يعبرون عن هذه المشاعر عبر تشجيعهم للدولة اليهودية .

وهل توجد طريقة أخرى لتفسير تحمس الأحزاب لقضايا السود فى أمريكا ، وتجاهلهم لحقوق الإنسان الفلسطينى ؟ فالسود كذلك ليسوا يهوداً . الإجابة سهلة : فاليهودية الكلاسيكية كما أوضحنا أعلاه استبدائية . وهكذا يشجع اليهود السود ويتحمسون لقضاياهم ، بطريقة توازى تحمس ستالين لقضايا السود فى جنوب أفريقيا . بل إن حكومة جنوب أفريقيا على الغير ، ولا نتوقع من مجموعتنا الالتزام بها . اهتمام أى يهودى بحقوق الإنسان وتجاهله لمعاناة الفلسطينيين ، يدل على النفاق . دفاع اليهود عن السود دافعه المصلحة الذاتية فحسب .

وهكذا فإن الاختبار الحقيقى لليهود فى داخل إسرائيل وخارجها يتطلب انتقاد الذات ودراسة الماضى . وأهم ما فى هذا النقد هو دراسة رؤية اليهود لغير اليهود . اليهود يطلبون من غير اليهود دراسة ماضيهم وفهمه والاعتراف بما عانوه من اضطهاد . ولكن خلال الأربعين عاماً الأخيرة ، قتل اليهود أعداداً من غير اليهود تفوق بكثير قتلى اليهود . الاضطهاد والتفرقة ضد غير اليهود من سكان الدولة العبرية كذلك تفوق ما يلاقيه اليهود من تفرقة فى أى دولة تعاديهم . وإن بقى الصراع ضد معاداة السامية ضرورياً ، فإن الصراع ضد العنصرية اليهودية مهم كذلك ، بل وقد يكون ضرورة حالياً .

ثانيًا : "المخادعة الصهيونية"

ولبر سنسر

تمهيد

هذه الدراسة ^(١) - بقلم المؤرخ اليهودي ولبر سنسر - تقدم باختصار التاريخ القاتم للحركة الصهيونية . المؤلف يطنب في الحديث عن النزعة العنصرية في هذه الحركة ، ويستشهد بأقوال هرتزل نفسه لإثبات صحة هذه الفكرة . وهو أيضاً يذكر نص وعد بلفور ، ويحلل الظروف التي صدر فيها ، موضحاً كيف صاغه الصهاينة ، ولماذا وافق البريطانيون على إصداره . وهو أخيراً يتحدث باختصار عن تواطؤ الحركة الصهيونية مع الفاشية في أوائل القرن الماضي . إنها دراسة مختصرة تشمل رموس أقلام لمواضيع كثيرة سيتم شرحها بتفصيل أكثر لاحقاً في هذا الكتاب .

المخادعة الصهيونية

يتصور الناس أن الصهيونية حركة إيجابية إنسانية . وهذا مفهوم . عشرات الأعوام من الدعاية الإعلامية صورت الصهيونية كأنها حركة تقدمية حديثة جلبت إلى أرض خراب . هذا البحث سيكشف حقيقة التاريخ الصهيوني : إذ سنوضح الحقائق ونكشف الطبيعة الحقيقية لهذه الحركة .

(١) Zionist Fraud. By: Wilber Sensor والدراسة موجودة في موقع في الإنترنت - هو - : <http://www.co-doh.com>

و عنوان هذه المؤسسة هو : 39016 San Diego. Ca, 92143 Po : 111, Mcd Codoh.

حركة تؤمن بعدم مساواة اليهودى والأمنى :

الصهيونية حركة عنصرية . حزن مؤسس الحركة ، ثيودور هرتزل ، حين عرف مدى معاداة السامية فى فرنسا . ولذا اعتقد أن فصل اليهود عن باقى الأمم وجمعهم فى أمة خاصة هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وقد أوضح هرتزل آراءه فى كتاب الدولة اليهودية ، يقول :

القضية اليهودية حقيقة واقعة ، ومن الخطأ تجاهلها . المشاكل التى يعانىها اليهود موجودة فى أى دولة عاشوا فيها بأعداد كبيرة . إن لم توجد ، فستأتى معهم ساعة مجيئهم . أفهم معاداة السامية ، وهى قضية معقدة . أحل معاداة السامية من وجهة نظر يهودية ، ولكن بدون كراهية أو خوف . أعرف أن معاداة السامية تحوى الكثير من السخرية الساخنة ، الحسد الاقتصادى ، العنصرية الموروثة ، انعدام المرونة ، ولكن أيضاً بعض ما يعتبر حقاً مشروعاً هو الدفاع عن النفس .

معاداة السامية تنمو كل يوم ، كل ساعة ، بين الناس ، وستبقى وتزداد قوة إذا ما بقيت مسبباتها ، ولم يمكن التخلص منها .

أما السبب البعيد فهو خسارة حدثت فى العصور الوسطى حين لم يسمح المجتمع لليهود بالاندماج فى صفوفه . وهكذابقى النشاط اليهودى خارج المجتمع ، فكون اليهود الأحزاب السياسية ، وامتلكوا القدرة الاقتصادية التى لا تزال تزداد يوماً بعد يوم .

ألم يقولوا إننا نضع السلاح فى أيدي أعداء السامية ؟ لماذا ؟ لأننا نعترف بالحقيقة ؟ لأنى أعرف أن هناك بيتنا بعض الأشرار ؟

القضية وطنية . لابد لنا من تحويل القضية اليهودية إلى قضية سياسية دولية .. نحن شعب . الدولة اليهودية ضرورة دولية ، ولذلك ، ستكون هذه الدولة .

نريد جزءاً من الأرض يكفى لشعبنا .

لا يوجد قوى ، أو ثرى ، يقدر على نقل شعباً بأسره من مكان إلى آخر . فقط الفكر يستطيع ذلك . فكرة الدولة سيكون لها القوة اللازمة .

لن تنتج مشاكل اقتصادية ، أزمت ، أو اضطهاد ، عن سفر اليهود ، بل عصر ذهبي في البلاد التي يتركونها . المسيحيون سيحتلون الأماكن الفارغة بجدارة . التحول سيحدث بشكل مرحلي ، ويكون النهاية لمعاداة السامية .

اليهود يتركون البلاد التي أقاموا بها كرفاق . إن عابوا ، فالمدن المتحضرة ستقبلهم وتعاملهم كما يعاملون سكان أي دولة أخرى.

وهذه الهجرة ليست فراراً ، بل انسحاباً منظمًا ، يعرف الناس بحوثه . الحركة قانونية تماماً ، ويمكن تحقيقها بمعونة حكومات الدول الصديقة ، التي ستستفيد من ذلك كثيراً .

كما توضح هذه الفقرات ، الصهيونى يؤمن بوجود مشكلة يهودية . لا يوجد أى صهيونى ينكر هذه المسألة الفلسفية :

إن لم نعترف بوجود معاداة السامية وأسبابها ، سننكر حقوق الشعب اليهودى القومية. أيضاً إن استحق أبناء شعبنا الحياة في وطن خاص بهم ، فذلك يعنى أنهم جسد غريب يلح على أن تكون له هويته الخاصة . نتفهم ، إذا ، معاداة الشعب الأرى لليهود . بدلاً من تكوين مجتمعات للنود عن نواتنا ضد معادى السامية الذين يريدون تقليص حقوقنا ، لابد لنا من تكوين مجتمعات للدفاع عن رفاقنا الذين يريدون الدفاع عن حقوقنا في المجتمعات التي نحيا في وسطها . (يعقوب كلا تترن ، الموسوعة اليهودية).

حركة لم تعترف بسكان الأرض التي أرادت احتلالها :

يدعى الصهاينة أن فلسطين كانت أرضاً بلا شعب قبل مجيئهم إليها . ومن السهولة بمكان كشف حقيقة هذا الموضوع . إذ كتب وزير الخارجية البريطانية ، لورد كورزن ، فى ٢٨ أكتوبر ١٩١٧ ما يلى :

ما هى توقعاتنا بالنسبة لسكان فلسطين خلال الأعوام القادمة ؟ وماذا سيحل بها إن تحررت من طوق الأتراك ، وبقي السكان على قيد الحياة ؟ هناك حالياً نحو نصف مليون فرد ، منهم العرب السوريون ، ومجتمع مختلط يحوى العرب ، اليهود ، الكتعمانيين ، الإغريق ، المصريين ، وبعض الأجانب . وهم أصحاب الأرض ، التى يملكها الإقطاعيون ، أو تكون مشاعاً لسكان القرى ، وأكثرهم مسلمون . وإن يتقبلوا المزيد من المهاجرين اليهود ، أو يرضوا بخدمتهم .

وقد كانت فلسطين فى بدايات الحركة الصهيونية جزءاً من الإمبراطورية العثمانية التركية . حاول هرتزل التفاوض باسم الصهيونية مع السلطان العثمانى . وهذه المفاوضات أثبتت أن الصهاينة عرفوا أن لفلسطين شعباً يحيا عليها .

حين تحدث هرتزل مع السلطان عبد الحميد ، لم يفكر البتة بتهجير العرب من فلسطين وتركها لليهود . بدا وكأنه غير مدرك فى حساباته بوجود شعب يسكن عليها . بحسن نية ، لم يحسب لسكان البلد الأصليين أى حساب . (ليونارد شتاين ، الصهيونية) .

هل هناك ما هو أغرب من هذا ؟ ترسم خطط واسعة تحدد أعداد آلاف بل ملايين الناس ، ولكن الرجل الذى رسم هذه الخطط لم يفكر حتى فى فحص أوضاع الأرض التى يود تحقيق خطته فيها . ولا ينبهه أى من رفاقه إلى خطئه .

عاماً بعد عام اجتمعت الحركات الصهيونية .. لم يتحدث أى فرد بشأن الفلسطينيين فى أى من هذه المؤتمرات .

تم تكوين تسع عشرة مستوطنة إسرائيلية في فلسطين قبل العام ١٩٠٠ . وكل هذه المستوطنات سكنها أفراد تعاملوا مع العرب بشكل دائم ، وتراسلوا مع الصهاينة في أوروبا وأمريكا .

عرف الصهاينة جيداً ظروف العرب في فلسطين وردود أفعالهم على الأوضاع الموجودة فيها .

" الاستنتاج الوحيد هو أن الصهاينة ما رأوا في العرب إلا عائقاً ، وتجاهلوا وجودهم " . (فلسطين ، الحقيقة ، جيفرز ، ص. ٤٠ - ٤٢) .

حركة تتناسى التزاماتها السابقة :

باستثناء الطمع في أراضي الآخرين ، تتميز الصهيونية بتجاهل وعودها السابقة. حارب العرب مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الأتراك . إذ وعدتهم بريطانيا بالتحرك في دولة موحدة إن انتصرت في الحرب . وقد كتب السيد هنري مكماهون ، المسئول البريطاني في مصر ، هذا الوعد البريطاني للعرب في رسالة بتاريخ أكتوبر ٢٥ ، ١٩١٥ إلى الشريف حسين في مكة .

محافظات مثل مرسينا والإسكندرونة وأجزاء من سورية الغربية لا تعتبر عربية ، وإذًا نستثنيها من الأراضي التي نقترحها . مع هذه التغييرات ، وبدون إغضاب رؤساء القبائل التي تعاقبنا معها ، نوافق على هذه الحدود . بريطانيا العظمى مستعدة للاعتراف ومساعدة العرب على الاستقلال ضمن الحدود التي نكرها الشريف المكي . (فلسطين الحقيقة . ص ٧٦) .

تظاهر السياسيون البريطانيون بأن الوعد الذي قدمه السيد هنري مكماهون لا يشمل فلسطين . ولكن وثيقة سرية بشأن التزامات بريطانيا تجاه الملك حسين تذكر ما يلي :

فلسطين تعتبر جزءاً من الأرض التي نكرتها رسالة السيد هـ . ماكماهون إلى الشريف حسين في ٢٥ من أكتوبر ١٩١٥ .

أما ادعاء اليهود بحقوقهم في فلسطين فتستند إلى رسالة آرثر بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ التي وعدت بالمساعدة البريطانية لتكوين وطن لليهود في فلسطين . وقد أرسلت هذه الرسالة بعد عامين من وعد هنري مكماهون في ٢٥ أكتوبر ، ١٩١٥ .

حركة قامت بتعريف نفسها :

المكتب الخارجي .

٢ نوفمبر ، ١٩١٧

سيدى اللورد روثشايلد :

يسعدنى أن أبعث لكم ، باسم الحكومة البريطانية ، تعاطفنا مع الطموحات الصهيونية اليهودية التي أقرها مجلس الوزراء .

" نتطلع بعين الرضا لتكوين وطن قومي لليهود في فلسطين ، وسنسعى جاهدين لتسهيل تحقيق هذا الهدف ، وإن كنا نؤكد على الحقوق السياسية والدينية لغير اليهود من سكان فلسطين حالياً ، أو على الحقوق والأوضاع السياسية التي يتمتع بها اليهود في البلاد الأخرى .

وهذه الوثيقة هي نص التملك الذي زرع إسرائيل في الشرق الأوسط . وهي أسوأ نص قدمته قوة عظمى في التاريخ . إذ كتبها الذين تلقوها وكانت ثمناً لاستغلال سياسى مشين .

لم تتخل بريطانيا عن وعدها للعرب بسبب اهتمامها " بوطن قومي لليهود " . السبب الأساسى ذكره ديفيد لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب :

ليس هناك دليل أكثر وضوحاً على ضرورة وعد بلفور من سعى ألمانيا للتفاوض مع الأتراك بحثاً عن خطة بديلة سيقتقبلها الصهاينة . تكون المجتمع الألمانى اليهودى ، وفى يناير ١٩١٨ ، وعد طلعت ، وزير الخليفة العثمانى ، بمساعدة اليهود في تحقيق متطلباتهم الشرعية في فلسطين .

من الأسباب التي دفعت بدول التحالف إلى تقبل الوعد أوضاع روسيا . فاليهود الروس وقفوا في صفنا منذ البداية ، وشعرنا أن وعد بلفور سيقبّل معنا .

أدركنا أيضاً أن لمثل هذا الوعد تأثيراً قوياً على يهود العالم خارج روسيا . في الولايات الأمريكية ، كان تأثير اليهود فعالاً في سوق الذهب . وهذه كانت الظروف الأساسية التي دفعت بريطانيا لتقييم وعد بلفور عام ١٩١٧ . (منكرات ليفيد لويد جورج ، ٧٣٦) .

مصادر عديدة تؤكد أفكار السيد لويد جورج ، خصوصاً كتاب السيد سامويل لاندمان " بريطانيا العظمى ، اليهود وفلسطين " . والمؤلف هنا صهيوني معروف وصل إلى مرتبة سكرتير المؤسسة الصهيونية في المملكة المتحدة في عام ١٩١٢ ، وهو رئيس تحرير مجلة الصهيوني ١٩١٣ - ١٩١٤ . وجهة نظره رسمية ، وهي تطابق تماماً فكر لويد جورج:

السيد جيمس أ. ملكولم اتخذ القرار ، لإقناع السيد مارك سايكس ، وهو سكرتير وزارة الحربية ، وبعد ذلك السيد جورج بيكو ، في السفارة الفرنسية في لندن ، والسيد جوت المستول عن أوضاع الشرق بأن الطريقة الوحيدة لإقناع رئيس أمريكي بدخول الحرب هي كسب تعاطف اليهود الصهاينة عن طريق وعدهم بفلسطين ، وبهذه الطريقة تم تنشيط القوى الصهيونية الموجودة في الولايات الأمريكية وفي كل مكان آخر .

إن وعد بلفور تعاقد بين الحكومة البريطانية واليهود . مسئولية اليهود هي إقناع الرئيس واسن بمساعدة الحلفاء . (بريطانيا ، اليهود وفلسطين ، ٣ - ٦) .

وهكذا خان البريطانيون حلفاءهم في الحرب ، وهم العرب ، والتزموا بالصهاينة الذين تعهدوا بجلب الولايات المتحدة إلى صف بريطانيا .

الواقع هو أن بلفور لم يكتب هذا العهد الذي عرف به . فقد كتبه الصهاينة البريطانيون والأمريكان عدة مرات ، وحين اتفقوا على الصيغة الملائمة ، قدموها إلى بلفور الذي نشرها باسمه . السياسسيون ، مثل روبرت سيسيل ، قاموا ببعض

التعديلات. أما كاتب النص الأساسي ، فهو الأمريكي الصهيوني مدرس جامعة هارفرد، فلكنس فرانكفورت ، وكتب النص فى مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٧ .

حركة تعهدت بالمساواة ، ثم لم تلتزم بتعهداتها :

تعهد الصهاينة بالمساواة فى معاملة العرب موجود فى وعد بلفور ذاته . وهذا التعهد نتج عن سعى الكثير من الأفراد لشهور ، وكان الخداع هدفه الأساسى .

إن هذه الوثيقة لا تحوى جملاً ، بل فنناً كتابياً . انتقلت مسودات النص بين أوروبا والولايات عدة مرات ، ودرسها عدة أفراد بدقة ، ولم تضاف كلمة إلا بعد تفكير وترو . وأخيراً ، بعد أن رفض النص ، وأعيدت صياغته عدة مرات ، اختيرت الكلمات . لا يوجد فى التاريخ نص تطلب جهداً أكبر ، ، ودقة أكثر فى صياغة كل كلمة من هذا الوعد .

كل ما فى هذا النص درس بدقة ، ووضع بحذر . لا توجد أى أخطاء ، أو أحداث عابرة ، أو سوء فهم . أى إبهام أو غموض هنا متعمد . إن هذا النص ليس سوى خداع متعمد ومدرّوس .

بعض الأمثلة على الخداع الموجود فى الوعد تكفى : النص يؤكد مثلاً على حقوق غير اليهود من المواطنين المقيمين فى فلسطين . الواقع هو أن تسعين فى المائة من سكان فلسطين حين قدم الوعد كانوا من غير اليهود . النص حولهم منذ البداية ، عن طريق التظاهر بالدفاع عن حقوقهم ، إلى أقلية . النص يسميهم " غير اليهود فى فلسطين " . النص يسمى الـ ٦٧٠٠٠٠ أقلية ، ويعتبر الـ ٦٠٠٠٠ يهودى أغلبية . النص يتحدث أيضاً عن الحقوق المدنية ، ولكن ما هى هذه الحقوق ؟ النص لا يحدد أى شىء .

حين وصل الصهاينة إلى فلسطين ، أوضحوا طبيعة العلاقة بينهم وبين العرب . السلطات الحكومية فى فلسطين ما بين عامى ١٩١٨ - ١٩٢٠ كانت بريطانية . ولكن السلطات الصهيونية تناقست مع البريطانيين فى السيادة . أما العرب والبريطانيون ، فاتجاهاتهم كانت - حسب ما ذكر الحاكم العسكرى البريطانى - لويس بولز ، كالتالى

يبدو واضحاً لي أن الصهاينة ينافسونني في كل مجال يفترض أن لي الحق في السيطرة عليه . وأنا أشعر بأن هذا الوضع خطر للغاية على السلام العام وعلى رأى الناس في السلطة البريطانية . لا فائدة تذكر من محادثة المسلمين والمسيحيين بشأن احترامنا لتعهداتنا . الحقائق تؤكد العكس ؛ فقد باتت اللغة العبرية من اللغات الرسمية ، وتأسست محاكم يهودية ، وباتت علاقات الصهاينة وثيقة بالسلطة . حقوق السفر المتاحة للصهاينة أكدت لغير اليهود من السكان أننا نتعاطف مع طرف أكثر من الآخر . أما الصهاينة ، فيتهموننا بمعاداتهم . الوضع لا يحتمل ، ولابد لنا من مواجهته .

وقد احترمنا أوامر قياداتنا ، واعتبرنا فلسطين منطقة محتلة ، ونفذنا القوانين العسكرية ، ولكن كل هذا ما كفى الصهاينة ، الذين يطالبون بالمزيد من التأييد كل يوم . يقولون إنهم يريدون وطناً ، ولكنهم في الواقع يريدون دولة يهودية . ولذلك أحض ، باسم السلام ، والتقدم ، على إيقاف سلطات الصهاينة في فلسطين . " (فلسطين الحقيقة ، ١٧٥) .

حركة تتنكر لمن دافع عنها ...

كان هدف الاستعمار البريطاني هو حماية الصهاينة من العرب . السيد فلاديمير جابوتنسكى يوضح هذا في خطاب ألقاه عام ١٩٢٢ بعنوان " الإرادة الحديدية : نحن والعرب " :

الاستيطان الصهيوني سيتوقف ، أو يستمر بدون موافقة السكان الأصليين . وهذا الاستيطان قادر على النمو فقط إن حمته قوة عظمى ، لا ترتبط بالسكان المحليين . إرادة حديدية ، تقف في مواجهة السكان المحليين . وهذه هي سياستنا نحو العرب .

يستحيل الاتفاق معهم الآن أو في المستقبل . إن أريدت استيطان بلد يعيش فيه الناس ، فلا بد من معسكر ، أو رجل ثرى ينشئ المعسكر . أو أوقف المشروع الاستيطاني . فبلا قوات مسلحة تحمي هذا الاستيطان ، يصير تحقيقه مستحيلاً ، لا خطر ، أو صعب ، بل مستحيل . الصهيونية مغامرة استيطانية ولذلك تتجح أو تفشل على أساس القوة المسلحة . من الضروري معرفة العبرية ، ولكن مع الأسف الأكثر أهمية هو القدرة على إطلاق النار ، أو لا داعى للسعى للاستيطان .

أدرك البريطانيون بسرعة أنهم خلقوا لأنفسهم مشكلة كبيرة حين حموا الصهيونية . الثورات العربية عام ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، و ١٩٣٦ - ١٩٣٩ جلبت لجان التحقيق البريطانية التي أكدت جميعاً أن سبب التوتر في فلسطين هو الهجرة اليهودية إلى بلد يسكنها العرب . في عام ١٩٣٧ توصلت لجنة تحقيق يقودها اللورد بيل ، إلى أن الحل هو تقسيم فلسطين إلى تولتين ، دولة عربية ، ودولة يهودية ، تحمي بريطانيا المنطقة الفاصلة بينهما . وافق الصهاينة بامتعاض على الفكرة ، ورفضها العرب . منذ هذه اللحظة ما عاد للبريطانيين أى فائدة للصهاينة .

وفي عام ١٩٤٤ بدأت مجموعة صهيونية تدعى أرجون حرب عصابات لطرد البريطانيين من فلسطين . أفعال هذه العصابة شملت قتل الجنود البريطانيين ، نهب المواقع العسكرية ، واغتيال المسئول البريطاني في مصر ، تفجير فندق الملك ديفيد في القدس ، إلخ ، حتى ترك الجيش البريطاني فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ .

حركة تواطأت مع ألد أعداء اليهود :

اعتمدت الصهيونية على فكرة أساسية مفادها استحالة التعايش بين اليهود والأمم الأخرى . ولذلك استطاعت التحالف مع مجموعة أخرى اشتركت في ذات الفلسفة ، وهي النازية . وقد بدأ التواطؤ منذ تكون نظام هتلر . اتفاقية هافارا ، تعود إلى عام ١٩٣٣ ، وبواسطتها ، تم نقل ١٠٪ أو حوالي ٥٠٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ من يهود ألمانيا البالغ عددهم ٥٠٠٠٠٠ - ٦٠٠٠٠٠ . وهذه الاتفاقية ساعدت الصهاينة على تهجير اليهود إلى إسرائيل ، وإخراجهم من ألمانيا ، كما أراد هتلر . وقد شجع هتلر

الحركة الصهيونية . ونشرت مقالات كثيرة تمتدح الصهيونية فى الإعلام الألمانى . العلم الوحيد الذى رفع فى ألمانيا باستثناء العلم الألمانى كان العلم الصهيونى . وكذلك ، وجدت معسكرات خاصة لتدريب اليهود على العمل الزراعى فى فلسطين .

حاييم وايزمان ، الرئيس المستقبلى لإسرائيل رفض فكرة ربل - شاخت ، لإخراج جميع يهود ألمانيا خلال خمسة أعوام . وقد رفض الخطة لأنها أتاحت لليهود اختيار المكان الذى سيرحلون إليه . فضل أن يبقى اليهود فى ألمانيا بدلاً من السفر إلى أى بلد يختارونه . وهذه الأفكار ذاتها كررها غريمه السياسى ، بن جوريون :

إن عرفت أنى أستطيع إنقاذ جميع أطفال اليهود فى ألمانيا عن طريق نقلهم إلى بريطانيا أو نصفهم عن طريق نقلهم إلى إسرائيل، لاخترت الخيار الثانى . فنحن لا نحسب فقط حياة الأفراد ، بل تاريخ اليهود فى العالم .

حركة ترفض التعاون مع العالم بل تطلب خضوعه لأوامرها :

الصهيونية لم تعتمد على الإقناع ، إقناع العرب ، أو اليهود فى مجتمعاتهم العالمية ، التى رفض الكثير منها الحركة ، ونبهوا لمخاطرها . الصهيونية طلبت من الجميع الخضوع .

وقد تجاهلت الصهيونية مساعى بريطانيا لتحديد أعداد المهاجرين ، وقرارات الأمم المتحدة بإعادة الأراضى المحتلة ، وأبقت المستوطنات المنشأة فى الضفة الغربية . وهى ليست حركة ديمقراطية لأن أساسها هو فكرة عرقية ، وبعض أفكار التنسك اليهودى .

وقد زورت الصهيونية قضيتها . حيث استخدمت الخداع ، والعنف ، والتخويف ، والإرهاب ، كسرت وعودها ، لتحقيق أهدافها . وانضمت إلى صف الشيطان ، وهى ترتدى أثواب الملائكة .

ثالثًا : ” الإرهاب الصهيوني المقدس :

دراسة تعتمد على يوميات

موسى شارت ومخطوطات أخرى“

ليفيا روكاش

تمهيد

تعتمد دراسة ليفيا روكاش (١) على نص يوميات وزير خارجية إسرائيل وأحد رؤساء وزرائها خلال النصف الأول من الخمسينيات . وأشارت يعتبر من الحمائم في الحكومة الإسرائيلية ، . أى أنه أراد الوصول لأغراض الصهيونية ، ولكن عن طريق المفاوضات والدبلوماسية والضغط الاقتصادي ، بدون استخدام العنف . ولذلك أسقطه الجناح الآخر ، الداعى للعنف ، بقيادة بن جوريون ، إبان حرب ٥٦ .

وقد سعت الحكومة الإسرائيلية لفرض الرقابة على يوميات شارّت قبل نشرها ، ولكن أسرته أصرت على نشر النص كاملاً . وهو يحوى الكثير من تفاصيل حياة الرجل اليومية ، وعمله السياسى ، وتتميز بالصدق فى وصف الخلافات والمؤامرات التى تحيكها الأحزاب المختلفة فى دهاليز وأروقة الكنيست ومجلس الوزراء .

وما كان شارّت ، من وجهة النظر العربية ، شخصية إيجابية . فهو أولاً رفض السماح بعودة الفلسطينيين اللاجئين إلى أراضى ٤٨ . ولم يتعاطف مع معاناتهم البتة . ورفض ، حتى نظرياً ، فكرة تكون دولة فلسطينية فى الضفة الغربية . وهو حين يعارض استخدام الإرهاب ضد العرب ، إنما يفعل ذلك خوفاً على سمعة إسرائيل أمام دول العالم المتقدم ، وخصوصاً الولايات المتحدة وأوروبا الغربية . وهذا يدل على ضعف أخلاقى فى شخصية الرجل ، يمنع القارئ من التعاطف معه ، فهو لا يؤمن بمبدأ صائب يلتزم به ، بل يهتم بخلق صورة جيدة للدولة العبرية أمام الآخرين فحسب .

وهو يصف فى يومياته محاولاته لكبح جماح رغبات بن جوريون التوسعية ، ووراء قيادات الجيش ، ووقوفه ضدها حتى انتهى الأمر إلى سقوطه .

(١) Israel's Sacred Terrorism. By Levia Rokach. Aaug Press : Newyork., 1986.

تقديم

تعموم تشومسكى

نوماً يقدم التاريخ المعاصر للعامة فى إطار عقائدى . أحوال الدول التى يطفى عليها حزب واحد فى الإعلام الغربى معروفة ، لا تستحق التحليل . ولكن القضية أكثر تعقيداً فى مجتمعات تحررت من أساليب السيطرة القديمة . الولايات المتحدة مثلاً من أقل الدول كبتاً للوازع العلمى والبحث عن الحقيقة . ومع ذلك ، فلا يتاح لدراسة تاريخية النجاح إلا إن التزمت بإطار عقائدى بعينه .

"تبدأ الولايات المتحدة نوماً بنوايا طيبة " . بهذا السطر الذى بات من طقوس مناقشة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ، يبدأ وليام بتاف دراسة عن تدخل الولايات فى شئون الدول الأخرى ، وإن بقيت الدراسة فى حدود ما يمكن أن يقال (عقوبة التدخل ، إنترناشيونال هارولد تريبيون ، ١٩٧٩) . لتقبل هذه الأفكار ، لابد لفرد لا يقدر على تحمل التوتر من تجاهل المعلومات الكثيرة المتاحة فى مجتمع حر . مثلاً ، توجد سجلات تدل على التخطيط المسبق محفوظة لدى البنتاجون ، خصوصاً فى ملفات الأعوام الأولى لسياسات التدخل فى الأربعينيات والخمسينيات ، حين تم تكوين وإعداد الكثير من السياسات الخارجية . أما المثقفون والكتاب ، فيبقون مع الإعلام ، رافضين التشكيك فى هذه النظريات ، بحيث يقدم للقراء تاريخ أحادى ، بلا أى نقد للسياسات الخارجية يتم تجاهل من لا يلتزمون بهذه السياسة ، على أساس " انعدام الشعور بالمسئولية " " السذاجة " " عدم القدرة على سبر أغوار الحقيقة التاريخية " وغيرها .

مع أن علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل لا تخلو من التوتر ، إلا أنها كانت يوماً ، كما يقول الإعلام : " علاقة خاصة عميقة . " وهذا واضح مادياً ، عبر المساعدات في مجالي المال والسلاح ، وعن طريق التعاون الدبلوماسي ، وأحياناً القيام بعمليات مشتركة ، كما فعلت إسرائيل للدفاع عن مصالح أمريكا في الشرق الأوسط عام ١٩٧٠ في أزمة شملت سوريا والأردن والشعب الفلسطيني . وهذه العلاقة الخاصة تظهر على المستوى العقائدي كذلك . مع استثناءات عابرة ، هناك عقائد ثابتة شائعة ، وأولها فكرة أن إسرائيل ضحية الإرهاب ، والتعديت العسكرية ، والكراهية بلا سبب . بل إن بعض المحللين لا يزالون يدعون أن إسرائيل هوجمت في عقر دارها أربع مرات ، وذلك يشمل عام ١٩٥٦ . أحياناً ، تنتقد إسرائيل لردّها على الإرهاب ، ويتم تفهم ذلك حتى إن انتقدته الصحافة . أما الحقيقة ، وهي أن إسرائيل دوراً أساسياً في صنع العنف وخلق الصراع ، فتظهر فقط في دراسات للمختصين . في دراسة عن خلفية حرب ١٩٥٦ ، قدم ناراف سفران ، وهو أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفرد ، نظرية مفادها أن الدول العربية " بدت مصممة على مواجهة إسرائيل " . أما الغارة الإسرائيلية على غزة في فبراير عام ١٩٥٥ ، فقد كانت على سبيل الانتقام بسبب إعدام مصر لبعض المخابرات الإسرائيليين . وإن حدث بعد ستة أعوام ، كما يدعى سفران ، أن عرف بالفعل أنهم كانوا مجندين من قبل إسرائيل . أما الخلفية الفورية للمعركة ، فتوصف بهجمات الفدائيين وانتقام إسرائيل . الإرهاب الذي دعمته مصر " دفع إسرائيل لدخول الحرب عام ١٩٥٦ ، وكان السبب لرفضها التخلي عن غزة " (إسرائيل - الصداقة الخاصة مع أمريكا ، كامبرج ، جامعة هارفرد ، ١٩٧٨) .

للمحافظة على نظريات كهذه ، لابد من تجاهل معلومات كثيرة متاحة . يتجاهل سفران في الواقع اليوميات التي تستخدمها ليفيا روكاش هنا ، والتي نشرت على العامة عام ١٩٧٤ ، أو الملفات المصرية التي وصلت لإسرائيل وتم نشرها عام ١٩٧٥ ، ومعلومات أخرى تقلل من قيمة وجهات النظر الرسمية الشائعة في الإعلام الغربي .

يوميات موشى شاريت ، التي تناولتها ليفيا روكاش بالتحليل هنا ، بلا شك من أهم المصادر . وهي تبقى خارج إطار التاريخ الرسمي الذي يقدمه الإعلام المتعاطف مع الصهيونية . وذلك الوضع يستمر ما دامت الولايات المتحدة مرتبطة مع إسرائيل .

ولكن إن كانت صديقة حميمة لدولة عدوة ، مثلاً ، للاتحاد السوفيتي السابق ، لباتت اعترافات شارت معلومات عامة ، ولكف الناس عن التحدث عن هجوم مصر المزعوم على إسرائيل عام ١٩٥٨ .

حين يدرس المرء مراحل تكوين سياسات أى دولة ، فسيلاحظ مواقف متعنتة تطالب باستخدام القوة والعنف لتحقيق الأهداف ، ومواقف مرنة سلسة تدعو للدبلوماسية واستخدام الاقتصاد للوصول إلى الأهداف ذاتها ، وإن تغيرت الأساليب . وقد حاول موشى شاريت استخدام أساليب الدبلوماسية وكانت هزيمته دلالة على تفوق بن جوريون ، لأن ديان وآخرين أرادوا استخدام القوة لتحقيق أهدافهم . يوميات شاريت تقدم صورة واقعية عن الصراع الداخلى كما رآه ، وهى شهادة حية عن التاريخ الباكر للدولة العبرية ، وإن دلت على ما هو مستمر فى الحدوث حتى الساعة . وقد خدمت ليفيا روكاش الحقيقة المختبئة وراء قصص الإعلام الرسمى فى كتابها هذا .

نعوم تشومسكى ، ١ يناير ١٩٨٠

مقدمة المؤلف

اعتمد الدعم الشعبى لإسرائيل خلال الربع قرن الأخير على عدد من الأساطير أهمها أسطورة الأمن ، التي تعنى وجود مخاطر حقيقية تهدد بقاء الدولة العبرية فى فلسطين ، وهى أسطورة صُنعت بدهاء لإقناع الناس ، وتشجيعهم ، على تقديم المال لمساعدة إسرائيل عسكرياً واقتصادياً . " الأمان الإسرائيلى " هى الفكرة التي تقدمها حكومتا إسرائيل والولايات المتحدة لمنع الفلسطينيين من تقرير مصيرهم فى بلادهم . خلال العقود الثلاثة الماضية استُعمل هذا التفسير لتبرير كسر إسرائيل للقرارات الدولية التي طالبت بعودة الفلسطينيين إلى ديارهم . وخلال الثلاثة عشر عاماً الأخيرة استخدمت إسرائيل فكرة الأمن كذلك لتبرير رفضها التراجع عن الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ . الأمن هو العذر لقتل المدنيين فى لبنان ، ومصادرة الأراضي ، وتكوين مستوطنات فى الأراضي المحتلة ، والاعتقال العشوائى للسجناء السياسيين . مع أن أمن الدول العربية هُدد خلال الأعوام الماضية بحروب خفية وعلنية ، وعلى الرغم من أن قوانين الأمم المتحدة تطالب بتكوين حدود آمنة لجميع الدول .

شيوع فكرة الأمن الإسرائيلى يوضح وجود إيمان شائع برغبة العرب فى القضاء على إسرائيل . وأغلب المؤلفين الغربيين الذين يقدمون هذه النظرية يعتمدون على أفكار قدمتها الصهيونية فى الأربعينيات ، حين تكونت الدولة العبرية ، وفى الخمسينيات حين وصل الرئيس عبد الناصر للحكم . وهم يستخدمون هذه الأفكار لتصوير صراع إسرائيل من أجل الأمن كقضية أخلاقية . والإعلام غالباً ما يساعد السياسيين الذين يشجعون إسرائيل ويدعمونها بالمال والسلاح .

ولقد تم تجاهل أى حقائق مخالفة لهذه الأفكار فى الغالب . فمثلاً ، كشف ناعوم جولدمان (فى موند دبلوماسيك ، أغسطس ١٩٧٩) أن بن جوريون كان قد اتخذ قرار الحرب قبل مايو ١٩٤٨ ، مما يعنى أن فكرة الوصول إلى حل وسط كانت قد رفضت مسبقاً .

أما نشر يوميات موشى شاريت بالعبرية فيقدم خير دليل على خطأ النظرية التي تدعى أن سياسات إسرائيل دافعها الهاجس الأمنى . فبين عامى ١٩٢٣ - ١٩٤٨ ، قاد شاريت العلاقات الخارجية للحركة الصهيونية ، حيث كان رئيساً عاماً للمؤسسة الصهيونية ، ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٦ ، كان وزير الخارجية . وخلال عامى ١٩٥٤ - ١٩٥٥ كان رئيس الوزراء أيضاً . أقدم فى الصفحات التالية أجزاء من مذكرات شاريت لإثبات ما يلى :

١ - لم تشك القيادة السياسية والفكرية فى إسرائيل فى إمكانية تهديد العرب لها ، بالعكس . فقد تعمدت استفزاز الدول العربية بعد حرب ١٩٤٨ . وقد حاولت الأخيرة تجنب أى معركة مع إسرائيل ، ولكن للبقاء احتاجت لتقديم صورة قوية لشعوبها وللمهجرين من الفلسطينيين ، كرد فعل على العدوانية الإسرائيلية المستمرة . باختصار ، كان التهديد العربى أسطورة لم يستطع العرب نفيها ، مع أنهم فشلوا يوماً فى الحرب مع إسرائيل .

٢ - المؤسسة العسكرية والسياسية فى إسرائيل تدفع الدول العربية لمواجهة عسكرية عرفت نتائجها مسبقاً . وكان الهدف من هذه المواجهات هو أن تتحول إسرائيل إلى أقوى دولة فى الشرق الأوسط .

٣ - ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، استخدمت الأساليب التالية :

أولاً : اعتدت القوات الإسرائيلية على السكان فى الضفة الغربية وغزة ، اللتين كانتا تحت السيطرة الأردنية المصرية . وكان لهذه الاعتداءات هدفان : أولاً : لإرهاب السكان ، وكذلك لخلق توتر بينهم وبين السلطات العربية التى لم تقدر على حمايتهم .

ثانياً : تمت أعمال عسكرية ضد قواعد الجيوش العربية على الحدود لإضعاف الحالة النفسية للجنود والأنظمة .

ثالثاً : تمت أعمال إرهابية فى أعماق الدول العربية للتجسس وخلق الرعب وعدم الاستقرار .

رابعاً : ومن أجل تحقيق أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية ، استخدمت الأساليب التالية :

١ - تم الاستيلاء على أراضٍ جديدة عن طريق الحرب . ومع أن الاتفاقيات عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وهبت إسرائيل ثلثاً إضافياً من الأرض فوق ما وافقت عليه الأمم المتحدة ، إلا أن القيادة الإسرائيلية لم ترض بحدودها التي وافقت عليها . ولذلك أرادت المزيد من الأراضي الفلسطينية .

٢ - مساع سياسية وعسكرية لإنهاء جميع مطالب الفلسطينيين بأرضهم عن طريق تشريد المهجرين خلال عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٩ إلى أراضٍ بعيدة أو حتى خارج العالم العربي .

٣ - مؤامرات خفية لتمزيق العالم العربي ، وإضعاف الحركات القومية ، وخلق أنظمة فاشلة تستسلم للهيمنة الصهيونية .

ويوميات شارت ، حين تثبت هذه النقاط ، تدمير العديد من التفسيرات التي تعد حقائق تاريخية . ومن هذه الأساطير ما يلي :

١ - يعتبر الكثيرون أن تأميم قناة السويس كان سبب حرب ١٩٥٦ . وهذا يعني أن هجوم القوات البريطانية الفرنسية قد قدم لإسرائيل عذراً لتدمير الفدائيين الذين اخترقوا حدودها ، ومواجهة نظام الرئيس عبد الناصر .

تؤكد يوميات شارت أن هذه الحرب خطط لها منذ عام ١٩٥٥ من أجل احتلال غزة وسيناء . بل وبدء الاستعداد لخوض المعركة قبل أن يقصى الرئيس عبد الناصر محمد نجيب من القيادة . وقد تم اتخاذ القرار وتأجيل التنفيذ لأن الظروف الدولية تتطلب الانتظار . وبعد شهرين رفض وزير الخارجية قرار الحكومة بالحرب لاحتلال غزة ، ولذلك اتخذ بن جوريون والصقور القرار بالتخلص منه . وإن لم يكن العنوان الثلاثي قد تم خلال أشهر ، لكأن إسرائيل قد بدأت الهجوم بمفردها حسب مخططاتها وبموافقة أمريكية .

٢ - يعتبر احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ حركة وقائية ضد العدوان العربي . ولكن يوميات شارت توضح أن احتلال غزة والضفة كان جزءاً من خطط الحكومة الإسرائيلية منذ الخمسينيات . وقد علمت القيادات الصهيونية بهذه الخطط في عام ١٩٥٤ . وفي عام ١٩٥٥ ، تم التوضيح بحياة العرب واليهود في غارات

استفزازية من أجل تقديم عذر لاحتلال الأراضي الأردنية . وكان المانع الوحيد وجود بريطانيا في الأردن وحمايتها للمملكة الهاشمية .

٣ - لا يزال البعض يتصور أن العدوان الإسرائيلي على لبنان جزء من خطة دفاعية. ولكن يوميات شارت توضح أن بن جوريون عام ١٩٥٤ قدم خطة لتقسيم لبنان على أساس طائفي. أما استخدام الصهاينة الإرهاب من أجل خلق صورة تهديد عربي لإسرائيل ، فيوضحه " الشخص الثاني " في الحركة الصهيونية آنذاك .

تأملت الأحداث التي اصطنعناها ، والعدوانيات التي خلقناها ،
والتصادمات التي تسببت فيها ، والتي أدت إلى الكثير من سفك
الدم ، ولكوارث معروفة ، وزادت أوضاعنا الأمنية سوءاً .

وبعد أسبوع ، أوضح موشى ديان ضرورة رفض إسرائيل لأي حدود آمنة تقدمها
الدول العربية ، أو الأمم المتحدة ، وضمانات الأمن الأمريكية . مثل هذه الضمانات قد
" تقيد يد إسرائيل " ، أي أن التعديلات المستمرة على الحدود خلال منتصف
الخمسينيات كانت ستنتهي ، ولن يبقى لها داع . وهذه التعديلات ، قال ديان :
" ضرورة لبقاء الدولة ، إذ تحت الشباب على الانضمام للجيش ، وحماية إسرائيل "
(٢٦ مايو ١٩٥٥) .

خلق عقلية قلقة مهووسة بالأمن كان ضرورة حتى يتوحد مجتمع يتكون من
مهاجرين من أفريقيا وآسيا وأمريكا . ولكنه كذلك كبح جماح أي وازع وجداني يعارض
ما يحدث من تعامل لا أخلاقي مع الفلسطينيين من قبل الدولة . مارس الصهاينة
العدوانية والإرهاب قبل وبعد حرب ١٩٤٨ . الشهادة التالية لجندى اشترك في احتلال
قرية بويلمة الفلسطينية عام ١٩٤٨ مجرد دليل آخر يضاف لسلسلة طويلة :

قتلنا ما بين ٨٠ - ١٠٠ عربي بينهم نساء وأطفال . لقتل
الأطفال ضربوا رؤسهم بالبنوس . لم يوجد أي منزل بلا جثث .
رجال ونساء القرى اقتيدوا إلى منازل ، ثم تم تفجيرها . بعض
الجنود اغتصبوا النسوة وقتلوهن . تحولنا إلى قتل ، لا من أجل
الانتصار في معركة ، بل لتصفية السكان . كلما قل عدد العرب
المتبقين . كان الوضع أفضل .

ولكن هذه الأحداث لم تصل لأسماع الناس . اعتبر الغالبية أن الحرب انتصار للحق (اليهودي) على القوة (العربية) . اعتبروا دير ياسين استثناء ناتجاً عن عقلية خاصة ، وهي مجموعة أرجون . الكتب المدرسية ، نصوص التاريخ ، كلها مجدت القيمة الأخلاقية للحرب و " طهارة السلاح " ، والقيم الأخلاقية لليهود .

سياسات الخمسينيات الانتقامية الأمنية عاكست هذه القيم . بعض قواد إسرائيل اعتبروا هذه السياسات لا عقلانية ، إذ تعارضت مع الواقع الموجود في المنطقة ، ومع التزامات إسرائيل الدولية . هدف تحول إسرائيل إلى القوة الضاربة في الشرق الأوسط تطلب التخلي عن القيم الأخلاقية التي ادعتها الحكومة سابقاً ، والتحول للعدوان السافر . وهكذا ظهرت سياسة الانتقام . المثال الجديد لإسرائيل كان قوة خلية ١٠١ التي قادها أرييل شارون .

وهذا التحول ما كان سهلاً . كما اعترف ديان في المقالة التي استشهدنا بها أعلاه . لاصطناع القلق ، كان هناك ضحايا من اليهود لا بد من قتلهم لخلق مسببات الانتقام ، وخصوصاً حين نجحت الحكومات العربية في كبح جماح شعوبها الغاضبة . بث الإعلام برامج يومية عن وحشية الأعداء ، وأن التصالح معهم في حد ذاته ضعف لإسرائيل .

أسلوب شاروت اعتمد السياسة والدبلوماسية بدلاً من إرهاب بن جوريون والتابعين له . وقد اعتقد أن هذا الأسلوب سيؤدي لتقوية إسرائيل وربما توسعها ، بدون تصادم مع الدول العربية ، أو إغضاب الغرب . بل اعتقد بإمكانية التعاون مع العرب لتحقيق طموحاته . كما أدرك بوضوح الفاشية المخفية تحت حجاب فكرة الأمن ، وقيم بشكل صائب نتائج الفساد الأخلاقي في الداخل والعنف في المنطقة بأسرها . وقد عارضها ، وكان أهم ضحاياها . ولكن هزيمته كانت قدراً . إذ إنه خالف النسبة لا الفكرة ، الأسلوب لا الهدف ، أرقام الضحايا لا العدوان ذاته . نظراً لإيمانه العميق بالصهيونية ، أسعده نجاحها السريع ، وأقلقه ما سينتج عنه على المدى البعيد من ربود أفعال .

وهكذا كان التخلص من صوته المحتج ضروري لتحقيق طموحات القيادات الإسرائيلية . نقطة ضعفه كانت اعتماده على الغرب لإيقاف التطرف الصهيوني ، بدلاً من إيقاظ الشعب الإسرائيلي وإبلاغه بحقيقة ما يحدث . ما جرؤ على ذلك ، وكان في ضعفه نهايته . بل إنه تعاون مع دعاة نظرية الأمن الذين تسببوا في نهايته وحاكوا المؤامرات ضده في نهاية المطاف .

مذكرات شاروت توضح استحالة تقديم حل صهيوني وسيط ، وفشل أى محاولة تصحيحية من الداخل . هناك منطق واضح للتاريخ خلال الثلاثين عاماً الأخيرة . فى أوائل الخمسينيات تكونت دولة تعتمد على الإرهاب المقدس ضد جيرانها . وفى أوائل الثمانينيات أدركت هذه الدولة وبدأت تشجب ما ارتكبته .

وقد يكون هذا سبباً آخر يخرج الصحفيين الغربيين والدارسين ، لهذا النص . فهم لا يزالون يؤمنون بنظرية الأمن . يوميات شاروت فى الواقع تكشف حقائق تضر الحركة الصهيونية .

(٣)

الإرهاب الصهيوني المقدس

دراسة تعتمد على يوميات موشى شارّت . ومخطوطات أخرى

ليڤيا روكاش

ولد موشى شارّت فى هارسون ، بروسيا ، عام ١٨٩٤ . وقد هاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٠٦ ، حين كان فى الثانية عشرة . وسكنت أسرته القرية الفلسطينية ، عين سينية ، بجوار نابلس . لاحقاً ، وصف موشى وإخوته الثلاثة الفترة التى عاشوا فيها فى هذه القرية ، حين استمعوا لقصص العجائز ، وتعلموا العربية مع أطفال القرية ، بأنها كانت أسعد أيام حياتهم .

وقد انتقلت أسرة شارّت إلى تل أبيب عام ١٩٠٨ ، حيث درس موشى فى مدرسة هرتسليا الثانوية . خلال الحرب العالمية الأولى ، انضم إلى الجيش العثماني ، وخدم كضابط فى سوريا . وبعد الحرب ، حين تأسس الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، تخرج من مدرسة لندن للاقتصاد ، وبدأ نشاطه السياسى بالانضمام لحزب العمال . وكان من الأعضاء المؤسسين له ، وكان رئيس تحرير مجلة الحزب . ثم تعين ممثلاً لحايم أرلوسوروف ، رئيس الفرع السياسى للمؤسسة اليهودية . وحين اغتيل أرلوسوروف فى تل أبيب عام ١٩٣٣ ، تم اختيار شارّت سكرتيراً خاصاً للحزب . خلال تلك المرحلة كان المدير العام للمؤسسة اليهودية هو ديفيد بن جوريون .

حسب تصور شارّت ، فقد بدأ توتر علاقاته مع بن جوريون لمدة خمسة وعشرين عاماً من الاتصال فى قمة الحركة الصهيونية والنولة الإسرائيلية ، بدأً بشك بن جوريون بارتباط شارّت وإخلاصه لحايم وايزمان ، رئيس المؤسسة الصهيونية العالمية.

فى الأربعينيات ، اتهم بن جورىون شارت ، بالاتصال بوايزمان للوصول لاتفاق مع الأمير فيصل السعودى . شارت أكد أنه فى الواقع ساهم بإفشال هذه المفاوضات . ولكن ، حسب أقوال د. ناعوم جولدمان ، فإن شارت كان بالفعل يحاول الوصول لاتفاق سلمى مع العرب لحل مشكلة الوجود الصهيونى فى فلسطين ، واقترح تكوين تجمع شرق أوسطى يحوى الحركة الصهيونية . المفاوضات الأساسى بين العرب كان النقراشى باشا ، وزير الخارجية المصرى . وهذه المفاوضات ، التى توقع أن تمنع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى ، ما عنت سوى تأجيل توقيت الاعتراف بإسرائيل لبضعة أسابيع . ولكن بن جورىون رفض التفاوض والتأجيل ، واتهم شارت بمعارضة تكون الدولة اليهودية فى إسرائيل ، وهو اتهام نفاه الأخير جملة وتفصيلاً .

الواقع هو أن بن جورىون اختار القوة بينما جذب شارت الدبلوماسية للوصول لذات الأهداف ، مما سبب التصارع بين الشخصيتين القياديتين ، واستمر الخلاف بينهما حتى تنحية شارت من منصبه عام ١٩٥٦ ، وقد توفى عام ١٩٦٥ .

المذكرات التى نشرها موسى شارت تشمل المرحلة ما بين أكتوبر ١٩٥٣ حتى نوفمبر ١٩٥٦ ، وأعوامه الأخيرة فى رئاسة وزارة إسرائيل ، وفى الخارجية . وتستمر بعد ذلك لمدة خمسة عشر شهراً قضاها معذباً بعد وفاته السياسية . وقد توقف موسى شارت عن الكتابة فى منتصف ٢٩ نوفمبر ١٩٥٧ . وهو يتهم فى آخر صفحاتها أحد رفاقه القدامى بالتآمر ضده .

واليوميات ، التى تتكون من ٢٤٠٠ صفحة فى ثمانية مجلدات ، تحوى الخواطر والملاحظات اليومية ، شاملة حياته الخاصة ، والأسرية ، والحزبية ، واللقاءات الوطنية والدولية المهمة ، الحوارات مع زوجه وأفراد الأسرة، مع أسئلة تتعلق بالأوضاع الوزارية. الطبيعة الخاصة للنص تميزه عن غيره من نصوص اليوميات التى صدرت من إسرائيل مؤخراً . شارت لم يكتب هذا النص وهو يتفكر فى نشره للدفاع عن الذات . بل إن أسرته تعرضت لضغوط قاسية لمنع نشر هذه اليوميات ، أو على الأقل ، السماح بفرض الرقابة عليها . ولكن ابن شارت ، يعقوب ، قرر نشر النص كما هو ، بدون أن يسمح لأى فرد بالعبث به .

لماذا ذهب بن جوريون إلى سداح بوكر ؟ التنسك أسلوب سياسى

حين كتب موسى شارُت أول مذكراته اليومية فى ٩ أكتوبر ١٩٥٢ ، كان بن جوريون قد أعلن رغبته فى الانسحاب من النشاطات السياسية . شارُت ، الذى كان الشخصية الثانية بعد بن جوريون ، بات رئيساً للوزراء ، واحتفظ كذلك بوزارة الخارجية .

بالنسبة للرأى العام ، كانت أسباب استقالة بن جوريون روحية ، فهو ودٌ إعادة شباب إسرائيل إلى التدين ، واعتزم الحياة مع بعض نساك اليهود فى إحدى المستوطنات الجديدة . فى الواقع ، اضطرت الدولة الإسرائيلية لإنفاق ملايين الدولارات لحمايته فى مكان إقامته الجديد ، وأبلغ رفاقه المقربين أنه سيغيب لعامين فحسب . وراء حملة الدعاية التى مجدت انسحابه ، كانت هناك خطة محكمة أعدها مع رفاقه . فمنذ ذلك الحين ، قبل أن تمر أعوام قليلة على حرب ٤٩ - ١٩٨٤ ، كانت الرغبات فى التوسع على أشدها . لم تكف الحكومة الإسرائيلية بالأراضى التى احتلتها ، وودت قيادات الجيش احتلال فلسطين بأكملها . بن جوريون خطط لأن تصبح إسرائيل القوة الأساسية فى الشرق الأوسط . ومن أجل تحقيق ذلك الهدف ، تم إعداد قوة عسكرية كبيرة ستعمل تحت غطاء " الانتقام " . ولكن الظروف الدولية لم تسمح بذلك بعد .

اعتمدت إسرائيل على المعونات الاقتصادية والعسكرية من الغرب ، و لضمان وصولها لآبد للغرب أن يعتبر إسرائيل أفضل محقق لمصالحه عسكرياً ، وكان ذلك أحد الأهداف الأساسية للهجمات المضادة القاسية التى قامت بها القوات الإسرائيلية . فى الوقت ذاته ، لا يجب أن يقلق العالم ، وخصوصاً أمريكا وأوربا ، بشأن نوايا إسرائيل، لأنهم لن يعاونوها إن أدركوا حقيقة أهدافها التوسعية . انسحاب بن جوريون الرسمى ، واستبداله بشارُت المعتدل ، دل على أن إسرائيل لا تعد العدة لحرب ، ولكن ، ومنذ بدء الأعمال الانتقامية ، توقع العرب حرباً عاتية .

الهدف القصير المدى للخطة كان تخفيف ضغوط العرب على الغرب من أجل التسليح . وفى ذات الوقت ، كان الهدف المعلن لآى غارة هو الدفاع عن سكان إسرائيل ضد هجمات الفدائيين ، وهو هدف سيعزز وجود قائد مثل شارُت الذى عرف بميله للسلام . وهكذا ذهب بن جوريون إلى سدية بوكر ، محاطاً بهالة القداسة الزائفة ، واستعد شارُت لهام منصبه ، أو هكذا تصور . ففى الواقع احتفظ بن جوريون بالسلطة .

الانتقام للحرب السابقة ..

فى ١١ أكتوبر ١٩٥٢ ، ذكر وزير الخارجية ورئيس الوزراء المستقبلى فى يومياته أنه زار بن زفى ، رئيس الدولة :

كالعادة ، طرح بن زفى أسئلة مهمة ، مثل هل نستطيع احتلال سيناء ؟ وكم سيكون رائعاً إن بدأ الإعداد بهجوم استطعنا رده وغزونا الصحراء بعد ذلك . خاب أمله إذ أبلغته أن المصريين لا يريدون البتة راغبين فى أى استفزاز لنا (١١ أكتوبر ١٩٥٢) .

فى اليوم التالى أبلغ بن جوريون شارُت أن بنحاس لافون ، الداعية لسياسة الانتقام ، سيليه كوزير للدفاع ، وأنه يقترح أن يتولى موشى ديان قيادة القوات العسكرية .

أجبت فوراً أن موشى ديان قائد عسكري ، ولكن فى وقت السلام سياسى . ما يعنيه ذلك هو تسييس الجيش . وأن قدراته على التآمر ستؤدى للكثير من الأذى . اعترف بن جوريون بصديق ما أقوله ، وذكرنى بأن ديان يعرف ويعترف بوجود هذه الصفات الشخصية ، ولكنه سيؤدى الوظيفة المطلوبة منه . تركته بقلق شديد .

اعتبر شارُت المناخ العالمى غير ملائم لإسرائيل : كانت الولايات المتحدة تقوم بتسليح سوريا والعراق ، والبدء بتسليح مصر . وكذلك ، فإن رفض إسرائيل الدائم لقرارات الأمم المتحدة وتعدياتها المستمرة على نهر الأردن ، أدى لتوتر مع العواصم الغربية التى ودت تحقيق سلام يهدئ التوتر فى منطقة الشرق الأوسط . كما لاحظ مسئول الأمم المتحدة ، واجن بينابك : " إن الإسرائيليين يعملون على تغيير الواقع داخل الأراضى العربية . " (١٥ أكتوبر ١٩٥٥) يعلق شارُت على هذا القول بحزن قائلاً : " تساءلت عدة مرات ، وأبلغونى كل مرة أنهم لا يعملون على أى أراضٍ عربية . بعد أن أكد بينابك قوله لى ، سألت أمير الذى اعترف لى بالحقيقة . وهكذا بدوت كاذباً فى أعين العالم أجمع " . (٣١ أكتوبر ١٩٥٥) .

ولأنه خشي عدواناً إسرائيلياً ينتج عنه أزمة في العلاقات مع الغرب ، حاول شارُت إيقاف عملية قبية الانتقامية ، ذاكراً أن الحدث التافه على الحدود ، قد شجبتة الأردن، وأن القوات الأردنية وعدت بمنع تكراره .

أبلغت لافون أن هذا الهجوم سيكون خطأ كبيراً ، ونكرته أن الأعمال الانتقامية لم تحقق نتائج تنكر سابقاً . ابتسم لافون ، وبقي متمسكاً برأيه . قال لى إن بن جوريون يخالفنى الرأى . (١٤ أكتوبر ١٩٥٣) .

استمعنا فى الأخبار أن القوات الإسرائيلية هدمت ثلاثين منزلاً فى قرية واحدة . وأن الانتقام غير مرتبط البتة سواء فى حجمه أو القوة المستخدمة بالحادث الأصلى . جبت حجرتى حزيناً يائساً غير قادر على فعل أى شىء . أحزننى تماماً خبر تدمير القرية العربية . عشرات المنازل التى هدمت ، وعشرات الضحايا الذين هوت الحيطان عليهم . تصورت غضب الغرب صباح اليوم التالى .

وحين استنكرت خطة الانتقام ، لم أتوقع البتة حمام دماء بهذا الحجم . توقعت أن ما احتججت عليه سيكون مثل الأعمال السابقة . إن شككت البتة بأن الناس سيقتلون بهذه الطريقة ، لكنت قد فعلت أكثر بكثير .

الجيش الآن يود معرفة كيف ستفسر الخارجية هذا العدوان . فى لقاء مع القادة ومسئولى الخارجية اقترح شامول بندور أن ننفى دور الجيش فى الموضوع . إن سكان القرى المجاورة أغضببتهم الأحداث السابقة وقرروا الانتقام . ومثل هذه القصة ما كان أحد ليصدقها . أى طفل سيدرك أن العملية عسكرية . (١٦ أكتوبر ١٩٥٣) .

" أبلغنى يهو سافات حارقابى بشأن تحركات القوات الأردنية من أربد إلى نابلس ومن عمان إلى القدس . تيقنت أن هذه القوات

تهدف للدفاع ضد عدوانيتنا التي توقعوا المزيد منها . يستحيل
ألا يكونوا قد تصوروا أن قصف القرية هو بمثابة خطة لإشغال
قتيل الحرب . (١٧ أكتوبر ١٩٥٥) .

في الثالثة مساء جاء راسل (مسئول بالسفارة الأمريكية) ،
ومعه ملتون فرايد (مسئول آخر) إلى مكتبي .. قلت لهما إنني
لا أسمى لتبرير الهجوم القاسي على قبية ولكن أحذر من فصل
الفعل عن الأحداث السابقة له ، وأتهم الأردن بسوء النية . ثم
انتقدت السياسات الأمريكية على تشجيعها للعرب وفصل
إسرائيل . انتقدت الولايات المتحدة التي تتصور أن أفعالنا
ستؤدي للحرب . سألني راسل : ماذا بشأن قبية ؟ قلت إنني
لا أعرف الجواب . اقترح بعض المسئولين العثور على قضية
أخرى لتشغل الناس .

في لقاء الوزراء ، شجبت ما حدث في قبية لأنه صور إسرائيل
للعالم عصابة متعطشة للدماء ، مستعدة لزهق دم الأبرياء بغض
النظر عن النتائج . حذرت أن هذا التشويه سيبقى وأن تمسحه
الأعوام المقبلة . واتخذنا القرار أننا سنصدر تقريراً بشأن قبية
يكتبه بن جوريون .

أكدت على أهمية التأسف ، وأكد بن جوريون على ضرورة فصل
الحدث عن الجيش الإسرائيلي ، وذكر أن السكان المدنيين
المقيمين على الحدود تصرفوا من أجل العدالة ، وأن غالبيتهم
مسلحون وخدموا سابقاً في الجيش .. قلت له لا أحد في العالم
سيصدق ما نقوله ، وإن خشيت مغبة الاعتراف بمسئولية الجيش ،
الذي يعنى الموافقة على هذه الجريمة البشعة .

حتى شارُت لم يود اتهام الجيش . ولماذا يتهمه ، ما دامت السلطات السياسية
هي التي اتخذت القرار ؟ ولكن يمكن ملاحظة شيء آخر . فأمن سكان المستوطنات
الحدودية قد يُهدد إن أُلقيت تهمة الجريمة عليهم . التشجيع على أعمال الانتقام المتبادلة
كان لهدف ما ، بدا واضحاً في ابتسامة لافون حين حاول شارُت إقناعه باستحالة

إرضاء العالم بهذه التبريرات . منذ البداية ، فى الواقع ، كان الهدف من السياسة الانتقامية هو خلق التوتر فى المنطقة . وكلما ازداد التوتر ، ضعفت الأنظمة العربية ، وازداد الضغط لسحب المخيمات الفلسطينية إلى أعماق العالم العربى ، وزادت إمكانيات الحرب . وفى الوقت ذاته ، استمر تسليح الجيش .

وفى ١٩ أكتوبر ، اجتمع الوزراء . تحدث بن جوريون لساعتين ونصف الساعة ، مقدماً معلومات تفصيلية عن ازدياد قوة الجيوش العربية التى ستصل لقمتها عام ١٩٥٦ (١٩ أكتوبر ١٩٥٢) .

بدا واضحاً . أن إسرائيل ستعلن الحرب فى ذلك التاريخ . شارُت قال : " بينما استمعت ، اعتقدت أنه يجدر بنا استخدام الدبلوماسية أولاً . لنقدم حلاً حقيقياً لمشكلة اللاجئين ، عن طريق دفع تعويضات ، وتحسين صلاتنا بالقوى القريبة ، والبحث عن وسائل للتفاهم مع مصر . ولكن هذه الأفكار لم تتوافق مع رغبات المؤسسة السياسية .

فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٢ ، اجتمعت القيادات الصهيونية الأمريكية واستمعت لمحاضرة ألقاها الكولونيل ماتى بيليد . الاستنتاجات كانت - حسب رأى شارُت - واضحة : " أولاً: إن الجيش يعتبر الحدود الحالية مع الأردن غير مقبولة . ثانياً : إنه يعد لحرب من أجل احتلال ما تبقى من الأراضى التى يجب أن تكون جزءاً من إسرائيل " .

وقد شجب مجلس الأمن الاعتداء على قبية ، مما دفع شارُت إلى منع أى أفعال انتقامية لاحقة بدون استئذانه . اغتيال الطبيب الأردنى مثلاً فى الطريق أغضب رئيس الوزراء . وعرف فيما بعد أن إسرائيل كانت وراء الحادث . هذه الأفعال وغيرها أدت لتوتر العلاقة بينه وبين القيادات العسكرية . فى يناير ١٩٥٤ ، طلب ديان لقاء مع مجلس الوزراء ، واقترح خطة تلو أخرى للتعدى . كان من الممكن التخطيط لفك الحصار على اليات : يمكن إرسال باخرة تحمل العلم الإسرائيلى وإن هوجمت ، سنقصف القاعدة المصرية بالطائرات . " سألته : " تترك طبعاً أننا سنعلن الحرب على مصر بهذه الطريقة ؟ " قال : " بالطبع " . (٣١ يناير ١٩٥٤) .

بقيت الحرب مع مصر حلمًا يراود خيال مؤسسة الأمن الإسرائيلى ، ولكن الوقت لم يكن بعد قد حان لتحقيقها . فى ٢٥ فبراير ، وضع بن جوريون قيوداً على خطة

لافون التي سعت " فوراً لفصل غزة من مصر " . صمم بن جوريون على الخطة التي أراد الالتزام بها . قال شارُت : " يود بن جوريون التركيز على سوريا حالياً " . (٢٧ فبراير ١٩٥٤) .

فرصة تاريخية لاحتلال جنوب سوريا ..

في لقاء سبق ذكره في ٢١ يناير ١٩٥٤ ، أعلن موشى ديان خطته الحربية . وهنا يصف شارُت ما تم ذلك اليوم .

الخطة الثانية كانت انتقامية لإيقاف تدخل سوريا لمنع الصيد في بحيرة طبريا ، والثالثة هي الرد على تدخل العراق في سوريا ، ففي هذه الحال ، ستتدخل قواتنا فوراً .

الاستنتاج الذي وصلت إليه من متابعة خطط تفكير القيادات ، أقلقني تماماً .

في ٢٥ فبراير ١٩٥٤ ، ثارت القوات السورية المربطة على الحدود ضد نظام أديب شاشكي . بعد الغداء ، تحدث لافون معي محاولاً إقناعي بأن هذه هي اللحظة الملائمة للتصرف . لا بد لنا من التحرك واحتلال الحدود السورية بعد المنطقة العازلة . سوريا تتفكك . الدولة التي عقدنا معها اتفاقية الهدنة ما عانت موجودة . إن سقطت حكومتها فمن سيملا الفراغ ؟ العراق سيتدخل . إنها فرصة تاريخية لا يجدر بنا تركها .

ترددت في الموافقة على خطة مجنونة كهذه ، وشاهدت نفسي على حافة الهاوية أتردد قبل إلقاء إسرائيل في مغامرة مجنونة . سألته إن اعتقد أنه يجدر بنا التحرك فوراً ، واستغريت إذ قال نعم . قلت إن كان الجيش العراقي سيدخل إلى سوريا بالفعل ، فذلك سيرر تصرفاتنا . أما الآن ، فليس من المؤكد أن شاشكي سيسقط بعد . قد ينجو . لا بد من الانتظار قبل اتخاذ القرار .

أكد أن الوقت يمضى بسرعة وأن الفرصة قد تضيع إلى الأبد .
أوضحت مرة أخرى أن الظروف الحالية لا تسمح . أخيراً ،
نكرته أننا سنلتقى مع بن جوريون يوم السبت ، ويمكننا
استشارته بهذا الشأن . شاهدت علامات خيبة الأمل واضحة
على ملامحه ، ولكنه وافق على مفض . (٢٥ ، فبراير ، ١٩٥٤) .

فى اليوم التالى سقط نظام شاشكى بالفعل . وفى اليوم اللاحق له ، ٢ فبراير ،
حضر شارّت المؤتمر مع لافون وديان ، اللذين أكدا لبـن جوريون أن ما حدث فى سوريا
" من ألعاب العراقيين " ، واقترح الرجلان مرة أخرى التدخل الإسرائيلى . وافق
بن جوريون بسعادة باهرة ، ولكن شارّت احتج مرة أخرى ، مؤكداً أن مجلس الأمن
الدولى سيحتج على هذا التدخل السافر ، وإمكانات الفشل الذريع . احتج الثلاثة بأن
" دخولنا إلى سوريا تبرره أوضاعها المتردية . إنها عملية دفاع عن حدودنا " . أقفل
شارّت النقاش وقال إن الموضوع يمكن دراسته فى لقاء الوزراء المقبل ، بدت علامات
الحزن على وجه لافون ، إذ فهم أن الموضوع قد انتهى إلى الأبد - ٢٧ فبراير ١٩٥٤

فى الأحد ٢٨ فبراير ، ذكرت الصحافة أن القوات العراقية لم تدخل إلى سوريا .
وأن الوضع فى دمشق هادئ تماماً تحت سيطرة الرئيس هاشم الأتاسى . وافق
الوزراء على رأى شارّت ورفضت أفكار لافون الذى قال : " الولايات المتحدة ستخوننا
وتنضم إلى صف العرب " . ولذلك لابد " من إظهار قوتنا حتى لا يجرؤ أحد على
مهاجمتنا " . ولكن انتصار رئيس الوزراء كان قصير الأجل .

وحتى ذلك الوقت لم يحدث على الحدود السورية الإسرائيلية أية مواجهات . وجين
وُجد التوتر ، كانت إسرائيل يوماً المسبب له . أفعال مثل : سقى الأراضى التى يمتلكها
الفلاحون العرب وأخذت منهم عنوة ، والذى رفضته الأمم المتحدة ، أو استخدام القوارب
العسكرية ضد الصيادين السوريين فى بحيرة طبريا خلقت التوتر . لم تستطع الدولة
السورية الامتناع عن حماية مواطنيها ضد الهجوم الإسرائيلى ، ولكنها خشيت مغبة
الانزلاق إلى حرب طويلة الأمد . التصادمات كانت محدودة ، ولذلك صعب استخدام
فكرة الأمن لتبرير العدوان على سوريا .

فى ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ ، اختطفت الطائرات الإسرائيلية طائرة سورية بعد إقلاعها بفترة وجيزة ، وأجبرتها على الهبوط فى مطار اللد . تم التحقيق مع المسافرين لمدة يومين ، حتى اضطرت الاحتجاجات الدولية لإسرائيل لإطلاق سراحهم . وقد غضب شارّت لهذا الفعل . كتب فى ٢٢ ديسمبر ، إلى لافون قائلاً :

لابد أن تدرك أنه لا يحق لنا البتة اختطاف هذه الطائرة ، وأننا منذ ساعة هبوطها نكون مجبرين على السماح لها بالإقلاع فوراً . تدعى الولايات المتحدة أن فعلنا هذا لا سابق له فى تاريخ الطيران الدولى . ما يقلقنى هو قصر نظر قوادنا العسكريين . يبدو أنهم يتصورون أنه لابد لإسرائيل من التصرف فى العالم حسب قوانين الغابة (٢٢ ديسمبر ١٩٥٤) .

وقد احتج شارّت إلى لافون ضد الحملة الإعلامية ، التى هدفت لإقناع الرأى العام بأن الطائرة اخترقت الأجواء الإسرائيلية ، وربما تكون قد شكلت خطراً أمنياً كذلك . ولذلك لا يفهم الرأى العام لماذا تم إطلاق سراح هذه الطائرة ، ويتهم الناس الحكومة بالتنازل والضعف .

فى ١١ ديسمبر ، اليوم السابق لذلك حين خرقت إسرائيل الأعراف الدولية وخطفت طائرة مدنية ، قبضت سوريا على خمسة جنود إسرائيليين وهم يحاولون ربط خطوط بخطوط التليفون السورية . بعد شهر ، فى ١٣ يناير ١٩٥٥ ، انتحر أحدهم فى السجن . إسرائيل أعلنت أن الجنود الخمسة خُطفوا من داخل إسرائيل ، وأن سوريا عذبتهم . نتج عن ذلك غضب الرأى العام ، وزاد ذلك الغضب حين قبضت سوريا على عدد من الإرهابيين الإسرائيليين ، وتصور الرأى العام الإسرائيلى أن كل هذا من صيغ معاداة السامية . كتب رئيس الوزراء ما يلى فى يومياته :

تمت التضحية بشاب يافع بلا داع . الآن سيتهمونى بقتله . لو لم أكن قد سمحت للطائرة السورية بالإقلاع ، لأمكن المفاوضة واسترداد الخمسة . الولد كان سيقى حياً . لم يُخطف جنودنا فى أراض إسرائيل كما زعموا . بل تسللوا إلى سورية لمهمة تجسس ، إذ ربطوا خطوط التليفونات بأجهزة تصنت . الشاب ذهب بلا أى إعداد ، لم يقولوا له ما يجدر به أن يفعله فى حال

ال فشل ، وهكذا اعترف بالحقيقة منذ أول لحظة . الإعلام والكنيست سيتحدثان بشأن الإرهاب . ولكن يمكن أن يكون الفتى قد انتحر لأنه اعترف ثم فهم الضرر الذي ألحقه بالدولة . من المؤكد أن رفاقه عنبره . ربما يكون ضميمه هو وازعه للانتحار . (٣ يناير ١٩٥٥) .

حنرونى من أن أحدهم يود تسميى ، وأن الجيش غاضب تماماً ، بسبب هذا الانتحار (١٤ يناير ١٩٥٥) .

من الواضح أن بيان خطف الطائرة حتى يصرر أسرارنا فى سوريا . اعتقد أنه لابد من تبديل الأسرى بأسرى ، ولم يغير فكره (١٠ فبراير ١٩٥٥) .

وبعد تسعة عشر عاماً ، قام ديان ، وهو وزير الدفاع فى حكومة جولدا مائير ، بأمر القوات الإسرائيلية بمهاجمة مدرسة ، بغض النظر عن حياة المدنيين الإسرائيليين فى مالوت ، وهدفه الوحيد هو منع الفلسطينيين من استبدال الأسرى بمساجين فى الضفة الغربية وغزة . وأنداك ، كما حدث فى أحوال سابقة ، قام الإعلام بتصوير منظمة التحرير الفلسطينية التى حاولت تحرير أسراها عن طريق استبدالهم كتنظيم إرهابى وحشى . ولكن الإعلام لم يتهم موشى ديان بالإرهاب والوحشية أبداً ، حتى حين خطف طائرة مدنية من أجل استبدال راكبيها بجواسيس إسرائيليين .

مخططات إسرائيل ضد سوريا فى الخمسينيات لم تكن توسعية إرهابية فحسب . ففي ٣١ يوليو ١٩٥٥ ، حدث جيديون رافايل ، أحد المسؤولين فى وزارة الخارجية ، شارّت بشأن لقاءات أجراها مع المنفيين العرب فى أوربا . أحد هذه اللقاءات تم مع رئيس الوزراء السوري السابق حسنى بارازى : " حسنى يود العودة للسلطة . وهو مستعد لتقبل المساعدة من أى فرد . من تركيا ، مقابل دخول سوريا فى حلف أنقرة بغداد . من الولايات المتحدة ، مقابل تحالف سوريا مع الغرب ، مع إسرائيل ، مقابل عقد سلام (٣١ يوليو ١٩٥٥) .

ولكن السلام لم يشغل بال إسرائيل . تكاليف المعونة الإسرائيلية باهظة .

” هو الآن يريد منا المال للإعلام ، ولشراء الأفراد والأحزاب السياسية . جيديون ذكره بأنه من ملاك الأراضي الأثرياء . ويستطيع فعل الكثير . يمكنه مثلاً استخدام الأرض التي يملكها لتوطين المنفيين والمشردين من فلسطين . قال الرجل إنه موافق ، ولكن فقط حين يعود للسلطة ، وحتى ذلك الحين يحتاج لشيء من المال مقدماً ” . (٢١ يوليو ١٩٥٥) .

وإن خابت طموحات إسرائيل في تكوين حكومة عميلة في دمشق ، فالأحلام بقيت تداعب الخيال الإسرائيلي . في لبنان أيضاً تم إعداد خطة في عام ١٩٥٤ ، وكان على إسرائيل الانتظار عشرين عاماً قبل تحقيقها .

التخطيط لتقسيم لبنان على أسس طائفية :

في لقاء تم في ٢٧ فبراير ١٩٥٤ ، بين بن جوريون ، شاروت ، لافون ، وديان - ذكرناه سابقاً - طُرحت خطة لخلق البلبلة في لبنان ، أكثر جيران إسرائيل هدوءاً وأمناً آنذاك . لم يكن هناك داع لارتداء ورقة التوت المسماة الأمن .

قال بن جوريون لي إن الوقت قد حان للسعي لتقسيم لبنان عن طريق خلق الصراع الطائفي . أكد أن الوضع في حال التناحر والتشرنم اللبناني سيكون مفيداً لإسرائيل على أي حال . أوضحت له عدم وجود أي جماعة تدعو لهذا الانفصال ، وأن تشجيعنا له سيسبب لنا الأذى . وهنا تعرضت للنقد بسبب ضيق أفقى وافتقادي للشجاعة والعزم . لابد أن نتفق المال ونبحث بالجواسيس ،، قلت له ومن أين لنا بالمال الذي يقتضيه مشروع كهذا ؟ قال سنعثر عليه . المشروع يستحق الإنفاق . حتى مليون دولار تكلفة بسيطة ، نظراً للتغيير الذي سيحدث في المنطقة بأسرها بسببه . تعبت من مناقشتهم . (٢٧ فبراير ١٩٥٤) .

وفي اليوم التالي بعث بن جوريون إلى شاروت الرسالة التالية :

إلى موشى شاروت ، رئيس الوزراء :

سديه بوكرا ٢٧ فبراير ، ١٩٥٤ :

منذ انسحابي من الحكومة قررت عدم التدخل للتعبير عن رأيي بشأن القضايا المطروحة ، حتى لا أجعل الأمور صعبة على الدولة . وإن لم تكن أنت ، ولانون وبيان ، قد طلبتم جميعاً النصيحة مني ، لما تدخلت . ولكني أعتبر تقديم النصيح واجب على ، ولذلك أطرح القضية اللبنانية ثانية للنقاش .

من الواضح أن لبنان هي أضعف حلقة في عصابة الأمم العربية ، ومصر أقواها . في لبنان توجد تكتلات وطوائف مختلفة ، لكل ثقافتها الخاصة بها . تكوين أكثر من دولة في لبنان سيكون عملاً طبيعياً . وله جنود تاريخية . في أوقات اعتيادية ، سيكون هذا التشقق صعباً . ولكن في ظروف الثورة أو الحرب الأهلية ، يصبح الأمر أكثر سهولة . ربما يمكن أن تكون الساعة الحالية هي الأفضل لتكوين أكثر من دولة في لبنان . بدون بذل الجهد والمال ، لن يتحقق لنا ما نريده .

وقد استجاب شاروت بعد بضعة أسابيع :

إلى السيد بن جوريون ، ١٩٥٤ :

أمنت يوماً بأن تدخلنا في شؤون الدول الأخرى لا يجب ، أن يحدث إلا إن وجدنا داخل الدولة قوة مستقلة يمكن لنا مساعدتها من الخارج . لا يمكن صناعة قوة في الداخل تساعدنا . حيث لا يمكن أن تضع الحياة داخل جسد ميت .

لا يوجد في لبنان اليوم أي قوة تدعو إلى تكوين أكثر من دولة فيه . وهذا ليس بالغريب . ولذلك لا أرى إمكانية لتحقيق المخطط الذي تصبو إليه . ربما سيحدث ذلك في ظروف خاصة ، في المستقبل ، حين تهز الثورات الشرق الأوسط . ولكن في لبنان الحالي ، لا أرى هذه الإمكانية .

أخشى أيضاً تدخل سوريا والدول العربية الأخرى في هذه الحرب . وهل أنت متأكد من عدم تدخل الغرب إن اندلعت ؟ ومن الواضح أيضاً أن لبنان المقسم لن يستطيع الحياة اقتصادياً . اللبنانيون سيبقون في نوبة واحدة لأن الظروف الاقتصادية الحالية تجبرهم على ذلك . لا أستطيع الموافقة على خطة تعنى انتحار لبنان الاقتصادي .

في الظروف الحالية أشعر بأن أي تدخل في لبنان سيحسب علينا إن عرف أحد بحقيقة الموضوع . (١٨ مارس ١٩٥٤) .

في ٢٤ أبريل ، نلاحظ في اليوميات : إجراء اتصالات مع بعض الأطراف في لبنان " وفي ١٢ فبراير ١٩٥٥ ، يزور نجيب سفير ، وهو صديق قديم لشارت ، السفير الإسرائيلي في روما ، ويبلغه بالرسالة التالية : " إن بعض الأطراف المؤثرة في لبنان ستوافق على عقد صلح مع إسرائيل مقابل : أمن حدودها ، وحمايتها من أي تعدد سوري ، وشراء فائض إنتاجها الزراعي " . (١٢ فبراير ١٩٥٥) .

وفي ١٦ مايو ، طرح بن جوريون مرة أخرى القضية اللبنانية للنقاش . أكد أن الوضع ملائم للتدخل في أمور لبنان ، نظراً لانشغال العراق وسوريا كلاً بمعاداة الآخر . ديان شجع الفكرة فوراً :

حسب تصوره ، فإن الشيء الوحيد الضروري هو العثور على عميل ، يعمل في الجيش . إما أن نكسب وده أو نشتره ، ونطلب منه الدفاع عن حقوق إحدى الجماعات . فوراً ستتكون نوبة تتحالف معنا .

لتجنب مناقشة بن جوريون أمام الضباط ، قلت فقط إن ذلك يعني الحرب مع سوريا . وخلال ذات الوقت ، اتفقتنا على تأسيس لجنة تتعامل مع الأمور اللبنانية وترتبط مباشرة بمكتب رئيس الوزراء ، ١٦ مايو ١٩٥٤ .

وقد شجع أكثر من فرد فكرة العثور على عميل عسكري في لبنان يدعو الجيش الإسرائيلي للتدخل . قال رئيس الوزراء : " ستكون مغامرة مجنونة . وأتمنى إيقافها نظراً لخطورتها " . (٢٨ مايو ١٩٥٤) .

ولكن الأحداث استمرت . فى ٢٢ سبتمبر ، حدث حادث غريب . فقد تعرضت عربية نقل للهجوم ، وقتل اثنان ، وجرح عشرة . وحتى قبل انتهاء التحقيقات ، طلب ديان الانتقام من لبنان . اختيرت قرية ليتم إفراغها فى المساء ، وتدمير منازلها . احتج شارّت على فتح جبهة جديدة فى منطقة هادئة منذ ٤٨ . أما تقسيم لبنان والبحث عن عملاء ، فتحقق فى مرحلة لاحقة . أوقف شارّت أى سعى فى هذا السبيل . وكان هناك دافع آخر . فالولايات المتحدة أعطت لإسرائيل الضوء الأخضر للهجوم على مصر . وبدء الاستعداد للحرب التى ستحدث بعد عام ، فى صيف ٥٦ .

قصة حافلة الركاب :

فى ١٧ مارس ١٩٥٤ ، تعرضت حافلة مسافرة من إليات إلى بلشبا للهجوم فى حاكرا بيم ، عشرة مسافرين قتلوا ، ونجا أربعة . قال البوليس إن كل آثار الجناة اختفت على بعد عشرة كيلو مترات من الحدود الأردنية داخل إسرائيل بسبب الطبيعة الصخرية للمنطقة . أحد الناجين ، وهو المسئول عن الأمن ، شهد أن المعتدين كانوا من البدو ، وامرأة قالت إنهم ارتدوا أثوابا طويلة . حسب قول شارّت ، بعث الجيش ببعض الجواسيس عبر الحدود . وحين عابوا أكدوا على أن مجموعة تتكون من ثمانية إلى عشرة أشخاص عبرت الحدود بالفعل . وهذا طبيعى : فالبدو يعبرون الحدود بشكل يومى منذ زمن بعيد . الغريب هو الوصول للمعلومات من القرويين . الكولونيل الأمريكى ، المسئول عن الحدود الأردنية الإسرائيلية ، قال : " شهادات الناجين لا تثبت أن الجناة عرب " . (٢٥ مارس ١٩٥٤) . قال البعض إن مرتكبى الفعل سعوا لتوتر العلاقات بين الأردن وإسرائيل ، وأن هدفهم كذلك قد يكون إسقاط الحكومة الجديدة . أما الإسرائيليون ، فبدأوا حملة إعلامية واسعة ضد الإرهاب العربى وكراهية اليهود . طالب بن جوريون من منفاه الاختيارى الحكومة باحتلال الأراضى التى يمكن للأعداء التسلل عبرها . فى ٤ أبريل ، كتب رئيس الوزراء إلى بن جوريون :

سمعت أنك تطالب باحتلال أراضٍ أردنية . أشعر بأن هذا التصرف سيدخلنا في حرب مع الأردن وحليفاتها بريطانيا . والولايات المتحدة ستشجب فعلنا أمام العالم أجمع . ذلك سيعنى الدمار لإسرائيل . (٤ أبريل ١٩٥٤) .

سعى شارُت لتجنب أى رد فعل عسكرى . أبلغ الضباط " أننا جميعاً نشعر بأن الانتقام على فعل كهذا سيضعف من تأثيره على الرأى العام العالمى ، ويجعلنا مثل القنلة فى الصف الآخر . سيكون من الأفضل استخدام هذا الحادث للضغط على الأردن " . وذكر أيضاً أن الانتقام سيضعف من تأثير الحملة الإعلامية .

فى أعماق قلبه ، شك شارُت بأن بعض سكان إسرائيل كانوا وراء الهجوم . ذلك كان ما قالته الصحافة الأردنية . ولذلك أوقف أى رد فعل ، بل قرر عدم تقديم شكوى إلى مجلس الأمن فى الأمم المتحدة . ولكنه لم يفكر فى التحقيق من أجل معرفة الحقيقة . ومع ذلك ، تردد الجيش فى الموافقة على عدم الانتقام . وهكذا استغلوا حدثاً صغيراً فى ممر القدس ، وفى ليلة ٢٨ مارس ، هاجم الجيش قرية نحلين ، وقتل العشرات من سكانها ، ودمرت تماماً . ذكر شارُت :

" أبلغت تيدى كولىك بأننا نتجه إلى الحرب . حسب تصوره ، تتحكم فى الجيش قيادات ترغب بالتوسع والعنوانية . هم يتجاهلون تماماً المشاكل الاقتصادية والعلاقات الدولية " . (٢١ مارس ١٩٥٤) .

العواصم العربية كذلك اقتنعت تماماً بأن إسرائيل تعد العدة للحرب . وضعوا جنودهم على الحدود وسعوا لمنع أى تسلل إسرائيلى . ذلك بدوره أقلق الإسرائيليين : " الوضع على الحدود مطمئن تماماً " . قال ديان لصحفى كرر هذه الأقوال لشارُت فى ١٧ مايو . ثم بدأت خطة عدوانية خفية كان هدفها تخطى التجهيزات العربية . مجموعات صغيرة من الرجال عبرت إلى الضفة الغربية وغزة بهدف الاعتداء على بوريات مصرية أو أردنية ، أو التسلل إلى القرى للتخريب والقتل . الإعلام الإسرائيلى أعلن أن هذه الأحداث وقعت داخل إسرائيل . وما إن بدأ الهجوم ، حتى طاردت القوات الإسرائيلىة المخربين خارج الحدود . أفعال من هذا النوع حدثت بشكل يومى ، وتسببت فى سقوط عدد كبير من الضحايا .

نوماً ، بقى رئيس الوزراء يحاول فهم أسباب ما يحدث . بين أبريل ويونيو ، لاحظ فى يومياته أنه عرف بالصدفة ، مثلاً ، بمقتل فتى فلسطينى ضل طريقه فى الضفة الغربية . ويشأن حدث آخر ، ذكر ما يلى :

فهمت أخيراً حقيقة ما حدث فى تل تسافى . رجلان عريبان أرسلناهما لقتل المختار لأنه متهم بسرقة ، وقتلا زوجته. فى حدث آخر ، عبرت قواتنا الحدود بالخطأ . فى حدث ثالث ، فى أعماق الأردن ، اشتبكت نورية إسرائيلية مع الحرس الوطنى وقتلوا أربعة منهم . (٢١ مايو ١٩٥٤) .

مئات العمال الإسرائيليين عرفوا الحقيقة وتضاحكوا حين سمعوا نشرات الأخبار . كتب رئيس الوزراء : " هل نسمح للجيش بالتصرف كما يود حين يخاطر بأمن بلادنا ؟ " (١٢ مايو ١٩٥٤) .

فى ٢٧ يونيو ، اخترقت مجموعة إسرائيلية الحدود " بالخطأ " . وعلى بعد حوالى ١٢ كيلو مترا فى أعماق الضفة الغربية ، هاجمت معسكراً أردنياً شرق قلقيلية . قال شاروت : " هم يكذبون كل يوم ، ويفتقدون للتحضر " حين استمع لأقوال الجيش الإسرائيلى عما حدث .

ما خشاه شاروت أكثر من أى شىء آخر كان رد الفعل الغربى . وقد سجل بالفعل بعض دلائل ضيق العواصم الغربية فى يومياته . تقارير السفارات الغربية فى العواصم العربية أكدت أن إسرائيل تسير حسب خطة منظمة تهدف لإشعال فتيل الحرب فى المنطقة . الدبلوماسية الأمريكية ادعت أن هدف إسرائيل هو إفشال المفاوضات الأمريكية المصرية ، والمفاوضات الأمريكية مع تركيا والعراق ، التى تهدف لخلق علاقات جيدة مع العرب (١٤ أبريل ١٩٥٥) . وكان هذا التحليل صادقاً ، وأكدته رفض إسرائيل بعد بضعة أسابيع للحدود الآمنة التى وافقت عليها مصر ، ووجود دوريات مصرية إسرائيلية وقوات من الأمم المتحدة فى المنطقة . مثل هذه التنظيمات ، قال ديان : " ستقيدنا . " وأكد على صدق تحليل شاروت كذلك القبض على مجموعة إرهابية فى القاهرة سعت لتدمير المؤسسات الغربية داخل مصر .

وقد استمرت التعديات بصيغ مختلفة بلا قيود خلال العامين المقبلين ، حتى بداية حرب السويس ، وبعد ذلك . مثلاً لاحظ شارُت أحد هذه التعديات ، " من النوع الأسوأ " في مارس ١٩٥٥ ، فوراً بعد عملية غزة . فقد أعلن الجيش عن عملية انتقامية بعد مقتل رجل وامرأة . حسب أقوال الجيش ، فإن مجموعة من الشباب ، تشمل أختا القتيلة ، عبروا الحدود ، هاجموا عدداً من البدو ، وقتلوا خمساً منهم . الجيش ادعى أنه عرف بهذه المعلومات لاحقاً ، ولذلك لم يستطع إيقاف الهجوم قبل وقوعه . أما الأردن ، فقدم قصة مخالفة تماماً : عشرون جندياً إسرائيلياً هاجموا ستة من البدو ، قتلوا خمسة منهم ، وأبلغوا الأخير أن هدفهم هو الانتقام لمقتل الرجل والفتاة . وتركوه لإبلاغ الآخرين . نفى الجيش تورط أى جنود فى العملية . قال شارُت : " هذا يدل على أننا ننوى إعلان الحرب : البارحة غزة ، واليوم الحدود الأردنية ، وغداً سورية ، إلخ . فى لقاء الوزراء غداً ، سأطالب بمحاكمة المتهمين " . (٥ مارس ١٩٥٥) .

وصف بن جوريون ، بعد عودته للحكومة بسبب قضية لافون ، كيف قبض الشباب على فتیان البدو ، وأخذوهم إلى الوادى ، وقتلوهم واحداً بعد الآخر ، وكيف حققوا مع كل منهم ، بلا فائدة لعدم وجود لغة مشتركة . وقد سلموا نفوسهم إلى الجيش بعد ذلك ، واعترفوا بما فعلوه . قال شارُت : " سعيينا أنا وبين جوريون لمحاكمتهم فى محكمة عسكرية . فالجيش لن يحترم أى عقوبة من محكمة مدنية . ولكن وزير العدل أبلغنى باستحالة محاكمتهم أمام محكمة عسكرية . فتحول الأمر إلى محكمة مدنية فى نهاية المطاف " . (٦ مارس ١٩٥٥) .

احتفل الناس بالعيد ، واستمعت فى الراديو لموسيقى جميلة .
بعضها عبر عن موهبة حقيقية ، وروحية وبحث عن الجمال .
تفكرت بشأن طبيعة ومصير هذا الشعب القادر على الحب للناس
والطموح النبيل . وفى ذات الوقت ، يوجد بين شبابه من يعشقون
القتل والتدمير . أى من هاتين المجموعتين ستتصدر على
الأخرى؟ (٨ مارس ١٩٥٥) .

وأخيراً تسلم البوليس الأربعة ورفضوا الحديث تماماً . اتصل شارُت
بين جوريون ، فقال الأخير له : " ذلك من حقوقهم . ولا يمكن استخدام اعترافهم
العسكرى فى محكمة مدنية " . (١٠ مارس ١٩٥٥) .

طلب البوليس مساعدة الجيش فى التحقيق .. ولكن وزارة الدفاع رفضت ذلك .
بات واضحاً أن الجيش يحمى هؤلاء الفتية . لاحظ شارُت أن الجميع تعاطف مع الذين
قتلوا البدو وأن الرأى العام وقف فى صفهم .

حين وصلت إلى تل أبيب ، أبلغنى ضابط أن عملية الانتقام
نظمها أرييل شارون ، وهو قائد عسكري . " هو والأربعة عبروا
الحدود مدججين بالسلاح والذخيرة . الضابط لمح إلى أن ديان
عرف بالموضوع بأكمله باكراً . بل وأن الأربعة الآن يرفضون
الحديث بعد أن طلب شارون منهم ذلك . بدأوا بانتقادی لأنى
كشفت أسماء هؤلاء الأفراد إلى الإعلام . قالوا إنى تسببت فى
سجن شباب سيخدمون إسرائيل وجيشها فى المستقبل " .
(١١ مارس ١٩٥٥) .

الأربعة مستعدون للاعتراف مقابل عفو عام . (١٢ مارس ١٩٥٥) .

فى الثلاثينيات ، حاولنا التحكم فى عواطف الانتقام وعلمنا
العامة أنها صفة سلبية . والآن نبرر الانتقام بشكل مبرمج . لقد
أوقفنا أى قدرة على التحكم وكبح جماح هذه الغريزة حتى
صارت قيمة أخلاقية . الكثيرون الآن يدافعون عنها ، خصوصاً
الشباب ، بل ويات الانتقام مقدساً فى كتاب شارون التى تعتمد
عليها الدولة (٢١ مارس ١٩٥٥) .

استغرب السفير البريطانى نيكولاس ، من خروج الأربعة من السجن . تذكر أن
القوات الأردنية قبضت على قاتل الرجل والفتاة .. " أى مقارنة يمكن عقدها بين
أسلوهم وأسلوبنا . أبلغونى أن الجيش عرف بهذه القضية منذ بدايتها ، وشجعوها .
(٢٨ مارس ١٩٥٥) .

بعد ستة أعوام فى ١١ يناير ١٩٦١ عاد شارُت إلى هذه القضية المخيفة .

الظاهرة التى بقيت بيننا لأعوام هى انعدام الحساسية للأخطاء ،
للفساد الأخلاقى . بالنسبة لنا ، الخطأ ذاته ليس شيئاً جاداً ،
يقلقنا فقط إن أدى إلى خسارة ، مثل فقدان القوة أو التأثير .

ليس لدينا رؤية أخلاقية لما يحدث ، بل رؤية عملية . مرة قتل جنود إسرائيليين عدداً من العرب للانتقام ولم يحدث أى شيء . لم يفقد أحد وظيفته ، ولم تضعف سلطة أحد . المسئولون عن كفر قاسم أيضاً لم يعاقبوا على أفعالهم . لا عقوبة على قتل العرب . (١١ يناير ١٩٦١) .

استطرد شارتر قائلاً : " كل ذلك يجب أن يؤدي للغضب ، والبحث عن العدالة والصدق " . " دولتنا ستبدو فى أعين العالم وحشية همجية ، لا تؤمن بمبادئ الصدق والعدالة كما يفهمها العالم " .

قضية لافون : الإرهاب لإجبار الغرب ..

" الهدف الأساسى لإيقاف التقارب المصرى الغربى . الطريقة : تدمير المراكز الثقافية الغربية فى مصر ، والمؤسسات الاقتصادية ، وحافلات نقل البريطانيين ، خصوصاً العاملين فى السفارات ، وأى هدف آخر يضعف العلاقات المصرية الغربية . ثانياً ، أبلغونا بإمكانيات العمل فى قناة السويس ، ثالثاً - استمعوا لنا كل يوم الساعة السابعة على الموجة ج " .

هذه الرسالة بعثتها المخابرات الإسرائيلية للجواسيس الذين أقاموا فى مصر منذ زمن بعيد ، قبل بدء العمل فى يوليو ١٩٥٤ . الأوامر التالية قدمها شفهيًا الكولونيل بنجامين جيفى ، رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية إلى ضابط يذهب إلى مصر للانضمام إلى الحلقة :

هدفنا هو كسر ثقة الغرب بالنظام القائم فى مصر .. الأفعال يجب أن تؤدي إلى القبض على أبرياء ، مظاهرات ، والرغبة فى الانتقام . المسئولية الإسرائيلية يجب أن تتحول إلى أى عامل آخر يغطى عليها . ما نسعى له هو إيقاف أى معونات عسكرية غربية إلى مصر . اختيار الأهداف التى سيتم تدميرها مسئولية الرجال فى الموقع ، الذين يجدر بهم تقييم نتائج أى فعل . الهدف هو خلق الفوضى الجماعية .

وقد طبق عشرة يهود مصريون هذه الأوامر بين ٢ يوليو ، ٢٧ يوليو ١٩٥٤ . كانت المفاوضات بين مصر ولندن على أشدها بشأن قناة السويس ، وإمكانيات التحالف بين بريطانيا والولايات المتحدة ومصر تزداد كل يوم . تم تفجير دور سينما يملكها بريطانيون ، ومواقع ثقافية أمريكية وبريطانية ، وحتى مراكز بريدية في القاهرة والإسكندرية . الاتهامات أسقطت على الإخوان المسلمين ، الذين كنوا العداء لعبد الناصر . وأخيراً تم كشف المجموعة في ٢٧ يوليو ، حين قبض على أحد أفرادها بعد أن انفجرت القنبلة في جسده في الإسكندرية .

في التاريخ ذاته تم إبلاغ شاروت ، الذي جهل الحقائق ، وبدأ يجد الأدلة على مسئولية وزارة الدفاع والجيش على ما حدث . لم يفعل أى شيء حتى ٥ أكتوبر ، حين أعلنت مصر وقت محاكمة المخربين . آنذاك اعتبر شاروت المحاكمة نوعاً من معاداة السامية . في ١٢ ديسمبر ، بعد بدء المحاكمة بيومين ، انتقد في الكنيست " المخطط ، المحاكمة السورية ، لعدد من اليهود الأبرياء ضحايا اتهامات كاذبة . " بعض الجرائد اتهمت مصر بالسير " على خطى هتلر . " قصص عن اعترافات انتزعت عن طريق التعذيب شاعت في الصحافة الإسرائيلية . عرف شاروت أن هذه الاتهامات غير صادقة . " في الحقيقة ، باستثناء ما حدث لهم في أول يومين ، حين تعرضوا للضرب كانت المعاملة إنسانية . ولكنه لم يتحدث أمام الناس ، ولم يهاجم عبد الناصر كذلك . الجميع التزموا الصمت ، حتى ظهرت الحقيقة في فبراير . بدا واضحاً أن الحكومة الإسرائيلية بالفعل زرعت خلية تجسسية في مصر .

حين انتهت المحاكمة أعدم اثنان من الجواسيس ، وأرسل ثمانية للسجن لمدة طويلة ، وفر قائدا الخلية ، وانتحر الثالث . الأسئلة التي أقلق رئيس الوزراء كانت عمن قدم الأوامر لتشغيل الخلية ، ولم تتضح الأجوبة إلا بعد ستة أعوام ، حين تمت تبرة لافون ، وبات واضحاً أن ديان ، بيريز ، وآخرون ، زعموا وثائق ، وقدموا شهادات كاذبة ، لاتهام وزير الدفاع . في ٥ - ٥ - ١٩٥٤ ، شارك شاروت في اللجنة المسئولة عن التحقيق ، معتقداً أن قيادة الأمن مذنبية في هذه العملية . كان يود كذلك كشف حقيقة الإرهاب الإسرائيلي ، والحديث عنه وإنهائه . كان متأكداً من تورط ديان وبيريز في العملية .

الناس يسألونني إن كنت متأكدًا أنه قدم الأمر .. يمكن أن يكون جيفيلي قد تصرف وحيداً . ولكن المسئولية الأخلاقية تقع على عاتق لافون ، الذي دافع يوماً عن عمليات مجنونة ، وعلم القيادات العسكرية كيفية إشعال الحرب ، خلق التوتر ، المواجهات الدامية ، وأفعال اليأس والانتحار .

في هذه اللحظة ، كان باستطاعة شاروت تغيير تاريخ الشرق الأوسط . لو كان قد تحدث للرأي العام بصراحة وصدق ، وكسر حاجز الصمت ، وانتقد السياسات الإرهابية لإسرائيل ، ودعا لبديل أفضل ، لاستطاع تغيير الأوضاع مستخدماً صلاحياته الواسعة . رد الفعل على عمل كهذا في إسرائيل والشرق الأوسط سيكون جيداً . سقوط لافون وجماعة بن جوريون ، بقيادة بيريز وديان ، كان سيعيق عودة بن جوريون ذاته للسلطة . الأحداث كانت ستسير بطريقة أخرى .

ولكن ما حدث هو أن رئيس الوزراء افتقد الشجاعة لفعل كهذا . وقد خشي يوماً أن يتهم بالتخوف من المواجهة ، من قبل الناشطين من الصهاينة . وهكذا برر لذاته سلبيته ، وإن عرف في أعماقه أن خنوعه تواطؤ مع أعدائه سيؤدي لإنهاء عمله السياسي في نهاية المطاف ، الاعتراف بحقيقة ما حدث قد يضر المتهمين في القاهرة ، وصورة إسرائيل أمام العالم . وقد يتشتت الحزب الذي يقوده مع لافون وبن جوريون ، مما يفقده الأغلبية في الانتخابات القادمة . وهكذا انتهى به الأمر بالتورط في المؤامرات التي حيكت حوله ، من قبل من عارضوه في الحكومة ، الجيش والحزب . في منتصف فبراير ، اضطر لأن يطلب من بن جوريون العودة إلى الحكومة بدلاً من لافون .

في يناير ١٩٥٥ ، عرف شاروت أن الأطراف المختلفة في السياسة الإسرائيلية تستخدم قضية لافون حسب مصالحها . أدرك أن البعض يسعى لاستغلال هذه القضية لإسقاط حكومته . خشي ديان أن يختار شاروت لجنة تقوم بالتحقيق معه . لافون هدد بالانتحار إن اعتبروه مذنباً في هذا الموضوع .

قدم تيدي لي صورة مرعبة عن علاقات قيادات المؤسسة العسكرية . وزير الدفاع وحيد تماماً ، ولا أحد من شركائه يتحدث معه . خلال التحقيق ، هدد هؤلاء الشركاء (ومنهم بيريز وديان) بتشويه سمعته وإسقاطه . قبضوا على الرجل الذي عاد

من مصر وهو إبراهيم زاينبرج ، ويسمى أيضاً بول فرانك وأبلغوه بما يجدر به قوله ، ورتبوا القضية بحيث تسقط الاتهامات على لافون فقط . تيدى يؤكد أنه انتهى . جيلفى كذلك سيذهب . ولكن لا يجدر الاقتراب من بيان حالياً . (٩ يناير ١٩٥٤) .

لم أتصور أبداً أن علاقاتنا ستتسم لهذه الدرجة . وأن عواطف الحقد والكراهية والخداع ستفجر في وزارة الدفاع .

أسير مثل مجنون ، ضائعاً مرعوباً ، لا أعرف ماذا يجدر بي أن أصنع . ماذا سأفعل ؟ (١٠ يناير ١٩٥٤) .

غضب أسير (رئيس الشين بيت) لأن القضية مرت بدون معرفته بها ، وأبلغنى قصصاً مرعبة عن حوار دار بينه وبين جيلفى بشأن اختطاف مصريين من غزة وأوريا وقبرص . اقترح أيضاً تفجير السفارة المصرية في عمان إن تم إعدام المساجين في القاهرة . (١٤ يناير ١٩٥٥) .

قال شارْت لأحد رفاقه ما يلي عن القيادات الأمنية الإسرائيلية :

ديان مستعد لاختطاف الطائرات والقطارات ، وإن أذهلته فكرة لافون بشأن غزة . ماكليف اقترح اغتيال شاشكلى وإن تردد حين اقترح لافون أن نبداً حرباً ضد سوريا . وقد خلق لافون الطباع المفامرة في الجيش واقترح أن الدول العربية والغربية أيضاً أعداء ، وأن الطريق الوحيد لإيقاف مخططاتهم هي الأفعال التى ستخيفهم . (٢٦ يناير ١٩٥٥) .

يقول عبد الناصر : يمكن التعايش مع إسرائيل ، فيجيب بن جوريون بعملية غزة ..

يعلق أحد المسئولين الأمريكان على أفعال إسرائيل الإرهابية في مصر ، فيقول في ٨ فبراير ١٩٥٥ : إن شارْت " لا يسيطر على الأوضاع إن أمكن حدوث مثل هذه الأفعال المجنونة " . كتب رئيس الوزراء ما يلي : " وقد خشيت الولايات المتحدة استفزازات إسرائيلية أخرى تسعى لتخريب اتفاقية أنقرة ، بغداد ، التى وقعت منذ

فترة وجيزة . وهكذا قررت الضغط على مصر للتفاوض مع إسرائيل ، وعرضت على إسرائيل اتفاقية أمنية " . قرر شاروت اختيار يغال يادين ليمثله في المحادثات . (٢١ يناير ، ١٩٥٥) .

التقيت مع روجر بالنون ، ممثل منظمة حقوق الإنسان الأمريكية الذي زار مصر . تحدث عبد الناصر معه بشأن إسرائيل ، مؤكداً أنه لا يود إلقاء إسرائيل في البحر . آمن أن السلام معها ممكن ، وأدرك أن التفاوض سيتم يوماً ما . (٢٥ يناير ١٩٥٥) .

وصلتني برقية من إيبان : الولايات المتحدة مستعدة للاتفاق معنا وستلتزم بعدم توسيع حدودنا بالقوة . (٢٨ يناير ١٩٥٥) .

المخابرات الأمريكية اتصلت بسفارتنا ونصحت مرة أخرى ببقاء عبد الناصر ، الذي لا يربط اللقاء بقضية لافون . الرئيس المصري مستعد للقائنا ، والمبادرة تقع على عاتقنا . (١٠ فبراير ١٩٥٥) .

بالنسبة لاقتراحات واشنطن بشأن اتفاق أمني ، اتصلت بإيبان وأبلغته باستعدادنا لتقبل فكرة عدم توسيع الحدود بالقوة وإيقاف أي أفعال عدوانية ، لأن ذلك سيوقف أي أفعال انتقامية . (١٤ فبراير ١٩٥٥) .

وهذا السطر الأخير يدل على أن أخبار الاقتراح الأمريكي ، وإمكانية التفاوض بين شاروت وناصر شاعت بين قيادات الأمن الإسرائيلي .

ازدادت الضغوط على شاروت . في ١٧ فبراير ، وافق بن جوريون على دعوة رئيس الوزراء للعودة لوزارة الدفاع . كتب شاروت في يومياته : " هذا آخر أيام الهدوء والسكينة " .

وصل بن جوريون ، ومعه خرائط . فهمت فوراً موضوع النقاش . النية كانت الهجوم على قاعدة الجيش المصري في غزة . اعتقدت أن خسائر العدو ستكون حوالى عشرة رجال ، وأنتا ستفقد

بعض الجنود كذلك . أكد أن هدفه ليس القتل بل تدمير المبانى .
إن فر المصريون ، فلن يموت أى إنسان .. وافقت على الخطة .
عملية الاقتحام الأخيرة التى قاموا بها تتطلب ردًا فوريًا . حزنت
لأن بن جوريون سيكسب ود الناس بهذا الهجوم .. وإن كنت أنا
الذى وافقت عليه ، قبل مجيئه إلى الحكومة من جديد . الصدفة
فقط أجلت التنفيذ . كنت سؤافق بغض النظر عن كون بن
جوريون وزير الدفاع . (٢٧ فبراير ١٩٥٥) .

ذهلت حين سمعت الأخبار . عدد القتلى (٣٩) والجرحى (٣٠)
غير طبيعة العملية. سيكون لهذا العنوان آثار سياسية وعسكرية
وخيمة . المتحدث باسم الجيش قدم أخباراً كاذبة : وحدة من
قواتنا تعرضت للهجوم داخل الحدود فردت على النار بالمثل
فحدثت المعركة . من سيصدقنا بعد ذلك ؟ (١ مارس ١٩٥٥) ذات
القصة القديمة تكررت : هاجم وفر ، واخدع العالم .

السفارات بدأت بالهجوم على مصر ، بدلاً من الدفاع . الآن
سيعتقد الناس أننا المعتدون ، وأننا متعطشون للمجازر .
سيتصور البعض أن هذه المعركة تعبر عن سخط الرأى العام
الإسرائيلى من القوى العالمية التى لا تسمح لنا بالتصرف
والانتقام. لنسعى على الأقل لأن يتصوروا هذا . قلت إننا نرغب
فى أن تركز الصحف على ما يلى : أولاً : الرأى العام
الإسرائيلى غاضب لأن القوات المصرية هاجمت إسرائيل . ثانياً:
يبدو أن التصادم تحول إلى معركة بعد إطلاق النار . ثالثاً :
ادعت مصر يوماً أنها فى حالة حرب مع إسرائيل يجسدها
الحصار ، وهذه هى النتائج ، رابعاً : إن هذا الحادث لا ينفصل
عن سياق ارتباط الولايات المتحدة بدول عربية ، وشعور إسرائيل
بالعزلة . أحدث الأمثلة هو التحالف التركى العراقى الذى تعتبر
إسرائيل أهدافه معادية لها .

والنقطة الأخيرة تطلبت الكثير من الدقة ، بحيث لا يقال إننا
قلناها ، بل توضع على لسان الصحافة .

وحين كتبت هذه النقاط ، لم أعرف مدى قوة الأدلة الدامغة التي تثبت كذب القصة الرسمية التي ادعيناها . الكم الضخم من السلاح والمتفجرات ، أسلوب الهجوم ، تفجير الطرق ، بل وتوقيت الهجوم . ومن سيصدق أن عملية معقدة مثل هذه تنتج عن إطلاق نار عشوائي ؟ تعذبني فكرة أن هذا هو فشلي الأكبر في أداء وظيفتي . من يعرف النتائج السياسية والأمنية ؟ (١ مارس ١٩٥٥) .

إحدى النتائج كانت التالية : البارحة ، تحدثت مع ممثل الأمم المتحدة ، وأبلغني أن عبد الناصر كان يتصور إمكانيات تصالح مع إسرائيل ، ولكن الهجوم على غزة أنهى الموضوع . قال السفير الأمريكي لوسون : إنه يعتقد أن أسباب توتر أهم الدول العربية قلقها من عودة بن جوريون ، الذي يعتبرونه الاستعداد للبدء في الحرب . الأمريكيان كذلك يخشون حرباً جديدة تبدو وشيكة . ولذلك يتمنون الوصول للالتزام بأن أفعلاً كهذه لن تتكرر. (١٢ مارس ١٩٥٥) .

ولكن بن جوريون في الواقع عاد للحكومة لرفض هذا الالتزام . في مارس ٢٥ ، بعد أقل من شهر من الهجوم على غزة ، اقترح أن تسعى إسرائيل لاحتلالها والبقاء فيها . واستمر النقاش لخمسة أيام ، وتفرق الوزراء ما بين مؤيد لبن جوريون ، ومعارض له بقيادة شاروت . ورفض الاقتراح . أو على الأقل تأجل إلى إشعار آخر . أما المعاهدة الأمنية التي عرضتها الولايات الأمريكية ، فقد رفضت لأنها ، كما قال ديان في أبريل ٥٥ : " ستقيد حريتنا العسكرية " وقدم تفاصيل عما يعنيه في مايو ٢٦ ، خلال لقاء مع سفراء إسرائيل في واشنطن ، (أبا إيبان) ، وباريس (ياكوف تسور) ، ولندن (إياهو إليات) . الحوار نقله شاروت لاحقاً :

لا نحتاج لاتفاق أمني مع الولايات المتحدة . مثل هذا الاتفاق سيحد من حرياتنا . لا خطر علينا من الدول العربية خلال الثمانية إلى العشرة أعوام القادمة . حتى لو وصلت لهم معونات غربية ، فإننا نبقى الأفضل تسليحاً بسبب قدراتنا على التعامل

مع أحدث الأسلحة. الاتفاق سيقيدنا ويحد من حرية الحركة التي نحتاجها الأعوام القادمة . الأفعال الانتقامية ستتوقف إن اتفقنا مع الولايات الأمريكية، وهي ضرورية لنا . إذ نستطيع عن طريقها إبقاء التوتر بين أفراد الشعب وفي الجيش . بدون هذا التوتر لا نكون شعباً محارباً منظمًا . لابد أن نصرخ إن أوضاعنا خطيرة، فيذهب الرجال للمواجهة .

استنتاجات ديان واضحة : الوضع كان بلا قيود ، أو مشاكل اقتصادية ، تفرض السعى وراء السلام . لابد لإسرائيل من الاستمرار في العدوانية . الصراع هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على العزيمة . لابد من خلق الخطر إن لم يوجد . لابد من الاستفزاز والانتقام . وفوق كل شيء دعنا نأمل أن حرباً جديدة مع الدول العربية ستقع ، حتى نكسب أراضى إضافية . (مثل هذه الكلمة كررها بن جوريون إذ قال : إن الحرب مع العرب تستحق مليون باوند (٢٦ مايو ١٩٥٥) .

في ١٤ أغسطس ، زار آلر جاكسون القدس . بعد لقاء مع وزير الخارجية المصري، محمد فوزى أكد لشارت أن مصر لا تزال ترغب في تطبيع العلاقات مع إسرائيل . في ٧ أكتوبر ، قال الرئيس المصري إلى صحفي النيويورك تايمز كنت لاف : " ليس هناك من عربى يقول اليوم إننا نود تدمير إسرائيل . ولكنها اتخذت قراراتها" .

تشيت اللاجئين الفلسطينيين :

أحد الأسباب الأساسية لتصميم إسرائيل على سياساتها الانتقامية كان رغبة القيادات الإسرائيلية في نقل مخيمات اللاجئين من عرب ٤٨ إلى مواقع بعيدة عن خطوط التماس ، وتشيتهم في العالم العربى . لم يكن سبب ذلك ، فى الخمسينيات ، العوامل العسكرية . فالواقع ، كما شاهدنا هو أن الحكومة الإسرائيلية ودت ازدياد التوتر ، لا تقلصه . بل وسعت لخلق الشعور بالخطر بين المستوطنين عن طريق الاستفزاز والإعلام الكاذب . فى تلك الأعوام لم توجد أى مقاومة فلسطينية منظمة . كان الواضح هو أن الدول العربية ، أرادت إبقاء موضوع المهجرين حياً فى الساحة الدولية، بدلاً من الاستعداد لحرب لتحرير فلسطين . ولكن وجودهم على خطوط التماس فى غزة والضفة الغربية كان تذكيراً بعدم وجود شرعية لاحتلال أرض ٤٨ ، كما ثبت حدوداً

لا تعترف إسرائيل بها . إن وجود مهجرين فلسطينيين يدفع العالم للاهتمام بمعاناتهم، ويساعدهم على الرجوع إلى ديارهم ، كما يضعف من الرؤية الإسرائيلية المقدمة للعالم، بعدم وجود شعب فلسطيني له حقوق مشروعة .

لم تختلف وجهة نظر شارّت عن غيره من النشطين الصهاينة بشأن القضية الفلسطينية ، وإن لم يحبذ استخدام العنف . رفض تماماً دعوة الكونت بارنادوت لإعادة الفلسطينيين المشردين إلى ديارهم عام ١٩٤٨ . وبعد عام ، سخر من فكرة وجود وطن فلسطيني في الضفة الغربية وعارض الاتفاق مع الملك عبد الله بشأن تقسيم الضفة الغربية بين إسرائيل والأردن . يومياته تحوى الكثير من المساعي لبدء المفاوضات بين العرب والحكومة الإسرائيلية بشأن إعادة توطين المهجرين في ليبيا ، أو سوريا ، أو العراق . (يستشهد شارّت بقول مصطفى عبد المنعم ، السياسى العربى المعروف ، إذ قال : " يجدر بالمهجرين الاستقرار فى البلاد المجاورة ، أو حتى فى سيناء ") . فى ٢٠ يونيو ١٩٥٤ ، التقى شارّت بممثلة اتحاد اللاجئين الفلسطينيين ، ومنهم محمد يحيى ، بشأن دفع تعويضات . وأخيراً ، قدم شارّت رأيه الصريح حول قضية اللاجئين حين حادث السفراء الإسرائيليين بشأن اتفاقية الأمن التى اقترحتها الولايات المتحدة : " ربما يحاولون الضغط علينا للتصالح بشأن الأرض واللاجئين . حذرت السفراء من إمكانية إعادة بضع عشرات الآلاف منهم ، حتى إن كان السلام هو الثمن " . وهذه كانت وجهة نظر رئيس الوزراء اليسارى الذى ادعى ثقافة واسعة بالشأن العربى لأنه قضى عامين أثناء سنوات المراهقة فى قرية عربية فى الضفة الغربية ، لأنه يعرف العربية ، ولأنه عاش فى سوريا خلال الحرب وخدم فى الجيش التركى . إن رأيه بشأن القضية الفلسطينية واضح فى مذكراته فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ ، إذ يقول واصفاً الفلسطينيين الذين يحاولون العودة إلى ديارهم :

خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة ، دخل ٢٠٠٠٠ من هؤلاء المتسللين إلى إسرائيل ، وعاد كذلك ثلاثون ألفاً بعد الحرب .. فقط لأن هؤلاء العشرين ألفاً لم يستلموا وثائق استطعنا الحد من سعيهم للسكن بيتنا . لو تخلصنا من الحكومة العسكرية لاخترق الحدود آلاف منهم إلى أعماق ديارنا . حتى الآن ، يوجد فى إسرائيل

حوالى تسعة عشر ألف فلسطينى يمتلكون تصاريح عمل ، وإن حق لهم ذلك فى الجنوب والغرب فقط .. لا بد من الوصول لحل لمشكلة المهجرين، ولكنهم يرفضون الاستقرار فى الخط الآخر من الحدود . حتى إن بنينا لهم منازل ، يرفضون السكن فيها ، العرب الذين يستعمرون فى الحياة على أراضيهم يستفيدون ، لأن تكاليف معيشتهم أقل من اليهود . وهم أيضاً لا يحتاجون للحماية الأمنية. من الواضح أن هذه الأوضاع ستبقى الحكومة العسكرية فى إسرائيل (١٥ نوفمبر ١٩٥٣) .

خلال عامى ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، أشار شارُت لاقتراحات بن جوريون ، وديان ، ولافون بتهديد مصر : إما أن يتم نقل الفلسطينيين من غزة إلى داخل مصر ، أو .. النقاش الذى تم فى مجلس الوزراء فى آخر أسبوع من مارس ، ١٩٥٥ ، بشأن رغبة بن جوريون فى احتلال غزة ، يشرح الموقف :

طالب وزير الدفاع بإلغاء المعاهدة الأمنية مع مصر ، وبدء الحرب . شجبت هذا المنطلق العدوانى . أكدت له أن اللاجئين فى حال احتلال غزة ، سيذهبون إلى منطقة أخرى قريبة ، فتعود المشاكل . يمكننا تصور مدى غضبهم ومرارتهم . وستبقى جماعات منهم فى القطاع . وسيكون استخدام القوة لكبتهم ضرورياً . وستعود الكراهية نتيجة لذلك . الإعلام الغربى سيقول: احتلت إسرائيل غزة ، وسيقول كذلك : تتزايد أعداد المشربين . (٢٧ مارس ١٩٥٥) .

وفى لقاء آخر مع الوزراء دام لست ساعات قدم شارُت أفكاراً أخرى فى السياق ذاته :

ما نجحنا فى تحقيقه عام ٤٨ لن يتكرر ثانية . اليوم لا بد لنا من الاعتراف بالحدود وتقليص التوتر مع جيراننا والاستعداد للسلام، وربط دولتنا بالقوى العظمى . أما احتلال غزة ، فلن يحل المشكلة الأمنية . المهجرين سيبقون سبباً لأزمات دائمة لأنهم سيعانون أكثر بسبب الاحتلال الجديد. (٢٩ مارس ١٩٥٥) .

انتقد بن جوريون معارضييه ، لأنهم لا يعرفون أن الحل الوحيد للمشاكل الإسرائيلية هو الأفعال الجريئة . مشكلة المشردين متعبة بالفعل ولكن يمكن تهجيرهم إلى الأردن .

السعى لإسقاط عبد الناصر

فى ذات اللقاء ، حاول بن جوريون :

إثبات أن مصر تسعى للتحكم فى أفريقيا ، غرباً إلى المغرب ، وجنوباً إلى جنوب أفريقيا حيث سيثور السود على البيض ويخضعون لعبد الناصر الذى لن يرد على احتلال غزة لأنه يخشى أى هزيمة عسكرية . والدول العربية لن تساعد على كل حال . أما الأنظمة الغربية فلن تستجيب . القوة العسكرية فقط ستحوانا إلى قوة سياسية . هذه هى اللحظة الملائمة، لأن العالم العربى مشتت ، ومصر لم توقع أى معاهدة مع الولايات المتحدة أو بريطانيا .

بقى منع أى اتفاق بين الغرب والعالم العربى ، وخصوصاً مصر ، فذلك يعد هدفاً أساسياً لإسرائيل . لم يتعلق الأمر بأمن إسرائيل . بالعكس ، رفضت إسرائيل أى اتفاق أمنى مع الولايات المتحدة إن كان سيحد من حريتها . ويؤدى لبدaiات السلام مع العرب . سياسيو إسرائيل اعتبروا أن استخدام السلاح هو الطريقة الوحيدة للحياة فى الشرق الأوسط . كما ودوا التخلص من الرئيس عبد الناصر ليس لأنه خطر على إسرائيل ، بل لأن احترامه من قبل دول العالم الثالث ، وعلاقاته بالغرب ، سيؤدى إلى تقليص دور إسرائيل إلى مجرد دولة مثل بقية دول المنطقة . وقد عرف الإسرائيليون أن مصر لا تشكل أى خطورة عليهم . كتب شاروت :

عبرت عن شكى بشأن ازدياد قوة مصر العسكرية ، نظراً لأنى لاحظت المشاكل الداخلية الكثيرة التى تواجهها . حوالى ٥٠٠ ضابط ، بينهم أهم القيادات ، تركوا الجيش بعد أن ذهب الرئيس نجيب ، وانتقلوا لوظائف إدارية .

ولكن الحملة الإسرائيلية لم ترتبط بالحقائق بتاتاً : قال بن جوريون فى المؤتمر الوزارى : إن عبد الناصر يخطط للقضاء على إسرائيل . وفى ذات الوقت حاول الموظفون الإسرائيليون إقناع الغرب بالابتعاد عن مصر . واعتمدوا فى ذلك على شهادات كتبها مصريون : " التقى جديون رافيل بشخصية مصرية رأسمالية معروفة ، وهو عبود باشا ، الذى اعتقد أن الأوضاع فى بلده غير مستقرة . الخلافات بين القيادات كثيرة ، ولكل منهم من يدعمه " . (٢١ يوليو ١٩٥٥) . وقد سعت إسرائيل أيضاً خلال تلك المرحلة للفصل بين الدول العربية ، مثل : مصر والسودان .

تخبطت الإدارة الأمريكية ، إذ دعا بعض أفرادها لتحالف إستراتيجى مع القاهرة، ولكن كانت للضغوط الإسرائيلية أيضاً تأثيرها . وهكذا لم تقدم الولايات المتحدة لمصر ما طلبته من سلاح ، باستثناء مسدس صغير قدمه أيزنهاور للرئيس نجيب ، لم تصل لمصر أية معونات . كما انهارت المفاوضات بشأن معونات غربية لإنشاء سد أسوان .

فى خطبة معروفة ، انتقد بن جوريون سياسات شارّت على أساس أنها ترضى الأممين ، وستؤدى لتدمير الدولة العبرية . مثل هذه الكلمات أدت لفقدان القاهرة أى أمل فى عقد صلح مع إسرائيل . فى نهاية سبتمبر ١٩٥٥ ، وقعت مصر اتفاقية تسليح مع تشيكوسلوفاكيا من أجل الدفاع عن نفسها إن تعرضت لهجوم .

الاتفاق مع تشيكوسلوفاكيا أغضب الغرب تماماً . أيزنهاور قال لشارّت : " نستغرب من صمتكم " . استطرد : " إن هاجمتم مصر التى تتسلح بسلاح سوفيتى ، لن نحتج " . (١ أكتوبر ١٩٥٥) . وفى لقاء تم فى ٢ أكتوبر ، قال لبن جوريون : " إن كان لديهم طائرات ميج ، فلا أمانع من قصفهم " . بدا واضحاً الآن أن الولايات المتحدة تود إضعاف عبد الناصر . ولكنها لا تجرؤ على استخدام أساليب مثل تلك التى تمت فى جواتيمالا أو إيران . الأفضل أن تقوم إسرائيل بالعمل المطلوب .

اقترح بن جوريون أن نقوم بالهجوم على غزة الآن .. الوضع قد تغير وهناك ظروف أخرى تحتم وقت الفعل . أولاً : تم اكتشاف النفط بالقرب من غزة ، ولابد من الدفاع عن منشآت التكرير .

ثانياً : خيانة مصر للغرب تمنع الدول الأوربية من الاحتجاج على ما تقوم به .

وخلال عام واحد احتلت إسرائيل غزة ، سيناء ، والمضايق ، ووصلت إلى قناة السويس وشاهدت القوات الإسرائيلية القصف البريطاني الفرنسي للسويس والإسماعيلية . منذ ستة شهور ، كان شارُت قد خرج من الحكومة . وعاد بن جوريون لرئاسة الوزراء في نوفمبر ١٩٥٥ بعد موافقة الولايات المتحدة على الحرب بشهر . قالوا : إن شارُت عاجز عن جلب السلاح الضروري للدفاع عن إسرائيل . المناخ المحيط بشارُت قبيل رحيله مهم :

جلسوا جميعاً - الوزراء - صامتين . لا أحد تطلع لى وجهاً لوجه . لم يضافح أحدهم يدي . بدا وكأنهم جميعاً قد أصيبوا بالشلل ، وكأن حرية الحركة التي تمتعوا بها قد ذهبت ، حرية الكلام صوبرت ، حرية التصرف حسب ما يقوله الضمير اختفت . جلسوا في صمت تام يتطلعون . نهضت وذهبت . (١٨ يونيو ١٩٥٦) .

في الشهور التالية سمحت الولايات المتحدة لفرنسا بتصدير طائرات ميراج إلى إسرائيل . أثناء حرب السويس ، تظاهرت الولايات المتحدة بالدهشة ، وحتى بالغضب . ولكن كان هناك فارق بين تعامل الولايات المتحدة مع فرنسا وبريطانيا ، وهما الدولتان اللتان خسرتا في التنافس الاستعماري ، ومع إسرائيل . فقد طلبت الولايات المتحدة من فرنسا وبريطانيا التراجع فوراً ، بعد ساعات من بدء الهجوم . أما انسحاب إسرائيل فتأجل لشهور ، وتم بسبب الضغوط السوفيتية . لم يعاتب أحد إسرائيل على فعلها الإجرامي هذا . وهكذا بدأت التعديات ، وكان الانسحاب مرحلياً ، كما أثبتت حرب ٦٧ .

أما موشى شارُت ، فقد تصور أن إسرائيل لن تنجو بدون مساعدة الغرب ، وأن الأخلاقيات الغربية لن تسمح لإسرائيل بأن " تتعامل مع جيرانها حسب قوانين الغابة " حتى يكون الإرهاب مبدأً مقدساً . قال شارُت لديفيد هاكوهن ، حين طلب من إسرائيل التصرف بجنون لتخويف العرب وتهديد الغرب : " إن تصرفنا كالمجانين ، سيتخلى العالم الحر عنا " . ولكن أعداءه أثبتوا خطأ فكره ، وتم تدمير ما كان يرمز إليه .

ما أثبتوه هو أن منطقته العقلاني افتقد للواقعية . ازداد تورط الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، وساعدت الأخيرة الغرب على تحقيق مصالحه في المنطقة . كما أن الصهيونية التي تعتمد العنصرية كانت لا أخلاقية ، فإن الغرب زرع في الشرق الأوسط دولة تعتمد قوانين الغابة ، وتستخدم الإرهاب للتعامل مع شعوب المنطقة . كان هناك منطق آخر في المعادلات الجديدة ، يتحكم في الأوضاع المستقبلية . يقول شارُت :

أقول لنفسي كل يوم ، أعترف بالهزيمة . كانوا أكثر مرونة ونشاطاً وحيوية . لعبوا بالنار وقازوا . أعترف أنهم انتصروا في معركة السويس .. باستثناء الأخلاقيات ، فإن دور إسرائيل السياسي بات أقوى كثيراً في العالم . وأنت وحيد ، ليس معك سوى ابنك . الرأي العام لا يشاركك الرأي . بالعكس ، إن عامة الشعب الآن غاضب على الحكام الجدد لأنهم تراجعوا من سيناء وغزة ، وما هم الآن يتجهون إلى بيجن .

(٤)

إسرائيل وقيم السلام

آلفريد م. ليلينثال

تمهيد :

نقد كتاب آلفريد م. ليلينثال من الأسواق بسرعة ، وهو الآن متاح للاستعارة في العديد من المكتبات الكبيرة .

ويتميز الكتاب بأنه أول الكتب الموسوعية التي كشفت حقيقة ما يجرى في الشرق الأوسط ، وقدمت وجهة نظر مغايرة للآراء الشائعة في الغرب .

الفصول التي نختارها من الكتاب هي تلك التي تتناول أولاً ، سيطرة الصهيونية على الإعلام الأمريكي خلال مرحلة السبعينيات بالتحليل . حيث يتحدث المؤلف عن قضية تجاهل الإعلام الغربي للإرهاب الصهيوني ، بل ويسمى هذا التجاهل " إرهاب الإعلام الغربي " الذي قدم وجهة نظر إسرائيل ، وكبت وجهة النظر الفلسطينية حتى اضطر الفلسطينيون لممارسة الإرهاب المضاد لتذكير العالم بمأساتهم . الفصلان التاليان يتناولان المؤسسات الصهيونية الأساسية في الولايات المتحدة ، ويدرسان الأساليب التي تستخدمها في الضغط على الآخرين ، وأهمها : القذف وتشويه السمعة، والتهديد الاقتصادي ، والاتهام بمعاداة السامية .

والمؤلف وضح أيضاً أن إسرائيل خلقت ازدواجية أخلاقية بين يهود العالم . فبقاء اليهود يتطلب المحافظة على أنظمة علمانية غير عنصرية . أما في إسرائيل ، فاليهود

يدافعون عن مجتمع لا يتقبل الزواج بين اليهود وغير اليهود ، ولا يعامل غير اليهود على أساس المساواة ، حيث المثال مجتمع عنصري تفصل أجزاؤه عن بعضها البعض ^(١) .

يستشهد المؤلف بإحدى الشخصيات الصهيونية المعروفة ، ناحوم جولدمان إذ قال: " إن كنا قد استثمرنا في المشكلة العربية عشر الطاقة والعواطف والثروات التي قدمناها لكسب ود ألمانيا والولايات المتحدة ، لاستفدنا كثيراً ، ولكننا لم نكن مستعدين للحلول الوسط . لم نحاول حتى إقناع العرب بوجود دولة يهودية ، وكان ذلك خطأ فاحشاً " ^(٢) .

ما حدث في الواقع يظهر في الملاحظات التالية التي كتبتها القيادات الصهيونية الباكورة ، ويستشهد بها مؤلف كتاب إسرائيل وقيم السلام . يقول رئيس وزراء إسرائيل ليفي أشكول في لقاء معروف عام ١٩٦٩ : " من هم الفلسطينيون ؟ حين جئت إلى هنا ، وجدت حوالي ربع مليون غير يهودي ، أغلبهم من العرب والبدو . كانت فلسطين صحراء ، أراض فارغة . لا شيء . فقط بعد أن حولنا الصحراء إلى جنة وسكنها اهتموا بأخذها منا " .

" وكيف نعيد الأراضي المحتلة ؟ لا يوجد من نعيدها إليه " .

أما جولدا مائير ، فقالت : " لا يوجد في فلسطين شعب يدعى الشعب الفلسطيني أخذنا الأرض منه . لم يكونوا هنا حين جئنا " .

أسطورة " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " يدحضها وجود سكان أصليين . وقد ذهل أحد المهاجرين الأوائل ، ماكس نوربو ، وهو من رفاق ثيودور هرتزل المقربين ، وجاء إليه صارخاً : " ولكن هناك عرب في فلسطين . لم أعرف ذلك من قبل " .

وإن أراد الصهاينة الحياة بسلام مع الفلسطينيين ، لكان ذلك ممكناً . كان لهم مستوطنات قبل وعد بلفور ، وكونوا علاقات لا بأس بها مع السكان الأصليين . أما

(1) L.F.Stone, 1975, L. F. Stone Newsletter.

(2) Dr Nahum Goldmann, "President of the World Jewish Congress Writing in New Outlook. Nov. -Dec. 1974.

اليوم ، فاليهود فى فلسطين تحركهم دوافع الوطنية اللا إنسانية ، وأغلبهم يرفضون التعامل مع العرب . فى العصور الماضية ، عاش العرب واليهود بسلام . أما اليوم ، ومنذ تكون الدولة اليهودية ، فقد زادت حدة التوتر بين المجموعتين ، وتزداد الأمور سوءاً كل يوم .

اليهود ذاتهم ممزقون بهذا الشأن ، والكثير منهم يعبر عن عدم رضاه بالوضع الحالى .

كتاب " إسرائيل وقيم السلام " يعبر عن سخط بعض اليهود بشأن سياسات إسرائيل الحالية . ويدعو للسلام ، ولرؤية غربية أكثر عقلانية وعدالة لما حدث ويحدث فى فلسطين منذ أوائل القرن العشرين .

رابعًا : من كتاب "علاقات صهيونية : ما هو سعر السلام؟"

ألفريد م. ليلينثال

لا يمكن الوصول للسلام فى فلسطين بالقوة ، بل فقط عبر التفاهم .. ألبرت أينشتاين.

الإهداء : إلى المسيحى واليهودى والمسلم والعلمانى ، إلى أى إنسان اهتم بالإنسانية أكثر من ارتباطه بالفرقة أو الجماعة ، وكان مستعداً للصراع فى سبيل مبادئه .

تقديم المؤلف :

إن كان لابد من تبرير تأليف كتاب مثير للجدل ، يقدم آراء جديدة ، فى عالم تعود سكانه على أفكار مهدئة ، بدلاً من تقبل نظريات لا يتفق الناس عليها ، فقد كانت زيارة الرئيس أنور السادات فى ١٩ - ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ، إلى القدس أفضل سبب . الشرق الأوسط المعقد أصلاً صار الآن أكثر تعقيداً .

تطلع الأمريكيون بسعادة لشاشات التلفاز . ها هو رئيس أكبر دولة عربية يخاطب الكنيست ، والمصريون والإسرائيليون يتحدثون ويتبادلون الابتسام . أخيراً وافق العرب على التخلي عن الحرب . السلام فى الطريق .

مثل هذا التفكير المتفائل تجاهل وجود حربين منذ عام ١٩٤٨ فى الشرق الأوسط. الصراع بين إسرائيل والدول العربية كان ناتجاً عما سماه الرئيس السورى حافظ الأسد "الخلاف الجوهري" - أى الصراع بين الصهيونية فى إسرائيل والعرب الفلسطينين . وإن كان هناك إمكانية لحل سلمى ينهى الصراع المصرى الإسرائيلى ، فوجود حل ينهى الخلاف على الأرض المقدسة بقى بعيداً .

إن قرار الأمم المتحدة فى ١٠ - ١١ - ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية قدم لأول مرة حقائق الصراع الصهيونى الفلسطينى للشعب الأمريكى المذهول . ولكن المدافعين عن إسرائيل ، من المسيحيين واليهود ، استجابوا بعنف وطالبوا الإعلام بمهاجمة الأمم المتحدة ، الدول العربية ، ودول العالم الثالث . اعتبر المدافعون عن

القرار "مقلدى هتلر" . اعتقد الشعب الأمريكى ، المؤيد لإسرائيل ، أن هذا عبارة عن هجوم آخر على اليهود واليهودية ، هبة نازية جديدة . إن واقعية قرار الأمم المتحدة ، وأسباب رفض الدول العربية لإسرائيل ، تمت التعمية عليها جميعاً بعاطفية اصطنعها الإعلام .

ما دور الصهيونية وعلاقاتها بصراع الشرق الأوسط ؟ وما الفارق بينها وبين الديانة اليهودية ، إن كان هناك فوارق؟ ولماذا شجع اليهود ، الذين عرفوا بالدعوة لفصل الدين عن الدولة ، جمعهما فى إسرائيل طالبين تعاون أى يهودى فى أى مكان ، سواء أكان متديناً أم لا ؟ ولماذا تبقى أقلية تؤكد أن معاداة الصهيونية هى معاداة السامية ؟ مثل هذه الأسئلة المحيرة لغالبية الأمريكان تفسر غالبية أفعال الشرق الأوسط .

لقد كان خلط الوازعين الدينى والوطنى هو ما أدى لتكوين الدولة اليهودية فى قلب العالم العربى ، ونتج عن ذلك ضرر للجميع ، حتى الأمريكان الذين ساهموا فى تكوين الدولة الجديدة . فإن تهجير الفلسطينيين ، الذين باتت أرقامهم خارج فلسطين اليوم أكثر من مليونين وستمئة ألف ، وبعضهم يعيشون فى المخيمات منذ ٢٠ عاماً ، بتكلفة ٧ سنوات يومياً ، جلب للولايات المتحدة غضب العالم العربى الإسلامى ، مما تسبب فى خلق توتر وحتى معاداة بينهما . كما أن تكوين إسرائيل أدى إلى اختراق المنطقة لأول مرة من قبل الاتحاد السوفيتى ، وخاطر بمصالح أمريكية حيوية ، وصنع أزمة طاقة أحس بها كل أمريكى .

ومهما بقيت اليهودية منفصلة عن الحركة الصهيونية ، فإن الظل القومى طغى على الوازع الدينى حتى بات غالبية اليهود إسرائيليين ، إن لم نقل صهاينة . الكثيرون ممن لا يثقون بالصهيونية شجعوا الدولة اليهودية بعد تكونها . وإن لم يثق غالبية اليهود فى الشتات بالعقيدة الصهيونية ، توهموا أن واجبهم الدينى هو مساندة الدولة ، بل وتحويلها إلى معبود . وهذه العبادة ليست شيئاً جديداً ، إذ وجدت لدى الإغريق القدماء والسومريين ، وغالبية الأمم الغارية . كما لاحظ د. أرنولد توينبى فى دراسة للتاريخ .

إن عبادة فكرة الوطنية أو القومية شر وويل ، وديانة سيئة لأنها تعبد صنماً يدفع بعبيده لممارسة الجريمة . ومع الأسف ، تبقى هذه الديانة منبعاً للشر فى عصرنا .

وقد شملت هذه العبادة عدداً كبيراً من المسيحيين الذين كانوا أن يقدسوا إسرائيل ، ووهبوا ثقتهم المطلقة ، وأعفوها من المسئوليات والالتزامات .

فى كل قضية أخرى مثيرة للجدل ، قدمت وجهتا النظر معاً ، سواء أكانت شركات الدخان وأضراره على صحة المواطنين ، أم دعاة السماح ببيع وشراء المخدرات، ومن يولون الاستمرار فى منعها ، أم الصقور والحمام خلال حرب فيتنام ، وغيرها . فقط بشأن القضية الفلسطينية ، لم يسمع الغرب إلا وجهة نظر واحدة . مجرد وجود مجموعة ADA حتى قبل ظهور شعار معاداة السامية ، الذى يمكن استخدامه لوصم الأفراد وتشويه سمعتهم وفصلهم من أعمالهم ، أدت لخلق حساسية قوية خنقت أية إمكانية للحوار ، بشأن هذه القضايا المعقدة.

إن سجلات الضغوط ، وإخفاء المعلومات ، وممارسات الإرهاب ضد الأفراد ، وحتى رؤساء الدولة الأمريكية ، الذين سجلوا فى رسائلهم وأوراق يومياتهم قلقهم بشأن الدرب الذى اختارته الصهيونية ، ضخم ، وإن لم يكتمل بعد . إن غالبية الضحايا خجلوا ، أو حتى خافوا - من نشر تجاربهم .

نادراً ما نجح خداع قلة للأغلبية بهذه الطريقة ، كما حدث فى تكوين السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل . الخوف ، والشعور بالذنب ، والاهتمام بالقضايا الداخلية ، لا العدالة وضرورات الأمن ، هذه العوامل حددت سياسات الأمن . وإن لم يهتم المواطن العادى بما يحدث ، فقد نتج ذلك عن الإعلام الذى قدم أساطير على أنها حقائق . خدع الإعلام الناس أغلب الوقت .

إخفاء الحقائق أدى للمخاطرة بالأمن العالمى . أوضاع الشرق الأوسط شملت أربعة حروب ، وثلاث مواجهات بين القوى الكبرى كادت أن تتحول إلى حرب عالمية .

إن وجود قوى أمريكية حالياً فى الشرق الأوسط يهدد يتحويله إلى فيتنام جديدة . قال دبلوماسى أمريكى مرة : " سيحدث تحقيق ذات يوم عن السياسات الفاشلة فى الشرق الأوسط ، وستكشف حقائق مخيفة " .

أتمنى أن يسهم هذا الكتاب فى كشف الحقائق قبل أن تزداد الأوضاع سوءاً . بعض الأسئلة تتطلب إجابات : فمن له الحق فى الحياة فى فلسطين ، الصهاينة

أم الفلسطينيين ؟ وهل يمكن لهما الحياة معاً ؟ وكيف تحمي الولايات المتحدة مصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة وتبقى على علاقاتها مع الدولة العبرية ؟ وكيف يتم تجنب فيتنام جديدة ، والسير على خطى السلام ؟ والسؤال الذي لا بد من مواجهته ليس عن بقاء إسرائيل ، أو حتى تكون دولة فلسطينية - بل عن طبيعة الدولة العبرية التي يمكن لها الحياة في المنطقة ؟

بدا واضحاً منذ أول وهلة أنه يجدر اختبار السجلات التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي ، بدءاً بخطيئة طرد الفلسطينيين من أرضهم ، والوصول لاستنتاجات لم تذكر من قبل . كما لاحظ نورمان توماس ، أن شخصية يهودية فقط تملك السلطة الأخلاقية للخوض في هذا الشأن الشائك .

وقد تجنبت في هذا الكتاب التعميمات ، وسعيت للمحايدة ، بدون الاعتماد على التجارب الشخصية ، التي تجلب العاطفية وتضعف الموضوعية . بحزن ، لا غضب ، أقر بأن اليهودية المعاصرة سارت في درب أضعف قيمنا الأخلاقية - وأدى لما يسميه المؤلف موسى منيوهين : " انحطاط اليهودية في عصرنا " . وماذا يمكن أن يفسر تحول الضحية لمبادئ جلادها ؟

ألم يدمر هتلر في أوروبا الكثير من القوانين التحررية التي سعى الكثير من اليهود من أجلها ، باذلين الغالي والنفيس - والعمر ذاته ؟ ألم يقل : أنت لست ألمانيا ، أو فرنسياً ، أو بلجيكياً ، أنت يهودي ؟ وهذه هي ذات الكلمات التي قالها الصهاينة لليهود في جميع أرجاء المعمورة وخططوا لتهجيرهم من أراضٍ عاشوا فيها بأمن وسلام لقرون .

إن بدا هذا الكتاب أحياناً قاسياً على إسرائيل ، متجاهلاً لوجهات نظر المدافعين عنها ، فسبب ذلك هو أن الإعلام الذي تحكمته فيه الصهيونية أنتج أساطير تقبلها الناس حتى بات دحضها أمراً ضرورياً لإظهار الحقائق . ولكن لا بد دوماً من التفرقة بين دولة إسرائيل وسكانها . ولا بد من تذكر أن ميزة الرجل الغربي الحقيقية هي تقديم الرأي الآخر . كما قال توماس جفرسون : " دعنا نسمع وجهتي النظر ، ثم نتخذ القرارات " .

وهذه الطبعة المخفضة السعر نشرت استجابة لطلبات كثيرة ، من أفراد ودوا
معرفة وجهة نظر جديدة بشأن هذه القضية الشائكة ، التي قد يكون فهمها ضرورياً
حتى لبقاء البشرية . وأنا أطلب من القراء القراءة مستخدمين ما سماه وليام اليرى
كارنج العقل المتفتح :

أسمى العقل متفتحاً إن سعى للدفاع عن حقوقه وقواه ، ولم يسم
أى رجل سيده ، ولم يتقبل عقيدة موروثة ، بل فتح نفسه للنور من
حيث أتى ، وتقبل الحقائق الجديدة القادمة كملك من السماء .

من الجزء الثاني : التعقيم

الإرهاب وازدواج المعايير

أليست ازدواجية الإعلام الأمريكى إرهاباً ؟

من الصعب اختيار موضوع واحد قام الإعلام الغربى بتشويهه أكثر من سواه . ولكن من المؤكد أن لتصوير الإعلام الغربى للعنف أثراً كبيراً على وجهات النظر الغربية تجاه الشرق الأوسط . فقد نجح الإعلام فى دفع الإنسان الغربى لتقبل أن الصهاينة ناضلوا من أجل قيم أخلاقية وحقوق شرعية وتاريخية ، بينما اعتبر الفلسطينيون الذين لجأوا للعنف إرهابيين . وإن تم استخدام التجربة النازية للتسامح مع التطرف والعنف الصهيونى ، فأى تطرف فلسطينى مشجوب ، بدون الاستماع لحقائق عن تهجير الفلسطينيين من أراضيهـم . إن اختيار الكلمات ، وأسلوب الكتابة ، والشرح لما حدث ، والتعاطف ، جميعها استخدمت فى تطبيق ازدواج المعايير .

فمثلاً ، ندر أن ينتقد أحد وجهة النظر الإسرائيلية تجاه حرب أكتوبر . فى برنامج مفتوح لإذاعة بى بى إس فى بوسطن ، بعد بدأ المعركة بثلاثة أيام ، تحدث شخص بدا أنه من الهند أو باكستان ، للشكوى من تحيز الإعلام حتى اعتبر الحرب عدوانية من مصر وسورية ، بينما كانت الدولتان فى الواقع تودان استرداد أراضيهما المحتلة . استجاب المذيع هاورد نلسون عن طريق إخراج معنى كلمة عدوانية من القاموس ، فذكره المتصل بأن إسرائيل احتلت الأراضى العربية عام ١٩٦٧ . واستطرد متسائلاً : « لماذا ، حين تخطف إسرائيل طائرة لبنانية وتجبرها على الهبوط فى إسرائيل ، يعد ذلك تغيير مسار ، وحين يمارس الفلسطينيون الفعل ذاته ، يسمى اختطافاً ؟ ! لماذا ازدواج المعايير ؟ ! » .

مع أن الإعلام الأمريكى يرفض عادة جميع صيغ الإرهاب ، إلا أن أفعال إسرائيل يتم تبريرها كرد فعل على أوضاع صعبة . فقد بررت « واشنطن بوست »

مثلا الاغتيالات الإسرائيلية فى بيروت ، إذ اعتبرتھا « أفضل أنواع الإرهاب » ، إذ أدى لقتل « أسوأ أنواع الإرهابيين » . ومن المقالات التى تناولت الفدائيين ، كان ٩٥ ٪ مما نشر فى مجلة نيويورك تايمز ، و ٩١ ٪ مما نشر فى واشنطن بوست ، و ١٠٠ ٪ من كتابات دترويت فرى برس مواليا لإسرائيل ، مع نقد مقذع للفدائيين . وقد نشرت التايمز ثلاث مقالات تعاطفت فيها مع أوضاع اللاجئين الفلسطينيين فى المخيمات ، ونشرت واشنطن بوست كذلك ثلاث مقالات عن الموضوع ذاته .

قوانين الإعلام تعتبر الإسرائيليين « مدافعين عن الحرية » ، والعرب إرهابيين . حيث الإسرائيليين « يدافعون عن النفس » ، والعرب « يرتكبون الفظائع » . العرب يوما يُشجبون ، والإسرائيليون يُمتدحون . كما توضح رسالة كتبها عدد من القساوسة إلى مسيحي العالم :

الغريب يفهم ما يحس به اليهودى : الكبرياء لأنه امتك فلسطين ، وماعاد يحتاج للاعتذار لكونه يهوديا . ولكن الغريبين لا يعرفون ما يحس به العرب : وهو الغضب لفقدان الوطن ، الخجل من الهزيمة العسكرية ، الإحباط لأن العالم لا يفهم مشاعرهم . وكلمة « فدائى » تعنى فى الواقع من يضحي بالذات ، والعرب يعتبرون أن الأعمال الفدائية محاولات لتحرير الأرض من محتليها .

وقد بدأ المعيار المزدوج باكرا وامتد ليشمل جميع وسائل الإعلام ، مؤثرا على رؤية الناس للقضية الفلسطينية . غالبية الناس تصوروا أن العرب وحدهم استخدموا العنف . ولكن سجل استخدام الصهيونية للعنف من أجل هدفها – المخفى عن الناس – طويل ، وإن أمكن العثور على بداياته فى أيام الاستعمار البريطانى .

وقد استخدمت الصهيونية العنف حتى ضد اليهود أنفسهم ، كما حدث فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ حين تم تفجير باخرة س . س . باتريا فى ميناء حيفا ، وقتل ٢٧٦ مهاجرا غير شرعى . خلال وقوع الحادث اتهم البريطانيون بالجريمة ، وبعد عشر سنوات اتُهم الصهاينة بارتكابها . إن ديفيد فلنكر ، الصحفى العامل فى جريدة « الصباح اليهودية » وهى أكبر جريدة يومية آنذاك ، يصف ما حدث :

اتخذت قيادات الهاجانا القرار ، وهو ألا يسمح للباخرة بالمغادرة . لابد أن يعرف الإنجليز أن اليهود لن يهجروا وطنهم . لابد من تفجير الباخرة .

أبلغ أفراد الهاجانا بالقرار من المساء ، وبدأ الاستعداد للتنفيذ في الصباح . يوم الأحد ٢٦ نوفمبر ١٩٤٠ ، أبلغت القوات البريطانية المسافرين بضرورة التأهب للرحيل . بقي اليهود صامتين ، باستثناء خمسة للصعود إلى السطح بسرعة . ولكن لم يفهم الجميع . بقي مئات في الطوابق السفلى ، ولم يشاهدوا النور ثانية . ففجأة سمع نوى انفجار ، ويات الهلع واضحا . كان منظراً مخيفاً . قفز الناس إلى الماء ، وقذف الأطفال إلى الأمواج . الصراخ وصل إلى عنان السماء . رقم الضحايا رسمياً كان ٢٧٦ . سمحت السلطات للناجين بالبقاء .

وقد اعتبر الإعلام الأمريكي هذا الحادث ، وحوادث أخرى مشابهة ، نوعاً من الانتحار للاحتجاج على سياسات بريطانيا تجاه هجرة اليهود إلى فلسطين .

ثم حدث اغتيال اللورد موين وهو سفير بريطاني في ٦ نوفمبر ١٩٤٤ ، في القاهرة . وتم تفجير فندق الملك داود ، مما أدى لقتل ٩١ شخصاً وجرح ٤٥ من البريطانيين واليهود ، وتلى ذلك إرسال رسائل تحوى قنابل لوزراء بريطانيين ، وهجوم بالقنابل في ١١ ديسمبر في حيفا ، أدى لمقتل ١٨ عربياً ، وجرح ٥٨ آخرين . خلال العام التالي تم تفجير فندق سميراميس في القدس ، مما أدى لقتل ٢٠ شخصاً ، منهم السفير الإسباني . وقد اعترفت الهاجانا بمسؤوليتها عن الحادث الأخير .

وفي عام ١٩٤٨ بعد صدور قرار الأمم المتحدة بالتقسيم ، ولكن قبل أن تتكون دولة إسرائيل الفعلية ، قامت مجموعة شتيرن ، أو إرهابيي هاجانا بإلقاء القنابل على القرى والمدن الفلسطينية ، وأحياناً هاجموها ، وأشهر هذه المجازر ما حدث في ٩ أبريل في دير ياسين ، حين قتل ٢٥٤ رجلاً وامرأة وطفلاً وعجائز .

في ١ سبتمبر ١٩٤٨ اغتالت مجموعة شتيرن مندوب الأمم المتحدة ، الكونت برنابوت ، ومعاونيه اندري بيير سيهوت . وكان السفير الأمريكي ، ستانتون جريفس ، متأكداً من أن الحكومة الإسرائيلية عرفت القاتل ، إذ كتب في مذكراته : « إن جريمة قتل برنابوت تبقى بقعة سوداء لا أخلاقية في تاريخ إسرائيل الباكر » .

في لقاء صحفي عام ١٩٧٥ ، اعترف د . مايكل بار زوهار ، واسمه في الولايات المتحدة مايكل باراك ، أن بن جوريون عرف أسماء الثلاثة الذين قاموا بارتكاب هذه

الجريمة البشعة . بل إن أحدهم ، يهوشف زيتلر ، كان من أعز أصدقائه . قال زيتلر : أعدمنا برنابوت لأنه أراد تحويل القدس إلى مدينة دولية ، وكان معاديا للدولة اليهودية منذ أن تكونت وأنشأ سياسات الأمم المتحدة التي ما زالت حتى الساعة تؤيد العرب . اتخذ هذا القرار ثلاثة من زعماء عصاة شتيرن - وهم ناثان بلين مورد ، د . إسرائيل الداد شيب ، وزيتلر قائد العصابات في القدس .

في عام ١٩٥٠ ، فجر عملاء للصهاينة في بغداد محفلا يهوديا ، ومواقع أخرى ، للضغط على يهود العراق للهجرة إلى إسرائيل . وقبل حرب السويس ، تم تفجير قنابل في قرى عربية منها : عين جالوت ، وفالمية ، وبهية ، وغزة ، مما أدى لقتل ١١٨ عربيا .

وبعد بضع ساعات من بدأ القوات الإسرائيلية بالزحف إلى سيناء في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٦ ، تم إعلان منع التجول في كفر قاسم يبدأ من الساعة ٤ ، ٤٥ مساء . أبلغ محافظ المدينة الجنود أن الفلاحين في الحقول لن يعوبوا إلا لاحقا . وحين عاد الفلاحون ، أطلق عليهم الجنود النار وقتلوا ٤٩ فلاحا بينهم ١٤ امرأة وطفلا . قتلوا بلا أي سبب وهم يعوبون من أعمالهم .

وهذه الحقائق لم تكشف إلا لاحقا حين حوكم أحد الجنود . واستمرت المحاكمة لعامين ، وقدمت المحكمة العليا قرارات متسارعة : سجن أحد الضباط لسبعة عشر عاما ، وآخر لخمسة عشر عاما ، ثلاثة تمت تبرئتهم ، وخمسة رجال شرطة حكم عليهم بسبعة أعوام . وجميعهم خرجوا من السجن بعد سنة بعفو حكومي . أما جمعيات الدعوة لحقوق الإنسان ، فلم تنبس ببنت شفة . تكرر رد الفعل ذاته بعد هجوم إسرائيلي بالعربات المدرعة ، هدفه تدمير قرية سماوة ، ومقتل ١٨ فردا وجرح ٥٤ آخرين .

في ١٩٧٢ ، مع بزوغ نجم منظمة التحرير الفلسطينية ، ركزت منظمات إسرائيل الاستخباراتية اهتمامها على فلسطينيين فرادى ، تم قتلهم بطرود حوت قنابل ، أو قنابل اعتيادية ، وحتى مسدسات كاتمة للصوت في : بيروت ، لوس أنجلوس ، روما ، ستوكهلم ، كوينهاجن ، باريس ، قبرص ، أوسلو ، وطرابلس الغرب . قام الموساد بالبحث عن الفلسطينيين المرتبطين بالعمليات الفدائية وتصفيتهم ، إذ اغتال ثلاثة قواد من منظمة التحرير في بيروت ، وهم . كمال ناصر ، ومحمد يوسف

باجار ، وكمال عدوان فى ١٠ أبريل ١٩٧٥ . وقد كان هدف العملية المسماة : « غضب الرب » قتل ألف فلسطينى قاترين على قيادة منظمة التحرير . كانت فكرة رئيسة الوزراء جولدا مائير هى أن قتل الزعماء سينهى الحركة ، إلا أن بدء الحرب اللبنانية فى ربيع ١٩٧٥ ، أدى للقيام بهجمات أخرى ، نتج عنها قتل ثلاث وعشرين ضحية جديدة .

وفى أبريل ١٩٧٤ ، هاجمت إسرائيل ست قرى لبنانية ، وفى مايو ، أسقطت قنابل على قرية كفير وقتل أربعة أفراد ، منهم امرأة وابنتها ذات السبعة أعوام . وبعد ١١ يوما ، قصفت الطائرات الإسرائيلية مخيم اللاجئين فى النبطية وعين الحلوة ، فمات ٥٠ وجرح ٢٠٠ وتدمير الموقع تماما ، وفى ١٩ من ذات الشهر ، قصفت بواخر إسرائيلية مخيم اللاجئين فى الرشيدية ، مما أدى لمقتل مدنيين . وفى الشهر اللاحق عادت الطائرات وضربت ٢ مخيمات للأمم المتحدة ، فقتلت ٧٣ وجرحت ١٥٩ . وفى يوليو ، قصفت البواخر الحربية الإسرائيلية صيدا وصور ، وأغرقت ٢١ قارب صيد . وقد استمرت عمليات قصف المدن اللبنانية والمخيمات حتى عام ١٩٧٥ .

بات الإرهاب الصهيونى مثالا يحتذى ، حين قام اليهودى المصرى ، إيلياهو بتزورى - وصاحبه إيلياهو حكيم باغتيال لورد مورين عام ١٩٤٤ . وبعد إعدامهما بأعوام ، اعترف ديفيد بن جوريون باحترامه لإخلاص الرجال الذين أعدموا فى القاهرة - لقتل الوزير البريطانى (وأول رئيس وزارة إسرائيلى عبر عن إعجابه بإبراهيم شتيرن ، الشاعر الذى كون مجموعة إرهابية حملت اسمه ، واعتبره « من أهم وأفضل الشخصيات فى عصرنا ») .

وقد نشر صحفىو العهد المخضرمون ، مثل : سى . إل . سولزيرجى (الذى عمل فى مجلة التايمز) ، وريلمان مورين (مع أسوشيتد بريس) ، وسمير سوفى ، كلمات الدفاع ، واتهام البريطانيين بالتحيز ، فتعاطف الناس فى أمريكا مع القتلة ، مع أن ونستون تشرشل تحدث عن « الجريمة البشعة » وقال بجرأة : « أحلامنا للصهيونية تنتهى برصاص القتلة . وسعينا للازدهار والسلام فى الشرق الأوسط يواجهه مجرمون كانت النازية ستفتخر بهم ، وربما حان الوقت للتفكير بجدية فى سياستنا تجاه إسرائيل » . وقد قال ليوكوهن ، الصهيونى المعروف : « كنا نفخر بالصهيونية الطاهرة ، الخلاقة ، غير الملطخة بالدماء . ماحدث مفجع للغاية » .

ولكن غضب تشرشل هداً ، وبقي شهر العسل الغربى مع الصهيونية . فقد كتب حاييم وايزمان إلى تشرشل : « نؤكد لك أن اليهود فى فلسطين يفعلون ما بوسعهم للقضاء على أى تطرف بيننا » . ويعد عامين من هذا التأكيد . طلبت مؤسسة التحقيق البريطانية الأمريكية من المؤسسة اليهودية : « السعى للتعاون مع السلطات للقضاء على الإرهاب والهجرة اللاشرعية ، والمحافظة على القانون والنظام الضروريين لمصلحة الجميع ، وذلك يشمل المهاجرين الشرعيين الجدد » .

ومن صيغ المعيار المزيج أسلوب التعامل مع الجاسوسية . بالنسبة لإسرائيل ، كانت الغاية يوماً تبرر الوسيلة . وهكذا كسرت المخابرات الإسرائيلية جميع قوانين المجتمع الدولى . فكانت عملية خطف أدولوف اتشمان من الأرجنتين المعروفة . ولكن لو حاول العرب خطف فرد ما ، من دولة أخرى ، لقامت الدنيا وما قعدت . وهذا بقى يوماً واقع التعامل مع إسرائيل . أحد الأمثلة المعروفة كان قضية لافون .

بعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ، تحسنت علاقات حكومة الرئيس عبد الناصر مع الولايات المتحدة ، وبدأ التبادل الثقافى والاقتصادى بينهما ، وودت مصر أن تسهم الولايات المتحدة فى إنشاء سد أسوان . وفى عام ١٩٥٤ ، بات السفير الأمريكى هنرى بايرون صديقاً لعبد الناصر ، وبدأ برنامج معونة بخمسين مليون دولار أمريكى لمصر . شعرت إسرائيل بالقلق وودت إنهاء علاقة مصر وأمريكا . وهكذا تم إرسال مجموعة إسرائيلية لمصر لتفجير مواقع أمريكية ، وخطف موظفين أمريكان ، لتدمير علاقات البلدين . وتمت كذلك عدة عمليات ضد القوات البريطانية لإبقائها فى قناة السويس . منها التفجيرات . فقد صنعت قنابل صغيرة وغُلِّت فى شكل كتب وأُرسلت إلى المكتبات الأمريكية فى الإسكندرية والقاهرة ، حيث وضع محلول حارق فى جلد سميك كثيف ، وبقي لعدة ساعات يحترق حتى يصل للقنبلة المختبئة تحت الجلد ويفجرها . وذات القنابل وضعت فى المسارح والمصالح الأمريكية .

وفى ديسمبر ، تم إلقاء القبض على طفلين يهوديين يحملان قنابل مشابهة وهم يدخلون مؤسسات أمريكية . وبعد اعترافهما ، ألقى القبض على ستة أفراد آخرين .

وتعاطف الإعلام الأمريكي مع المتآمرين . كل ما نشر دل على أن الموضوع مؤامرة
مصرية لإبعاد الولايات المتحدة عن إسرائيل . وفى عام ١٩٦٠ ، ظهرت فى إسرائيل
ورقة مهربة من مكاتب المخابرات كتبها موسى ديان من أجل إلقاء الاتهام لمحاولة
التخريب الفاشلة فى مصر عام ٥٤ على لافون . وقد أوضح التحقيق أن بيريز وديان
وإبراهيم جيفلى كانوا مسئولين عن هذه القضية . وعلى الرغم من محاولات التعطيم ،
اضطر بن جوريون لإقالة حكومته ١٩٦١ . ولكن ، وحتى أواخر عام ١٩٦٠ ، اعتبرت
مجلة تايمز الأمريكية القضية مجرد « مغامرة فاشلة عام ١٩٥٤ » . وبينما ازدادت
أواصر الصلة بين إسرائيل والولايات المتحدة ، لم يتم الاهتمام البتة بمحاولة إسرائيل
لتدمير علاقات العرب والولايات الأمريكية .

وحين قبضت المخابرات السورية على الجاسوس الإسرائيلي ألى كوهين (المدعو
كامل أمين فاباس) وتم إعدامه ، قام الإعلام وما قعد ، وتصدرت صورة الجسد
المشتوق غلاف مجلة نيويورك تايمز . كتابان شائعان ، رجلنا فى دمشق لآلى بن حنان ،
والمحاربون الصامتون (بقلم جوشوا تدمر) جعلوا من الجاسوس شهيدا ، منتقدين
المحاكمة لعدم حضور الصحافة . ولكن هذه الكتب ، التى دافعت عن الجاسوس ،
أثبتت فى الواقع إدانته . فكوهين كان قد قبض عليه فى مصر فى قضية لافون ، ولكنه
خرج بعد عامين ، وذهب بعد ذلك إلى الشام ، إذ كان يهوديا شرقيا يتحدث العربية،
مثله كمثل الكثيرين من الجواسيس الإسرائيليين .

وقد استطاع كوهين التسلل للطبقات المتنفذة فى دمشق ، بل وتعرف على
الجنرال أمين الحافظ الذى وصل للسلطة فى مارس ١٩٦٣ . وقد عرف كوهين أعداد
وأماكن طائرات ميج ، ودبابات ت - ٥٤ ، وغيرها من الأسلحة التى قدمها
الروس لسوريا ، وأوصل هذه المعلومات لإسرائيل التى استفادت منها عام ١٩٦٧ .
وإن لم يذكر الإعلام الأمريكى هذه الحقائق ، إلا أن الكاتب روستاين يقول :
« الجولان مسألة الآن ، حيث يصدأ حديد الدبابات الروسية ، ويات التحصينات
ترابا تذروه الرياح ، يؤمها السواح ، والكثير من هذا التوفيق يعود إلى بطل إسرائيل
الصامت ، ألى كوهين » .

فى خريف عام ١٩٧٢ ، هزت جميع عواصم أوروبا والشرق الأوسط والولايات
المتحدة ، مجموعة من الرسائل والطرود البريدية الملقمة . وقد بدأ الموضوع بقنبلة

قتلت مسئولاً إسرائيلياً في لندن ، ولأن هذه التفجيرات حدثت بعد مأساة ميونخ ، تصور العالم أن هذه الأفعال مسئولية مجموعة « أيلول الأسود » . وإن شككت الصحافة البريطانية في هذا الاتهام ، إذ لم يوجد أى دليل على تورط المجموعة ، ولكن الإعلام الأمريكى وجه لها الاتهام بلا تردد . وقد أرسلت طرود أخرى خلال الفترة ذاتها لنسوة يهوديات ، ولصحفيين ، ولسفارات إسرائيل ، وبوما تم تفكيكها قبل أن تنفجر . وقال المتحدث السفارة الإسرائيلية : « إن الرسائل تدل على أن الإرهابيين لا يعانون إسرائيل فقط ، بل اليهود فى جميع أرجاء العالم » . ولإثبات الاتهام ، أرسلت قنبلتان ، إحداهما إلى قائد صهيونى هو كولن زالير ، والأخرى لوالدة رافع أثقال عالمى ، وهو جون أوركن . وكلاهما يعيشان فى روديسيا . وكيف أمكن لمجموعات فلسطينية معرفة عناوين أفراد كهؤلاء ؟

وقد تم إرسال هذه الأظرف جميعاً فى صندوق واحد إلى الأمم المتحدة حين سعت الولايات الأمريكية وإسرائيل لإقناعها بسن قوانين جديدة معادية للإرهاب . وفى داخل الولايات المتحدة، سنت قوانين فرضت الرقابة على العرب .

ولم تكتشف حقيقة الأمر إلا لاحقاً . فقامت مجلة نيوز تايمز ٢٤ ، ١٢ ، ١٩٧٢ ، بنشر دراسة بعنوان : « كيف بدأت إسرائيل حملة الإرهاب البريدى ؟ » حيث ألقى اللوم على إسرائيل . الأوربيون لاحظوا باكراً أن مجموعة « أيلول الأسود » أعلنت مسئوليتها عن أفعالها ، ولكنها لم تفعل ذلك هذه المرة . وباستثناء القنبلة الأولى ، التى لم يلاحظها أحد ، وأخرى جرحت صاحبة متجر مجوهرات يهودية فى لندن ، وهى فيفيان بونس ، فإن جميع القنابل المرسلة بالطرود لم تؤذ أحداً ، وتم إيقافها قبل أن تنفجر . أما القنابل التى أرسلت للعرب الفلسطينيين ، فجميعها تفجرت . وكان أسلوبها بسيطاً وقاتلاً . كما قالت شرطة نيويورك بشأن القنابل المرسلة لليهود : « لم تنفجر حتى حين افترض أن يحدث ذلك » . الفلسطينيون أثبتوا عدة مرات قدرتهم على صناعة أسلحة أكثر تعقيداً بكثير .

وقد انتحر صانع القنبلة البريدية - الكيماوى السويدى ، مارتن اكبرج ، فى سن الواحد والأربعين فى سجن إنجليزى عام ١٩١٠ ، ولكن إرهابىي الصهاينة ، مجموعتى شتيرن وأرجون ، جلبوا هذا السلاح إلى الشرق الأوسط . وفى عام ١٩٤٧ ،

بدأت حملة طرود ملفمة ضد سياسيين بريطانيين بدا عدم تعاطفهم مع تكوين دولة عبرية في فلسطين ، وتحديث الإعلام الغربي عن حادثة قتل شقيق الضابط البريطاني ، روى فازن ، الذى برئ من تهمة قتل يهودى فى فلسطين ، وارتكبت هذه الجريمة بطرد بريدى ، حيث اعترفت عصابة شتيرن بإرساله .

ثم ظهر كتاب بقلم مرجرت ترومان ، بنت الرئيس الأمريكى ، ادعت فيه أن رسالة ملفمة أرسلت لقتل والدها عام ١٩٤٧ . وانتقدت الصحافة الأمريكية الكاتبة ، وقالت إحدى الصحف : إن كتابها « يعادى السامية » . وكتب أحد زعماء مجموعة شتيرن وهو بنجامين جيتز ، رسالة إلى نيويورك تايمز مؤكدا أن المجموعة لم تخطط لاغتيال رئيس الجمهورية . وقد أرسل الطرد الملفم فى الواقع فى فترة حين حاولت الإدارة الأمريكية طلب الاعتدال من الصهاينة وتفهم أوضاع الفلسطينيين . وباستثناء عدم وجود أى دافع للفتاة لاختلاق قصة كهذه ، فإن استخدام عصابات شتيرن لهذا الأسلوب سابقا يؤكد على إمكانية صحة هذا الاتهام .

وقد تم استخدام الصناديق الملفمة بنجاح من قبل الإسرائيليين فى حملة ضد علماء ألمان عملوا لتطوير برامج الصواريخ المصرية عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ . انفجرت قنبلة فى علبة وقتلت العالم مايكل كورى ومعه خمسة ، وتمت محاولة قتل مشابهة لـ د . هانس كلاينوتكر . قنبلة أخرى أدت لإصابة سكرتير ألمانى ، وهددت بنت عالم آخر بذات المصير . وسرعان ما فر العلماء الذين جاءوا لتطوير نظام صاروخى فى مصر . وهذه القصة مذكورة فى كتاب حملة جاسوسية ، بقلم الجاسوس اليهودى ولفجانج لوتس ، الذى تفاخر بأنه يستطيع « دفع أى عالم للفرار عن طريق تهديده برسائل » . وقد اضطر مسئول أمنى إسرائيلى كبير ، وهو أوزير هاليرن ، للاستقالة نتيجة لهذه القضية ، مما يدل على تورط إسرائيل فيها .

وقد تفوق الإسرائيليون كذلك فى صناعة أنواع أخرى من القنابل . قبل حرب ١٩٦٧ ، تم قتل ضابط استخبارات فى غزة ، وكذلك مسئول أمنى مصرى فى الأردن ، عن طريق كتب حوت قنابل . أما المؤلف الفلسطينى ، غسان كنفانى ، فانفجرت قنبلة فى سيارته وقتلته . وتم إرسال عدد من الرسائل الملفمة فى العام ذاته فتسببت فى قتل ١٢ قائدا فلسطينيا معروفين فى بيروت .

وبعد موت كنفانى ، كتبت جريدة معاريف الإسرائيلية : « لم تنف السلطات الإسرائيلية ، أو تؤكد دورها فى الاغتيال » . وبعد ١١ يوما من هذه الأحداث ، انفجرت قنبلة فى يد أنيس صباح ، وهو مسئول عن مؤسسة البحث الفلسطينى فى بيروت ، أدت لإصابته بعمى جزئى ، وخسارة ثلاثة من أصابعه . وخلال الفترة ذاتها ، انفجرت قنابل مشابهة فى أيدي مدير بنك فى بيروت ، وضباط تابعون لمجموعة فتح . فى مناسبات معدودة ، وبكلمات مقتضبة فى الصفحات الخلفية ، ذكرت نيويورك تايمز بعض هذه الأحداث .

من الضرورى ملاحظة أن إرهابىي أمس باتوا رؤساء وزراء خارجية ، وقواد جيوش فى إسرائيل اليوم ، وأن عصابات شتيرن وهاجانا هى الجيوش المنتصرة الساعة . وإن استخدم طرفا الصراع الطرود الملقمة ، وغيرها من أنواع الإرهاب ، فإن إسرائيل هى التى جلبت هذه الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، ونجحت فى استخدام الإعلام للتعمية على حقائق الدور الذى لعبته . فالإعلام الذى اتهم الفلسطينيين فقط بالإرهاب ، أعطى إسرائيل الأعذار لاستخدام القوة ضدهم ، بتشجيع من رؤساء مثل : فورد ونيكسون وكارتر .

تم ربط الفلسطينيين بالإرهاب حين حدثت عملية اختطاف وقتل الرياضيين الإسرائيليين فى ميونخ . فى صباح ٥ سبتمبر ١٩٧٥ قام الفلسطينيون باختراق القرية الدولية فى ميونخ ، ودخلوا إلى مساكن اللاعبين الإسرائيليين وقتلوا اثنين منهم ، وأخذوا تسع رهائن . طلب الخاطفون تحرير مائتين من رفاقهم القابعين فى المعتقلات الإسرائيلية ، وطائرة تقلهم إلى عاصمة عربية لم يحدوها مسبقا . وقد رفضت إسرائيل التفاوض مع الخاطفين ، ولكن السلطات الألمانية حاولت حل القضية ، وعرضت دفع ثروة طائلة ، وحتى استبدال الأسرى بشخصيات ألمانية مهمة .

وبعد تحديد الوقت النهائى ثلاث مرات ، أقلت طائرة العرب وأسراهم مسافة خمسة عشر ميل إلى مطار فيورستنتلدبراك ، حيث أبلغوهم بإمكانية ركوب طائرة إلى مطار عربى . وقد انتظر خمسة من القناصة الألمان الفرصة لقتل الفلسطينيين . خرج رجلان من الطائرة لفحص طائرة البوينج التى ستقلهم ، ثم أطلق الألمان النار ، واحترقت الطائرة . أعلن متحدث ألمانى أن المختطفين بخير ، وبعد ذلك بثلاث ساعات اعترفت لجنة الأولياد أنهم قد ماتوا .

خلال التحقيق ، اعترف المسئول مانفرد شوايبر أنه فقد السيطرة على الموقف خلال إطلاق النار . أعلن البوليس مبدئيا أن الفدائيين أطلقوا النار أولا . ولكن معظم شهود العيان اتفقوا على أن القناصة بدأوا بإطلاق النار . وحتى اليوم ، لم يتم تحديد مسئولية جريمة قتل الأسرى الإسرائيليين . هل ماتوا حين تم تفجير الطائرة ، أم قبل ذلك مع بدء إطلاق النار ؟

ولم يتم حتى الساعة التأكد من أن معركة المطار كانت ضرورية . ضابط البوليس شوايبر ، والإعلام الأمريكي ، أكدا على أن الغرب كانوا سيقتلون الأسرى على أى حال . ولكن عناية الفلسطينيين بأسراهم فى عمليات الاختطاف الأخرى لطائرات أمريكية وأوربية معروفة . إنهم لا يقتلون المخطوفين عادة .

وبعد خمسة شهور ونصف شهر ، فى ٢١ فبراير ١٩٧٣ ، أسقطت إسرائيل طائرة ليبية من طراز بوينج ٧٢٧ تقل ١١٣ مدنيا فوق المنطقة المحتلة فى سيناء . وقد فقدت الطائرة طريقها فى عاصفة ترابية شديدة ، حين واجهتها طائرات إسرائيلية توهمها الطيار طائرات رفيقة ، ستساعده على العودة إلى القاهرة . وقد استدارت الطائرة وبدأت تعود إلى القاهرة بالفعل حين تم إسقاطها .

والقصة الإسرائيلية كانت أن الطائرة اقتحمت مناطق إسرائيلية ، وتم إنذارها ، وتجاهل الطيار الإنذار ، وأن الطائرة لم تسقط بل ارتطمت بالأرض أثناء هبوطها . وقد قال وزير الدفاع موشى ديان : إن الطائرة تم تحذيرها لمدة خمس عشرة دقيقة ، (وكان ذلك الوقت كافيا ، فى الواقع ، لعبور الطائرة المناطق الإسرائيلية ، والوصول إلى البحر المتوسط) ، ولكن الإعلام الأمريكى تقبل بلا تردد وجهة النظر الإسرائيلية .

ولو كان الإعلام قد درس القضية بعمق ، لتذكر أن إسرائيل نفسها كانت قد احتجت حين فقدت إحدى طائراتها دربها فى بلغاريا ، وأسقطتها الطائرات البلغارية ، ومات ٥٨ شخصا . وحين رفعت القضية إلى محكمة العدل الدولية ، قامت إسرائيل بدفاع ناجح .

لا بد لكل من يتدخل فى درب طائرة مدنية من أن يأمرها بالهبوط فى أقرب مطار ، وألا يزيد الأوضاع سوءا عن طريق استخدام أسلحة خطيرة قد

تؤدي لوفاة المدنيين . وقد اعترفت بلغاريا باستخدام السلاح لإسقاط الطائرة وتدميرها . حكومة إسرائيل تؤكد عدم وجود أى قانون يولى يسمح بهذه الدرجة من العنف غير الضرورى .

القاعدة العامة هى الإحاطة بالطائرة ودفعها فى الاتجاه السليم . وقد كانت البوينج الليبية تبتعد عن منطقة الخطر حين تم تدميرها .

الإعلام الأمريكى فى تعامله مع هذه القضية رفض استخدام كلمة إسقاط ، وتم خلق الانطباع بأن الطائرة تحطمت بعد أن طلبت القوات الإسرائيلية منها الهبوط . وهكذا بات الطيار الفرنسى المعار إلى ليبيا متهماً ، بسبب رفضه القبول بالإنذار الإسرائيلى . الإعلام الغربى وضع وجهات نظر الدول العربية المعنية ، مصر وليبيا فى الصفحات الأخيرة ، بينما وضعت أقوال إسرائيل فى الصفحات الأولى . عادة شاهد الجمهور صور المضيفين ، ولكن لم توجد أى صور لخلق التعاطف مع الضحايا هذه المرة . كل ما قيل دل على التعاطف مع إسرائيل فقط .

حين قتل الرياضيون الإسرائيليون ، كتبت كلمات الشجب بالحرف الكبير . كتب مثلاً إن « رئاسة الأمم المتحدة تشجب الاختطاف لأنه عمل إرهابى » ولكن حين شجب سكرتير الأمم المتحدة كورت فالدهايم إسقاط الطائرة ، وعبر عن أساه وتعازيه للضحايا ، كتب الخبر فى أول صفحة لجريدة نيويورك تايمز ، وبحرف صغير : « فالدهايم (بنون نكر لوظيفته) يعبر عن دهشته » . أما السطر الذى عبر عن قلق إسرائيل « إن الطائرة كانت تنوى إطلاق الصواريخ على المدن الإسرائيلية » ، فقد وضع فى موضع واضح ، وكان العذر مقبولا . والذكر الوحيد للعاصفة الترابية كان فى سياق بحث إسرائيل عن الناجين .

الصفحة الأولى من الجريدة اليومية فى نيويورك قالت : « إسرائيل تتسبب فى سقوط طائرة عربية » . كان لابد للقارئ من الذهاب للصفحة التالية لمعرفة أنها كانت طائرة مدنية .

وإن كانت قصة التايمز قد ذكرت أن الطيار أعلن فهمه للتحذيرات الإسرائيلية ، إلا أن نيويورك بوست ذكرت أخباراً غير صادقة مثل قول الطيار : « لا أستطيع الاستماع لكم لأن المنطقة ليست ملكاً لكم » . قيل أيضاً إن ستائر الطائرة كانت

مقفلة، مما منع طيران إسرائيل من معرفة أنها كانت طائرة مدنية . وهكذا تم تقديم معلومات خاطئة بشأن قضية الطائرة .

مجلة التايمز عادة تُقيم المواقف بسرعة ، ولكنها هذه المرة صممت بعد سقوط الطائرة . وأخيرا ، وفي اليوم الثالث ، تحدثت عن « الخطأ المأساوي » و « فعل قاس » وكأنها تعاتب طفلا على تناول الحلوى . أما منذ ستة أشهر ، حين حدثت عملية ميونخ ، فتحدثت المجلة عن « القتل العمد مع سبق الإصرار ، الذي ارتكبه القنلة العرب ، وموت الأبرياء » . وقد اعترفت المجلة بأن شرائط حوار الطيارين مع مطار القاهرة تدل على « وجود بعض الأدلة » على « عدم إبراك الطيار بأنه سيتعرض لهجوم إن لم يهبط » . بدا وكأن هم الإعلام الأمريكي الأساسى هو تأثير الحادث على الرأى العام تجاه إسرائيل.

ومع أن الطائرة أسقطت على أرض مصرية احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، إلا أن الإعلام الأمريكى تجاهل تماما هذه الحقيقة ، وأكد على أن الطائرة أسقطت على أرض إسرائيلية .

والواقع هو أن الإعلام الإسرائيلى كان أكثر موضوعية من الأمريكى فى التعامل مع القضية . فقد لاحظ صحفي إسرائيلى أن إسقاط الطائرة بقى سرا لثلاث أو أربع ساعات قبل إذاعة أى خبر عنها ، مما خلق منذ البداية عدة أسئلة . فهذه كانت أول مرة فى تاريخ الطيران المدنى حين سقطت طائرة فى منطقة يمكن الوصول إليها ، ومع ذلك لم تلتقط أى صور لحطامها . رفضت السلطات الإسرائيلية طلبات الصحفيين لزيارة موقع الطائرة . ولم يتحدث أى مسئول من وزارة الدفاع إلا بعد أربع وعشرين ساعة حين تساعل الصحفيون « عما حدث ، وما تم إخفاؤه من الحقائق خلال هذا الوقت » .

وبينما لم يهتم الإعلام الأمريكى بمتابعة ما حدث بعد ذلك بشأن الطائرة الليبية ، فإن هذا الإعلام تابع مراسم دفن الرياضيين الإسرائيليين عن كثب . وبقيت صور حزن الأقارب والأصحاب لمدة الأسبوع التالى تتربع الصفحات الأولى للجرائد الأمريكية . ومع أن واحداً من الضحايا فى كلا الحادثين كان أمريكيا ، إلا أن الأمريكى الذى توفى فى ميونخ (وكان أمريكيا هجر الولايات إلى إسرائيل) ، لقى

من حفاوة الإعلام الكثير . بل إن محافظ ولاية ميزوري التى ولد فيها القتل طلب إنزال العلم ، كما يحدث فى أحوال الحداد الرسمى . أما الأمريكى الذى كان فى الطائرة الليبية ، وبلغ من العمر ٦٢ ، فكل ما كتب عنه لم يتجاوز ٦ أسطر . ولم يعلن أى أحد الحداد بالطبع . . ومع أن قتل الرياضيين لم تحدد مسئوليته ، إلا أن الإعلام الأمريكى تجاهل تماما هذه القضية . أما بشأن سقوط الطائرة الليبية ، فكل عذر يمكن استعماله تم استخدامه ، سواء من قبل الإعلام الأمريكى ، أو عن طريق نقل وجهة النظر الإسرائيلية ، وإجراء لقاءات مع الطيارين الذين تواجدوا فى الموقع .

وقد بقى ازواج المعايير لصالح إسرائيل فى الإعلام الأمريكى حتى الساعة . ولم يستنكره سوى قلة . كان روبرت باير بونت ، المذيع فى سى بى إس ، من تلك القلة التى ذكرت أن الولايات المتحدة ما عادت عادلة فى التعامل ، حيث قال :

إن هجوم إسرائيل على مخيم فلسطينى فى لبنان أدى لمقتل ٣٧ شخصا ، فى فبراير عام ١٩٧٣ ، ولم يؤد لاحتجاج الولايات المتحدة . ولم يتحدث أى مسئول أمريكى بشأن إمكانية التروى قبل إرسال المزيد من الطائرات التى ضربت الطائرة الليبية . بل إن الرئيس نيكسون وعد جولدا مائير بإرسال المزيد من هذه الطائرات قريبا . أما حين حدثت مأساة الرياضيين الإسرائيليين فى ميونخ ، فإن الولايات المتحدة بأسرها ، بدءا بالرئيس ، عبرت عن سخطها ، وأمر الرئيس باتخاذ قرارات فعالة لمنع تكرار مثل هذا الهجوم على إسرائيل ثانية . وقد تعود الأمريكان على اعتبار الإسرائيليين أبطالاً ، والعرب أشرا ، حتى باتت ردود الأفعال عاطفية ، لا عقلانية . والواقع هو أن كلا الطرفين مارس الإرهاب ، وعانى كلاهما الكثير . لإسرائيل قوة إعلامية هائلة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى ستة ملايين يهودى . أما العرب فعددهم حوالى المليون ولا يزالون غير منظمين . وربما إن انتظموا سيكون لهم تأثير . وأتمنى أن يحاول سكان أمريكا رؤية قضايا الشرق الأوسط بشكل أكثر موضوعية .

وما إن أذيعت هذه الكلمات ، حتى ارتفعت أصوات الربود عليها . اتهم بايربونت فوراً بمعاداة السامية ، وطلب من سى بى إس طرده من وظيفته ، أو مراقبة ما يتفوه به . وقد قال المذيع ما يلي رداً على ما تعرض له من تهجم : « الكثير من النقد كان عاطفياً ، لدرجة الجنون ، وكان ذلك متوقفاً . ولكن ما أثار تعجبى كان قدرة النقاد على التنظيم . فخلال ساعات اتصل أفراد من ولايات أخرى ، لم تسمع البرنامج ، للاحتجاج . الواقع أن سيل القذح كان مخيفاً » .

تعامل الإعلام مع قضية مالوت دل على أن طلب باير بونت للإنصاف لم يتحقق . ففي ١٥ مايو ١٩٧٤ تسلل ثلاثة فدائيين من الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين عبر الحدود الإسرائيلية ، وفى الساعة السابعة صباحاً احتلوا مدرسة مالوت التى حوت حوالى ٩٠ مراهقاً ينتمون لمؤسسة ناهال شبه العسكرية . وقد فر ١٥ منهم أثناء محاولة الاقتحام ، وسمح لاثنتين بالمغادرة بسبب ظروف صحية . وقد بعث المحتلون باثنتين أخريين مع قائمة حوت أسماء ٢٦ أسيراً فى سجون إسرائيلية . وقد طلبوا أن يتوسط سفيراً فرنسياً ورومانياً فى الموضوع . طلبوا نقل السجناء ، وبينهم ٢٣ فلسطينياً وإسرائيلياً ، ويابانى ، إلى دمشق . وما إن يتم التأكد من وصول السجناء إلى العاصمة السورية ، حتى تقدم كلمة سر فى باريس وبوخارست للسفيرين ، وما إن تقدم للخاطفين ، حتى يتم إطلاق سراح السجناء بعد مفاوضات لضمان انسحاب الخاطفين بأمان . ولكن « إن لم تأت كلمة السر الساعة السادسة . فإن الخاطفين ليسوا مسئولين عما سيحدث للأسرى » .

وبينما دارت المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل ، قامت القوة الإسرائيلية بهجوم على المدرسة قبل نهاية الوقت المحدد بنصف ساعة ، وخلال هذه المعركة قتل الفدائيون ، ومعهم ١٦ من الرهائن ، ضحايا قنابل الفدائيين أو رصاص الإسرائيليين . وعلى الرغم من غموض ما حدث خلال الدقائق الأخيرة ، إلا أن الإعلام الأمريكى تعاطف تماماً مع إسرائيل . السفير الفرنسى هو الذى شكك فى القصة التى شاعت فى الإعلام الغربى .

فقد بقى السفير جين هرلى ينتظر اتصال الإسرائيليين به . فى الساعة ٢ ، أبلغته إسرائيل بأنه لن يعرف الكلمة التى تسمح له بالتفاوض بعد وصول المساجين

إلى دمشق . وفي الساعة ٢٢ : ٢ طلب السفير الإنن للذهاب إلى مالوت ، ولم يأت
الجواب . وحين باتت الساعة ٤٥ : ٤ أدرك استحالة وصول السجتاء إلى دمشق في
الوقت المتبقى ، فقرر الذهاب بنفسه بهيلكويتر إلى مالوت ليطلب من الفلسطينيين
تقديم المزيد من الوقت . وحين وصل ، سأل موظف إسرائيلى إن كان يعرف كلمة
السر ، فأجاب بالنفى ، ثم طلب مقابلة أحد المسئولين : « راجيا أن أستطيع التفاهم
مع الفلسطينيين ، أو تمديد الوقت على الأقل » . ولكن أبلغوه بأن فى ذلك « خطورة » .
وبعد بضع دقائق ، فى الخامسة والنصف ، سمعت أصوات الرصاص والقنابل . ثم
أبلغوه بأن الموضوع انتهى ، وطلبوا منه العودة إلى تل أبيب . فقد اقتحمت القوات
الإسرائيلية المبنى . وقد قال هرلى الدبلوماسى : « أعرف أن إسرائيل لا توافق على
شروط الإرهابيين ، وإن تساعلت : ألم يمكن فعل أى شىء أخرب بين الخامسة
والسادسة ؟ » أبلغه الموظفون الإسرائيليون ، كما نكرت جريدة جروسلام بوست ،
بأنه يحتاج لكلمة السر ، ولكن كان هناك « سوء فهم » لأنه لم يكن ليعرف هذه الكلمة
« قبل وصول المساجين إلى دمشق » . وقد أكد وزير الإعلام الإسرائيلى آنذاك ،
شمعون بيريز ، أن الفدائيين رفضوا محادثة أى فرد بدون كلمة السر .

حسب ما قالته جريدة هآرتز فى ١٧ مايو ، قررت الحكومة باكرا فى صباح
الخميس رفض شروط الخاطفين . ونظرا لإدراكهم لتعاطف الإعلام الغربى معهم ،
قرروا المخاطرة . خططوا لعملية الإنقاذ . وقد كان موقع إسرائيل الدولى ضعيفا .
وكان للعملية ، سواء أتمت الموافقة أم لم تتم ، فوائد كثيرة . وكما حدث سابقا فى
ميونخ ، بررت إسرائيل قرار اقتحام المبنى على أساس أن الفلسطينيين كانوا
سيقتلون الأسرى على كل حال حين ترفض مطالبهم . ولكن مسئولا للمنظمة
الفلسطينية ، وهو ياسر عبد ربه ، أكد أن الأوامر للخاطفين كانت بتمديد الوقت فى
حال عدم الوصول لاتفاق ، ببنى التخطيط على تجنب إيذاء الرهائن . الخطة كانت
التفاوض بنصف الرهائن لإخراج المساجين ، وبالنصف الآخر من أجل إخراج
الفلسطينيين من إسرائيل . وقد ادعى الفلسطينيون بأن قرار الهجوم على المدرسة ،
بغض النظر عما سيحدث ، اتخذ باكرا . بل « تم إبلاغ السفيرين الرومانى والفرنسى
بعدم وجود طائرة تقل المساجين إلى دمشق » . أما الحكومة الرومانية ، فتم إبلاغها
قبل الهجوم بنصف ساعة بنية اقتحام المدرسة .

وقد اعترفت الجبهة الشعبية بمسئوليتها عن الحادث ، ولكن أحد قياداتها ، نايف حواتمة ، تحدى إسرائيل لإثبات من كان مسئولا عن العنف الذي حدث ، فى مجلة لندن تايمز . لم تتجاوب إسرائيل مع التحدى ، وتجاهله الإعلام أيضا .

ولو كان التحقيق بهذا الشأن قد تم بشكل موضوعى ، لاكتشف الباحث أن قرية مالوت تم اختيارها فى توقيت الاحتفال السادس والعشرين لقيام إسرائيل . فهذه القرية كانت عربية ، ويفترض أن تعاد للعرب حسب قرار التقسيم الذى اتخذته الأمم المتحدة ، ولكن إسرائيل احتلتها قبل ١٥ مايو ، وضمتها إليها . هرب سكانها أثناء القتال ، ومنعت عويتهم لاحقا . وتم مسلواة القرية بالأرض ، وعلى أنقاضها أنشئت مالوت .

لم يهتم الإعلام الغربى بوجهة النظر الفلسطينية البتة . وبالصيغة ، فى مساء ١٤ مايو ، بينما تم الهجوم على مالوت ، كنت فى بيروت أتحدث مع الفلسطينى - أبو نضال - (والاسم مصطفى) وهو قائد لجموعة فلسطينية يدعمها العراق . فقال لى ما يلى بصراحة وقسوة :

نؤمن بأن فلسطين أرضنا ، وأن طريقنا لها هو القوة . أنا فلسطينى ، ولا يعنينى رأى العام العالمى كثيرا . فالعالم ، وحتى أمريكا ، لم تفعل أى شىء من أجل قضيتنا خلال ستة وعشرين عاما مضت . العالم يحترم من يملك القوة للدفاع عن حقه : أثبتنا جديتنا حين هاجمنا كريت شامون ، وسنهاجم ثانية .

ما تحدث عنه فى السطر الأخير هو هجوم منذ ستة أسابيع على قرية حدودية نتج عنه قتل ١٨ إسرائيليا ، وجرح ١٦ ، ولكن ثلاثة من رفاقه فقدوا حياتهم ، وأكبرهم سنا ما بلغ العشرين .

وقد ذهب صباح اليوم التالى إلى لندن ، وأذاعت محطة الـ بى بى سى الشريط الذى سجلته . ولكن فى نيويورك ، بعد ٤٨ ساعة ، كان الإعلام صامتا كالعادة . لا أحد واجه الدعاية الصهيونية التى أكدت أن الهدف الفلسطينى الوحيد كان قتل الأبرياء وممارسة الإرهاب بلا سبب . بل إن بعض اليهود النين عملوا بالمحاماة ربطوا أنفسهم بالسلاسل أمام الأمم المتحدة للاحتجاج . وطلب السياسيون من الأمم

المتحدة التعامل بقسوة مع الدول العربية الراحية للإرهاب . قدم صحفيون مثل : ماكس ليرنر وبيتر هامل فى نيويورك بوست وجهة نظر إسرائيل فحسب . كتب هامل مثلاً : « إن العرب الذين كانوا يتضورون جوعاً وعطشاً قبل مجيء اليهود وتكون إسرائيل ، باتوا يقتلون الأطفال . وهامو مصير إسرائيل يبقى بيد هنرى كسينجر الذى تتعاطف زوجته مع الفلسطينيين » .

وقد ادعت جولدا مائير فى إسرائيل أن حكومتها كانت مستعدة للموافقة على شروط الفلسطينيين « ولكن الوقت لم يكف » . ثم استطردت غاضبة : « وستقطع إسرائيل أى يد تؤذى طفلاً أو رجلاً فى قرية إسرائيلية » . ثم تعرضت حكومة جولدا مائير لحملة انتقادات قاسية حين ظهر المزيد من الحقائق حتى اضطرت للاستقالة ، وحلت مكانها حكومة إسحاق رابين .

أحد تلاميذ مالوت المحررين ، أرشيل لاجزيل ، أبلغ الصحفيين أن الفلسطينيين سمحوا لهم « بالاستماع لنشرات الأخبار بالعبرية ، وتناول الطعام والشراب » . تلميذ آخر ، وهو تامارا ين هاموا ، قال : إن أحد الخاطفين هداً روعه « لا تقلق ، ستحرر إسرائيل المساجين ، وستترككم تذهبون بلا أى أذى » . وهذه النصوص ظهرت فى إسرائيل فقط ، ولم يذكرها الإعلام الغربى البتة .

وقد اتهم بعض الإسرائيليين الحكومة بالتخلى عنهم لأن غالبية سكان مالوت من يهود المغرب .

وخلال أربع وعشرين ساعة ، هاجمت الطائرات الإسرائيلية جنوب لبنان للانتقام ، وتسببت فى مقتل ٥٢ شخصاً ، فى مخيم أم الحلوة وبور النراجفة ، وفى اليوم التالى تم تدمير مخيم للاجئين فى النبطية .

النص التالى كتبه بول مارتن ، ونشر فى لندن تايمز فى ١٨ مايو :

عشر الساعون للتفتيش عن أحياء على جثة شابة ومعها أربعة أطفال . لم يمكن التعرف على الجثة بعد ما لحق بها من تشويه . ولكن أحد اللاجئين قال إنه يعتقد أن زوجها توفى فى غارات اليوم السابق . وكان المنزل واحداً بين ستين ، فى شارع المخيم الرئيسى ، دمرتها إسرائيل تماماً . نصف

المخيم ، الذى يحوى ٥٠٠٠ فرد ، دمر ، وكان الضحايا أفرادا لا علاقة لهم بالأعمال الفدائية . أحصيت بنفسى ٤٠ منزلا مدمرة تماما .

وقد قتل ثمانية أطفال بين سن ٨ - ١٢ حين دمرت مدرسة المخيم . أخذت جثثهم إلى مستشفى صيدون لعدم إمكانية العثور على الآباء خلال الفوضى السارية . المتوقع أن تزداد أعداد الضحايا بسرعة . القتلى حاليا ٢٥ ، والجرحى ٦٠ .

وقد اتجه الناس للمقابر لدفن الضحايا ، ولم يبدُ عليهم سوى الذهول والخوف . وكانت النبطية الأكثر تعرضا للغارات . فمساء البارحة بدأ القصف الرابعة مساء ، حين اكتظت الشوارع بالناس . ثم حين بدأ البحث عن الضحايا ، تم الهجوم الثانى الساعة الخامسة . وأخيرا تم الهجوم الأخير فى الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة .

وحين زرت النبطية ، كان آخر اللاجئين يهرب حاملا معه الضروريات فحسب . قال رجل عجوز : « هذه ثالث مرة نهجر فيها هذه المنطقة بسبب القصف الإسرائيلى . كل مرة نضطر للبناء من جديد . وهذه المرة سنعود ثانية أيضا ، بعد أسبوع أو شهر » .

يوجد رجال مسلحون فى المخيمات ، ولكن لا دليل على وجود أية قيادات عسكرية فى النبطية . الواضح هو أن الضحايا كانوا من المدنيين . لم تتأثر تنظيمات فدائية البتة ، وقد يستفيدون مما حدث .

مثل هذه الأحداث تؤدى للتطرف . تجمع حولى عدد من اللاجئين حين عرفوا أنى صحفى بريطانى ، وقال أحدهم ، بعد أن فقد أحد أقاربه : « نلعنكم ، نلعن بلفور ، وأمريكا ، نلعنكم جميعا » .

تقرير الأمم المتحدة ذكر أن ٦٠ ٪ من المخيم تم تدميره تماما ، ٤٠ ٪ دمر جزئيا . لا يوجد سقف لأى منزل . ومع ذلك ، فإن هذه الأعمال الهمجية ضد مدنيين لا تذكر إلا فى الصفحات الأخيرة ، والغذر ، وهو وجود فدائيين فى المخيم ، تم تقبله بسهولة

من قبل الصحفيين ذاتهم الذين انتقدوا بشدة « الأساليب الجبانة » التي استخدمت في ميونخ ومالوت . لم ينتقد أى صحفي ألعاب الأطفال التي ما إن يلمسها الطفل حتى تنفجر . اعتبرت الصحافة الأمريكية اقتحام القوات الإسرائيلية للقرى الآمنة والمخيمات الفقيرة ، واعتقال الأفراد وقتل الفلاحين إنذارا للفلسطينيين للتخلص ممن بينهم من حملة السلاح .

رفض الإعلام تسمية الأفعال الإسرائيلية بالإرهاب ، ولكنه قارنها بما حدث في مالوت . النيويورك تايمز رجت كلا الطرفين تهمة الموقف .

غضب إسرائيل المفهوم وتصميمها على مقاومة أعمال الإرهاب التي تتسبب في قتل ٤٩ شخصا جلهم من الأطفال ، خلال عشرة أسابيع ، لا تبرر الإرهاب الجوى المضاد ، خصوصا بعد أن ثبت من تجارب كثيرة سابقة أن هذه الأساليب غير ناجحة . يؤسفنا أن رد الفعل الإسرائيلي سيفيد المتطرفين الفلسطينيين .

اهتمام التايمز الوحيد هو أن الهجمة الإسرائيلية لن تحقق أهدافها ..

وإن كان ما حل بلبنان من دمار معروف الآن ، وإن بقى النقاش حول الأسباب ، فإن تدمير القنيطرة ، عاصمة الجولان السورية ، يبقى واحدا من أسرار العالم . وقد تقبل الرئيس السوري عروض هنرى كيسنجر لإعادة القنيطرة . أما الجزء الجنوبي من المدينة ، والتلال المحيطة بها من ثلاثة جوانب ، والأراضي المزروعة شرقا وغربا وجنوبا ، فلا تزال في يد إسرائيل ، من أجل حماية المستوطنات في واد حوله ثلاث مستوطنات إسرائيلية أنشئت منذ ١٩٦٧ على الرغم من قرارات الأمم المتحدة . وإن لم توجد هذه المستوطنات ، لاستطاع كيسنجر الوصول لاتفاق مرضٍ للطرفين . ولكن ، وكما افتخر أحد المستوطنين : « وجودنا يثبت أهمية المستوطنات لإسرائيل ، وحيث نوجد سنبقى » .

وحيث عاد السوريون في يونيو ١٩٧٣ ، استقبلتهم كلمات بالعبرية على خائط شبه مهدم : « تريرون القنيطرة ، خنوها مهدمة » . وتم تنفيذ هذا الوعيد .

وقد زار كورت فالدهايم ، سكرتير الأمم المتحدة ، عاصمة الجولان ، وقال : « أذهلني ما شاهدت في القنيطرة » . أما السفير السوفيتي في سوريا ، فذكرته القنيطرة بمدينة ستلينجراد بعد نهاية الحرب العالمية . وتذكر القس جورج محصل ، حين زار المدينة ، ما حل بهيروشيما . وقد اتهم أب الكنيسة الأرثوذكسية في القنيطرة إسرائيل بمسح ٨٠ ٪ من المدينة بالبلدوزات وينهب الكنائس المسيحية وتخريب المقابر قبل انسحابهم في ٢٦ يونيو : « حتى المقابر فتحت بالرصاص ، وشوهت الجثث من أجل أسنان ذهبية . ولم ترد إلى قبورها » . وإن أمكن القول أن اتهامات القسيس مبالغ فيها ، إلا أن إيرين بيسون ، وهي تكتب في الجارديان ، كانت أكثر صدقا في وصف التدمير الإسرائيلي قبل الرحيل . وهذه كلمات مستقاة من أحد القلة التي تعد على الأصابع ، ممن بقوا في المدينة التي احتلتها إسرائيل قبل ١٩٦٧ .

جلبوا حوالي ١١ عربة بولدوزر إلى المدينة . وجلبوا قوات إضافية لصعوبة العمل . المنازل الصغيرة تكسرت بضرية واحدة ، أما المباني الضخمة المكونة من عدة طوابق ، فتطلبت جهودا أكثر .

وقد عملوا من الفجر حتى المساء لعدة أيام ، ولم يبق من المدينة سوى عشرة منازل كان سكانها من العرب الذين لم يفروا . تركوا كذلك بعض الكنائس بعد أن أفرغوها من محتوياتها . أما المياه الجوفية فألقوا عليها النفط ، حتى لا يمكن استخدامها .

وقد زرت هذه المدينة المدمرة بعد عام . كانت آثار الدمار واضحة في كل مكان . بعض المنازل كانت قد ضربت عدة مرات بالبلدوزر حتى تهافت جدرانها . أسقف العمارات كانت منهارة على الأرض . لم أر أبدا مثل هذا الدمار . دلائل الحياة الوحيدة كانت القطة وبعض الكلاب الصغيرة التي عاشت في ظلال ما كان مستشفى . وقد كان الطقس باردا في مساء مايو ، إلا أن البرد ما عايل جمود المكان ، الذي ظل عليه من الأعلى جبل حرمان ، حيث دارت معارك طاحنة بين الطيران الإسرائيلي والسوري . وقد حُرست قوى الأمم المتحدة النمساوية المدينة .

الإعلام الغربي لم يتحدث البتة عن مأساة القنيطرة .

الإحباط واليأس يخلق المزيد من الإحباط واليأس . ما عاناه الفلسطينيون في الأردن عام ١٩٧٠ أدى لزيادة العنف وتوسع أهدافه . فقد ظهرت مجموعات عنيفة ، مثل أيلول الأسود ، وارتبطت بمجموعات الجيش الأحمر الياباني ، التي تعاونت مع الفلسطينيين لأن الأخيرين حقاً أخلاقياً .

الأفعال الإرهابية نبهت الناس إلى أن الفلسطينيين لم يَخْتَفُوا . كما قال د . المر برجر : أفعال الفلسطينيين تثير الشارع العربي الذي يعرف أن أمريكا سميت الفدائيين « خارجين على القانون » . وفعلت كل ما بوسعها لإخراجهم عن القانون . فلا توجد دولة كسرت القوانين الدولية أكثر من إسرائيل ، برعاية الولايات المتحدة .

تشويه الإعلام الغربي للحركات الفلسطينية يتم عن طريق عدم وضع الإرهاب في الإطار المناسب المسبب له . أما رفض الإعلاميين ربط النتائج بأسبابها فأدى لزيادة العنف وتفجر الأوضاع في لبنان . وقد بدأ ذلك العنف حين هاجمت إسرائيل مطار بيروت عام ١٩٦٨ .

من المحزن أن عالمنا وصل لدرجة من الانحدار بحيث لا يسمع عن معاناة شعب إلا بعد القيام بعمليات إرهابية . ومن سمع عن الفلسطينيين قبل ميونخ ؟ ومن فكر في حقوقهم قبل مالوت ؟ لا أحد . استمع الناس في أوروبا وأمريكا عبر وسائل الإعلام للكثير عن « اللاجئين اليهود الفقراء القادمين إلى إسرائيل من كل مكان لبناء الصحراء » . ولكن من سمع شيئاً عن اللاجئين الفلسطينيين المهجرين من ديارهم ، حتى قاموا بضرباتهم القاسية ؟ ألم يقل ونستن تشرشل في كتابه عن تاريخ الشعوب الناطقة بالإنجليزية : « من حقوق الإنسان الأساسية التحارب والقتل من أجل الأرض التي يعيش عليها » ؟

ولم تعرف وسائل الإعلام كذلك الإرهاب الذي تقوم به مجموعات من الأفراد والإرهاب الذي تقوم به الدول . لم تحاكم دولة إسرائيل بعد قيامها عصابات شتيرن والأرجون . بل إن الجيش الإسرائيلي ضم إلى صفوفه هذه المجموعات ، وتم انتخاب قياداتها في الكنيست ، وبعد ذلك قدمت حكومة رابين طابعا عليه صورة إبراهيم شتيرن ، الذي قامت عصابته بمجزرة دير ياسين وساهمت في عملية اغتيال فوك برنابوت . ولكن دور الإعلام الغربي في التعمية على حقائق ما يحدث في الشرق الأوسط يفوقه دور معاداة السامية الذي سندرسه في الفصل التالي .

عن معاداة السامية

فى مجتمع حر ، لابد لكل مجموعة تؤثر على سياسات الدولة من أن تحاسب من قبل الجميع . الحرية لا تبقى إن كان للمجموعات الدينية والدنيوية ستائر حديدية تحميها من الرقابة .

(بول بلا تشارد) ..

سقطت الحضارات سابقا إما بسبب التوسع ، أو الفساد الداخلى . وإن سقطت الحضارة الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، فقد يكون سبب سقوطها هو النمطيات . فتصنيف الناس إلى أنماط أدى إلى تجمد الفكر الفردى ، وإلى الضعف النفسى .

تأثير النمط والحكمة المحفوظة هائل . بعض الصور النمطية تدفع بالسياسيين إلى مواقع سامية أو تسقطهم منها . حين نطلق كلمة مثل : « يسارى » « رجعى » أو « شيوعى » أو « فاشى » على سياسى ، فقد تؤدي لصعوده أو سقوطه فى الانتخابات .

ولا شىء أثر على نجاح الصهيونية وإسرائيل فى العالم الغربى أكثر من رهبة « معاداة السامية » . هذا الاتهام ، الذى يجلب فوراً للذاكرة أشباح ألمانيا النازية ، يدمر المسيحى لدرجة أن تسميته شيوعى تصبح مزحة لطيفة بالمقارنة . فقد كان رفض الغرب لمعاداة السامية ، وليس قوة الصهاينة فى فلسطين ، هو ما خلق وقوى بولة إسرائيل ، سامحاً باحتلال الأراضى الفلسطينية على الرغم من قوانين الأمم المتحدة وأخلاقيات المجتمع الدولى . كراهية « معاداة السامية » وصلت لدرجة أن السامى ، العربى الأصيل ، غير قادر على الدفاع عن نفسه ضد الاتهام . وقد توقفت محادثات السلام عام ١٩٧٨ لبعض الوقت حين اتهم بيجن الرئيس السادات بمعاداة السامية .

يمكن اعتبار رد الفعل العاطفى على معاداة السامية بأنه خلق وصية جديدة حادية عشرة : « لا تكن معادياً للسامية » . والوصية الثانية عشرة : « لابد أن تكون معادياً لمعاداة السامية » . لا يوجد مسيحى يجرؤ على كسر هاتين الوصيتين اللتين أضيفتا للوصايا العشر التى قدمها الرب إلى نبيه موسى فى سيناء . ونتج عن هذا

الوضع اضمحلال الفوارق بين من يكره اليهود ، ومن ينتقد الصهيونية لكرهية ما نتج عنها من أشرار . المسيحي المعادى للصهاينة وحتى اليهودي المعادى لإسرائيل يتهمان بمعاداة السامية . وهذا أنهى الحوار بشأن قضايا الشرق الأوسط .

وقد لاحظ أستاذ جامعة هارفرد ، د . ديفد ريسمان ، منذ بضعة أعوام في الرسالة اليهودية ما يلي : « يسيطر الصهاينة ، ليس فقط على صوت اليهود في الانتخابات ، وليس على قدرات اليهود التقليدية والاقتصادية فحسب ، بل يستطيعون كذلك التهديد باستخدام سلاح معاداة السامية ضد كل من يعارض منهجهم السياسي في إسرائيل » .

لأن مؤلف رواية د . جيفاكو ، الروسي بوريس باسترنك ، قال : « إن تجمع الناس في قطيع دلالة على الضعف » اعتبره الصهاينة ، ورئيس وزراء إسرائيل ، ديفيد بن جوريون ، معادياً للسامية .

لا يوجد من ينكر وجود العنصرية والكرهية وألمانيا النازية ، بل إن نزعات الشر تتواجد داخل النفس الإنسانية . ولكن وجود هذه النزعات الاجتماعية لا يجب ألا يؤدي إلى كبت كل النقد لإسرائيل ، وللتنظيمات الصهيونية . معاداة الصهيونية تختلف عن معاداة اليهود . في عام ١٩١٣ تأسس تنظيم ADL أي تنظيم معاداة القذف (Anti Defamation League) الذي يهدف لتأكيد سياسات أمريكا المدافعة عن إسرائيل . وإن كان التنظيم في البداية قد حارب العنصرية ، فهو الآن قد بات يقذف الناس ، يتجسس وينشر كتباً تدافع عن إسرائيل وتهاجم كل من يجرؤ على انتقادها .

والمبالغ التي تنفقها هذه الحركة المعروفة باهظة . ففي عام ١٩٧٤ ، استلم مكتبها في نيويورك ، ٧ ، ٤ مليون دولار . وكان لها ٢٨ مكتباً في الدولة ومركزان في كندا ، والمختصون بين موظفيها ٣٠٠ بينهم متخصصون في العلاقات الإنسانية ، الإعلام ، التربية ، العلوم الاجتماعية ، الدين والقانون . ولها ممثلون في مئات المجتمعات وتملك آلاف التقارير عن مواطنين كنديين وأمريكان . وكما تقول : « لكل مكتب قياداته من الشخصيات المهمة في ذلك الموقع . وهكذا في مئات المدن الأمريكية تتعاون ADL مع السكان لحل المشاكل » . وهذا يتم عن طريق كتابة تقارير تزعم أنها ضد العنصرية ، وإن كان أثرها سلبياً ، شبيهاً بالابتزاز .

فى لقاء مع مجلة ترو فى فبراير ١٩٧١ ، افتخر ثلاثة من قيادىي التجمع ، وهم : بنجامين انيستين ، سيمور جرونانو ، وبنور شارى ، على قدراتهم على استخدام الجواسيس . قال المعلق : « لابد أن للتنظيم نظاما تجسسيا واسع النطاق » . وإن بدت الاتهامات التى توجهها المجموعة سليمة عقلانية ، إلا أنها فى الواقع غالبا ما تكون غير دقيقة ، يمكن التساؤل بشأنها . غالبا ما تبتقر الكلمات من سياقها ، وتفسر معانيها بشكل خاص .

ومع مرور الوقت ، ازداد تشجيع المجموعة لإسرائيل . وحين قررت وزارة السياحة الإسرائيلية دعوة ١٢٠٠ صحفى غربى لزيارة إسرائيل ، للتخلص من انتقاد الإعلام لها عام ١٩٦٧ ، اختارت منظمة ADL الصحفيين ونظمت الرحلات . وهذه المنظمة كثيرا ما استخدمت شعار أنها مؤسسة لا تبحث عن الكسب المادى لنشر دعايات لإسرائيل . وقد نجح ساول جوفتس فى رفع قضية إلى المحكمة الأمريكية العليا مؤكدا أن أموال هذه المجموعة التى حصلت عليها من دافعى الضرائب ذهبت إلى مشاريع عاونت إسرائيل .

يُعرف الشعب الأمريكى بحساسيته الشديدة وانتقاده لأية محاولات حكومية لفرض الرقابة عليه ، ومع ذلك لم يحتج أحد ، ولم يعرف الناس ، بنظام الرقابة الصهيونى الصارم . فى كتاب « القسم » ، يشرح ليونارد سالانز ، المدافع العتيد عن الصهيونية ، البرامج غير الشرعية التى استخدمت للمساعدة على خلق إسرائيل . منذ عام ١٩٤٥ ، ضم الصهاينة إلى صفوفهم يهودا وأميين من جميع أرجاء العالم ، ومنهم : سياسيون وموظفون فى الجمارك ، وقضاة ، بل وهربوا الرجال والسلاح إلى فلسطين انتظارا ليوم الحسم مع العرب . ومن المشهور تدخل العالم الاقتصادى المعروف روبرت ناثن لدى الرئيس الأمريكى هوفر لإخراج عملاء للصهاينة حاولوا تهريب السلاح من مخازن الجيش الأمريكى فى هاواى إلى إسرائيل ، وكتب عنه عدد من المؤلفين .

بقيادة « مؤسسة سونيبورن » ، المسماة باسم قائد الهاجانا الأمريكى « رودلف سونيبورن » تم تسليح إسرائيل . جمعت مواد مختلفة من ٢٥٠٠٠٠ كيس تراب ، من وسكنسن ، ٢٥٠٠٠٠ ثوب عسكري وخوذة لحماية الرأس ، ١٠٠ طن من الأسلاك

الشائكة ، ٦٠٠ جهاز لكشف الألغام (من منيابوليس) . وتحت قناع الدراسات التلمودية ، درس المحامي ناعوم برنستاتين الجاسوسية وأسس التصارع اليدوى . ومدرسة الجاسوسية هذه التقت فى كلية يينية لا تدفع الضرائب . ومن خلال بنائى برث ، ADL ، واللجنة اليهودية الأمريكية ، وتجمعات أخرى مختلفة ، اخترقت المخابرات الإسرائيلية حكومة الولايات المتحدة ، بل لقد شاعت فى البنتاجون نكتة تقول : « لا بد من طباعة ثلاث نسخ من تقاريرنا ، الأولى للبيت الأبيض ، والثانية للحكومة ، والثالثة لتل أبيب » . كان لدى الأسطول الإسرائيلى صورة من برامج تمرين جنود الأسطول الأمريكى .

خارج الولايات المتحدة ، تمت أعمال تجسسية لمصلحة إسرائيل كذلك . استمع مسئولون فى لجنة تابعة للأمم المتحدة لتقرير « عن أنظمة تجسس إسرائيلية تستخدم السياحة لدول أوروبا الشرقية لجلب المعلومات » .

وقد تم استخدام سلاح معاداة السامية لعرض وجهات النظر الصهيونية وإسكات أى نقد لإسرائيل حين قام وزير الخارجية أبا إيبان ، صاحب أقصى عملية انتقامية فى لبنان ، بالدفاع عن الموقف الإسرائيلى قائلا : « وجهات نظر الدول الأخرى ليست بعيدة عن رؤية غير اليهود للعالم اليهودى » . وقد حاضروا أبا إيبان ، بعد استقالته من الحكومة الإسرائيلية ، فى الجامعات الأمريكية ، وعمل فى جامعة كولومبيا ، وفى أكثر من محاضرة أكد أن الكثير من النقد الموجه لإسرائيل إنما هو من أنواع معاداة السامية .

وقد تحدث د . رتشارد أوكستوبى عن الموضوع قائلا : « نتمنى أن تنتهى معاداة السامية ، ولكنها اليوم شتيمة فعالة ، ولا أحد يود أن يتهم بها . رجال الأعمال والنقاد المسيحيون مصابون بالشلل التام . إذ يخشون انتقاد إسرائيل خوفا من الاتهام بالعنصرية . وهكذا ، لا يوجد حرية للحديث حول هذا الشأن فى الولايات المتحدة » .

يعتبر أبا إيبان أن أى نقد لإسرائيل ، سواء أكان مصدره السود فى أمريكا ، أم الرئيس بيجول ، أو حتى الأمم المتحدة ، معاداة للسامية . اعتبر تجمع أحبار أمريكا كذلك أى نقد للصهيونية معاداة للسامية . ونتج عن هذا كله تحديد لحرية

الحديث فى الولايات المتحدة بهذا الشأن . القائد الصهيونى ، د. ناعوم جولدمان ، أكد على وجود معاداة للسامية فى الدول الشيوعية ، و« الأحزاب اليسارية » . وهذا النوع من المعاداة ، قال فى فبراير ١٩٦٩ : « تم التعبير عنه فى صيغة مواقف معادية لإسرائيل والصهيونية » .

وقد استفحل استغلال الصهاينة لمعاداة السامية عام ١٩٧٤ ، حين نشرت مجموعة ADL دراسة بعنوان : « معاداة السامية الجديدة » . بقلم أرجون فورستر وبنجامين ابستين ، وكلاهما من الشخصيات القيادية المعروفة . وقد قالوا : إن معاداة السامية الجديدة تنبع من مصادر غير متوقعة « التجمعات الأصولية اليسارية واليمينية ، المجموعات المؤيدة للعرب ، السود ، وبعض الشخصيات المتنفذة فى الدولة ، الإعلام ، رجال الدين ، لا يتفهمون اهتمامات اليهود ، وخصوصا احتياجات دولة إسرائيل » . بل إن المؤلفين اعتبروا أن « تهديد لأمن إسرائيل ، إنما هو تهديد لجميع اليهود فى الولايات المتحدة ، ويعتبر نوعا من معاداة السامية . وسبب هذه الكراهية هو حسد البعض للأوضاع الجيدة ليهود أمريكا » .

وقد توافق نشر هذه الدراسة المعروفة مع تزايد شعور الناس بأن الضغوط الصهيونية ، وتأثيرها ، وقوتها الاقتصادية ، أدت إلى الأزمة النفطية . ورد الصهاينة بالقول : « إن معاناة مأساة الحرب العالمية ليست وازعا أخلاقيا كافيا » وتمنوا أن تحمى الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل وأن تستمر سياساتها فى الشرق الأوسط بلا تغيير يذكر .

وفى هذا الكتاب ، وجهت الاتهامات للكثير من أشرف القوم بمعاداة السامية . وبينما ذكرت قلة من المتطرفين المعروفين ، أضيفت لهم أسماء أفراد لم يعانون اليهود البتة ، وهكذا استخدم أسلوب « خلط الحابل بالنابل » حتى يتم اتهام البرىء بجريمة المذنب . ومع أن مقدمة الكتاب تؤكد أن هدف ADL ، هو « الحرب ضد العنصرية ، التطرف ، والتفرقة » بأسلحة المعرفة ، والقانون ، وإقناع الناس والبحث عن العدالة فإن هذه الأفكار أضعفها قول المؤلفين المتكرر : « يعتبر يهود أمريكا أى انتقاد يوجه إلى الدولة العبرية معاداة للسامية » . ويكرران القول مرة أخرى : « سبب معاداة السامية هو عدم فهم الناس لضرورة وجود إسرائيل لسلامة اليهود وأمنهم فى جميع أرجاء العالم » . وهكذا يعد أى نقد لإسرائيل ونشاطات الصهيونية « انعدام

حساسية ، أو « جموداً بارداً » مساوياً لمعاداة السامية ، أو نوعاً جديد منها ، يتميز بأن « من يقومون به أناس محترمون لا يعتقدون أنهم عنصريون البتة » .

وفى المقدمة قام مدير ADL ، السيد سيمور جراوبارد ، بنكر القواعد القديمة :

حين بقيت نكريات المجازر النازية فى الذاكرة ، سكت أعداء السامية ، ومع اختفاء الذكرى ، اعتبر اليهود جزءاً من المؤسسات الحاكمة ، وبدأت معاداة السامية بشكل جديد . ونحن نعيش الآن عصر انحطاط خلقى وانعدام الحساسية تجاه معاناة الغير ، وفى هذه البيئة تنمو كراهية اليهود .

وهكذا استغلت ADL الماضى لصناعة كراهية جديدة ، وللقذف وإسكات الغير ، وصنعت ستارة حديدية ضد أى ناقد لإسرائيل (إذ لا يوجد من ينتقد اليهود حالياً) . حتى جيمس وشسلر ، الذى دافع دائماً عن سياسات إسرائيل ، كان موضوعياً إذ ذكر أن آخر كتب فورستر وابستين كان « متطرفاً حين ساوى أى نقد لإسرائيل بمعاداة السامية » . وقد نُعت هذا الأسلوب بأنه « غير شرعى وغير متحضر » ، واستطرد قائلاً :

إن حق المؤلفين انتقاد جيرالد سميث ، بعد أن حللا أقواله ومحاسنها ، فإنهما لم يحللا أقوال عضو مجلس الشيوخ وليام فولبرايت ، والصحفيين إيفانز ونوفاك ، بل انتقدهما وقنفاهما بلا داع . الاتهام هنا يعد قنفاً ، مهما صفت النوايا .

وهكذا تحول دعاة الحرية الفكرية إلى قضاة يقذفون الأبرياء ويدمرون حرية التعبير عن الرأى المخالف . وربما يجدر باسمهم ADL أن يتحول من « مؤسسة معاداة القذف » إلى « مؤسسة القذف » .

نمو معاداة السامية ، التى ادعت ADL إعلان الحرب عليها ، لاعمت الفكر الصهيونى الذى أراد تذكير اليهود بصفاتهم المميزة . الكثير من اليهود ما عابوا يذهبون للصلاة وملأوا كلام الأحبار . وهكذا أعادتهم قضية معاداة السامية إلى حظيرة الهوية اليهودية التقليدية ، أو « معاداة أعداء السامية » .

ومنذ بداياتها ، اهتمت الصهيونية بالنزعات العنصرية ، تمنى هرتزل أن تقوى معاداة السامية « فتطرد اليهود من بقاع الأرض ، مثل موجة المستقبل ، وترجعهم إلى وطنهم » . ثم قال : « تستمر معاداة السامية بالنمو ، وتنمو حركتنا بخط مواز لها » . وقد تنبأ أبو الصهيونية بأن « حكومات العالم ستقلق بشأن نمو معاداة السامية وتعاوننا في الوصول لدولتنا الحديثة لحمايتنا » .

وقد استخدم الأحزاب معاداة السامية لإبقاء القطيع في الحظيرة ، وأقنعوا اليهود في جميع أرجاء العالم بأن إسرائيل ستكون ملكا لهم إن عادت معاداة السامية من جديد . وهكذا لم تهتم حكومات إسرائيل بما ينتج من معاداة لليهود بسبب سياساتهم المتعنتة .

وقد استشهد رتشارد كروسمان ، وهو عضو مجلس العموم البريطاني ، ب . د . حاييم وايزمان ، إذ ادعى أن « معاداة السامية موجودة في أعماق كل أمة غير يهودي ، بغض النظر عن سلوكه ، وإنكاره لها » والقصة هي أن د . وايزمان سأل كروسمان بصراحة في لقائهما الأول إن كان معاديا للسامية ، فأجابه الآخر ، « نعم بالطبع » . ثم باتا صديقين بعد هذه المصارحة . وكروسمان يقول بصراحة : « إن المنتصر يوما هو وايزمان ، زعيم حركة اليهود العالمية لأنه أقنع الجميع عن طريق استغلال شعورهم بالذنب بمعاونة اليهود » . وربما يكون ثمن تكون إسرائيل هو مقتل ستة ملايين يهودي في ألمانيا ، لأن هذه المجزرة دفعت بالولايات المتحدة والعالم الغربي لمعاونة الصهاينة .

وقد لاحظ عضو مجلس العموم البريطاني ، أيان جليمور ، العلاقة بين الصهيونية ومعاداة السامية :

بما أن أساس الصهيونية هو أن محاولات التأقلم لليهود في المجتمعات المختلفة لم تنجح ، وأن معاداة السامية والاضطهاد سيقويان عاجلا أم آجلا ، فإن الصهيونية تستفيد من الفصل العنصري . وقد تم تهجير اليهود من الدول العربية لا بسبب معاداة السامية ، بل أدى له نشاط الصهيونية وتكون الدولة العبرية . وهكذا زادت الصهيونية من حدة المرض الذي أرادت معالجته .

وقد قال د. جودا ماجنس مدير الجامعة العبرية كلمات حملت ذات المعنى .
« تصورنا أن الصهيونية ستخفف من حدة معاناة السامية . ولكن العكس هو
ما يحدث الآن » .

تقبل المحافظون « الرجعيون » والتقدميون ، الذين ما كانوا ليتقبلوا أى سياسة
عنصرية ، الفلسفة الانفصالية للصهيونية ، التى وقفت وراءها قوى اليهود العالمية .
ومن أجل الانفصال ، كان وجود شىء من معاداة السامية ضروريا . يقول السيد ليو
بغبفز ، من التجمع اليهودى العالمى : « إن للتفرقة مزاياها . فبعض المعاداة ضرورية
حتى يبقى اليهود صفا واحدا » . مجلة بلاك فراير البريطانية ذكرت أن « اختفاء
التفرقة ضد اليهود قد تؤدى للانفصال بينهم » .

وقد وحد الإعلام اليهود عن طريق إبقاء فكرة معاداة السامية حية . القوى
الإعلامية ذكرت ثلاثة مواضيع :

(١) تم تصوير عنوانية العرب تجاه إسرائيل ، وخصوصا جمهورية مصر العربية
بقيادة الرئيس عبد الناصر ، ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات ، على
أنها استمرارية للنازية الهتلرية .

(٢) تم اعتبار اليهود فى الاتحاد السوفيتى ضحايا للقمع الشيوعى الذى يمنعهم
من الذهاب إلى إسرائيل .

(٣) معاداة السامية فى الديانة المسيحية ، التى يدعى أنها عادت اليهود ، تخلق
مشاعر البغض تجاه إسرائيل .

تمت محاولة لربط النشاطات الفاشية فى الأرجنتين مع معاداة السامية المزعومة
فى مصر . فى ربيع ١٩٧٥ ، طلب السفير الأرجنتينى من سفير مصر أشرف غربال ،
رؤية صحفى يعمل فى مجلة تتناول ظواهر ما وراء الطبيعة . وقد التقى السفير
المصرى بالصحفى ، ولم يدم اللقاء سوى ثلاث دقائق ، نظرا لعدم وجود لغة مشتركة
أو مترجم . ثم نشرت المجلة السطر التالى بالبنت العريض : « فناء اليهودية فى
الشرق الأوسط نقطة انطلاق للتحرر العربى » . وسرعان ما قدمت جريدة جويش ويك ،
فى واشنطن العنوان التالى لافتتاحية عددها ٣ أبريل : « السفير المصرى يتنبأ بفناء

اليهودية » . وكان هناك تعليق آخر فى مجلة بروكلن جوش بريس فى ١١ أبريل ، بعنوان : « فناء اليهود » ، حيث انتهالت رسائل حوت أجزاء من اللقاء المزعوم على السفارة المصرية فى واشنطن . حتى مجلة الجارديان البريطانية نشرت أجزاء من اللقاء ، ثم اعتذرت عن نشره لأنه « عبارة عن دعاية سوداء » . وإن اعترفت المجلة بأن « مصدرها إسرائيلي فوق مستوى الشبهات » .

وقد قدمت المعارضة الإسرائيلية فى الكنيسة طلبا لطباعة اللقاء مع السفير ، لأنه ، كما ادعوا ، يثبت أن الصراع « ليس على أرض ، بل على وجود إسرائيل ، واليهودية » . أما معاون مدير اتحاد الأحرار الأمريكان ، فكتب إلى السفير المصرى غربال : « من معرفتى بك ، لا أصدق أنك قلت مثل هذه الكلمات » . إيفانز ونوفاك وصفا تشويه سمعة السفير المصرى بأنه « عمل مأساوى قاس ، وبلا أى محاولة للتأكد من صدق تقرير مجلة لا قيمة لها . يتم استغلال مخاوف اليهود فى معركة إعلامية » .

أشتم وُسْنَمُ أَىْ عَاجِلَتِ تَعْرِضُ لِلْيَهُودِيَّاتِ فِى جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ وَكَأَنَّهُ دَلَالَةٌ عَلَى مَعَادَاةِ السَّامِيَّةِ . نشر الأستاذ سيمور لبست فى مجلة نيويورك تايمز دراسة « اشتراكية الأغبياء ، اليسار يسميها معاداة الصهيونية ، وإن كانت لا تختلف عن معاداة السامية التى تميز بها اليمين القديم » ، وهو يعتبر أن « إعدام اليهود فى أى دولة عربية ، معاداة للسامية فحسب ، بغض النظر عن الأسباب الحقيقية للحادث » .

وبدا أن جميع صحفى مجلة التايمز قد أقسموا اليمين لاستغلال أى دليل ، مهما كان ضعيفا ، لإثبات وجود معاداة السامية ، بحيث يصبح الاستثناء قاعدة . إن لم توجد أحداث تدل على وجود كراهية لليهود ، استخدموا أمثلة من الصراع العربى الصهيونى ، أو أوضاع اليهود فى روسيا ، أو علاقات الديانتين المسيحية واليهودية . أحيانا تم استخدام المؤلفين والأدباء . حين توفى الشاعر المعروف إزرا باوند ، فى ١ نوفمبر ١٩٧٢ ، تحدث الإعلام عن إنتاجه الألبى ، وذكر أن تقديم جائزة له عام وفاته فكرة رفضت لا بسبب أعماله الشعرية والنقدية الرائعة ، ولكن لأسباب أخلاقية . وهى تعاطفه مع النازية ، وادعاء معاداته للسامية .

وقد كان من الممكن أن ينتهى الموضوع بهدوء ، إن لم تتسرب لوسائل الإعلام رسالة من مدير جامعة هارفارد لبعض الأعضاء ، ذكر فيها « أن نكريات مجازر

اليهود في ألمانيا تبقى حية ، ولذلك احتج بعض الأعضاء في اللجنة على تقديم الجائزة لباوند ، الذي لم يمتدح أعماله الإبداعية ، بل أراؤه السياسية . وقد استقال ثلاثة من أهم أعضاء اللجنة المرشحة ، منهم : البروفسر جيروم لينقان ، والأستاذ هيو كوسنر ، المؤلف والناقد المعروف . وقد اشتكى الأستاذ الجامعي الأسود من هارفارد مارتن تلسون من « حساسية اليهود التي فاقت الحد السليم » ، وقارتها « بحساسية السود الذين يودون أن تمنح الجائزة لمن يدافع عن حقوقهم فحسب » . ثم استطرد قائلاً « إنه يبغض العنصرية سواء أكانت ضد اليهود أم السود » . « ولكن القضية ليست عقلانية ، بل سياسية » . وما دام أى مؤلف لم يمارس أفعالا ضد الإنسانية بسبب فكره السياسى ، يجب تقييم عمله المنشور ، لا فكره الخاص .

ومن الذى يقرر من هم أعداء السامية ؟ البعض دافع عن باوند ، وذكروا أنه ساعدت . س . إيلوت ، وجيمس جويس ، وغيرهما ، وتعاطف مع الكثير من الأبناء السود . وما هى معاداة السامية ؟ هل يمكن اعتبار أى انتقاد لشخص يهودى معاداة للسامية ؟ حين أعدم الشيوعيون أنا باركر ، بعد أن تسببت فى مقتل آلاف الأفراد فى رومانيا ، تحدث الناس عن معاداة السامية . هل يحق أن تستخدم فكرة معاداة السامية لحماية يهودى كان سياسيا فاسدا ؟

وقد انتقد باوند العولة فى النظام البنكى ، وادعى أن أسياى هذه الحركة هم من اليهود . بل وقال : إن « الربا سرطان العالم » . و هل يعتبر هذا القول بالضرورة معاداة للسامية ، أو مؤيدا لهتلر ؟

وقد حدث أن فيلم « المسيح المخلص » أثار ضجة إعلامية كبيرة ، إذ انتقده الأحرار بقسوة لأنه اتهم زعماء اليهود بقتل المسيح .

وتبقى « معاداة السامية » ضرورة ، لا فقط لإسكات معارضى الصهيونية ، بل لخلق يهود جدد ، الكثير من اليهود يؤكدون أنهم سيظلون يهودا ما دام المجتمع يتحيز ضد اليهود . معاداة السامية سلاح فعال تستخدمه القيادة الصهيونية لمصالحها : إن ذهبت العنصرية ، لقلت أعداد المؤمنين بين اليهود . وإن ضعفت معاداة السامية ، لتناقصت الأموال التى يقدمها اليهود لأحبارهم . وهكذا لا تحل المشكلة ، بل تستغلها القيادات الصهيونية وتبقىها حية .

القصف والقذف

فى كل قضية طرحت أمام المجتمع الأمريكى ، سمعت وجهات النظر المختلفة . تحدث المفكرون عن تقنين المخدرات ، انتقدوا قداسة البابا ، وملكة بريطانيا . دار حوار طويل مرير فى الولايات المتحدة بشأن الانسحاب من فيتنام ، وتم الانسحاب أخيرا . ولماذا لم تسمع سوى وجهة نظر واحدة بشأن الصراع العربى الإسرائيلى ؟ جميع القضايا الأخرى طرحت للنقاش ، وسمعت وجهات النظر المختلفة بشأنها ، كما يجدر أن يحدث فى مجتمع ديمقراطى ، حيث يسمح للوجهات المختلفة بالتعايش معا . ومع أن لقضايا الشرق الأوسط تأثيرات على العالم بأسره ، لا يحق لأى فرد التحدث بصراحة فى هذا الشأن . فالقضايا التى تتعلق بإسرائيل تكبح جماح المعارضة .

خلال أعوام الصراع الطويلة بين العرب وإسرائيل ، وجد أفراد فهموا وجهة النظر الأخرى ، وحاولوا إبلاغ القصة للشعب الأمريكى . وقد تم إسكات هذه الأصوات بسرعة . حول الإعلام كل من انتقد سياسات إسرائيل إلى « هتريه جديدة » وتاريخ هذا الكبت يذهل القارئ الأمريكى مثلما أدهشته فضيحة ووترجيت عام ١٩٧٣ . ومن جرؤ على كسر حائط الصمت دفع ثمنا باهظا لشجاعته . قائمة الأحرار الذين حاولوا مواجهة التيار الصهيونى وتعرضوا لتشويه السمعة طويلة ، وتشمل شخصيات نظيفة فوق مستوى الشبهات ، من أعلى المستويات التربوية ، والأدبية ، والسياسية والصحفية . لا يوجد مثال أكثر وضوحاً لكبت الرأى الآخر فى مجتمع ديمقراطى . بل إنه يمكن مقارنة ما تعرض له هؤلاء الأفراد من قذف بالقصف الذى تعرضت له لندن

فى العهد النازى . كانت هناك مراقبة، مضايقة ، تشويه سمعة ، بل وأسقط الذنب على أفراد لمصادقتهم لآخرين متهمين ، وكبتت حرية الكلمة .

كان جيمس فورستال ، وزير الدفاع الأمريكى من أول الضحايا . فبينما ضغط الإعلام على الأفراد لقبول ضرورة الدولة الإسرائيلية ، قرر هذا الرجل السباحة ضد التيار فى سبيل ما اعتبر أنه مصلحة وطنه . فقد حاول أولا ، كما توضح مذكراته المنشورة عام ١٩٥٠ ، إخراج قضية إسرائيل من حيز الانتخابات الأمريكية . وقد سعى لإقناع رئيس الحزب الديمقراطى بأن « خسارة ثلاث ولايات يمكن كسبها بمعاونة المهتمين بالقضية الفلسطينية أفضل من تحمل مخاطر كثيرة ستنتج عن تحويل قضية الشرق الأوسط لمسألة انتخابية » ثم استطرد : « لا يحق لأى مجموعة من الأفراد أن تؤثر على سياستنا الخارجية لدرجة تهديد الأمن القومى » . وكان تشويه سمعة الرجل مكافأته الوحيدة على إخلاصه لوطنه . وقد حذر صديقه ، مستشار الرئيس الأمريكى ، أن مساعيه هذه ستجعله من أعداء سياسات الولايات المتحدة بشأن القضية الفلسطينية ، ولكنه تجاهل هذه النصيحة . وحين عبر عضو الكونجرس فرانك روسفلت عن قلقه بسبب إمكانية فقدان أصوات الناخبين إن لم يتم الاتفاق أجاب الوزير : « ربما تكون خسارة بعض الأصوات خير من فقدان وطننا ذاته » . ولكن رئاسة الحزب الديمقراطى بقيادة السياسى دائما ، مكجارت ، لم توافقه الرأى ، حتى بعد الاطلاع على تقارير المخابرات الأمريكية التى حذرت من استغلال السوفييت لهذا الوضع للوصول إلى الشرق الأوسط الغنى بالنفط . وقد كان هدف فورستال هو الحفاظ على صداقات العرب مع الولايات المتحدة . فقد لاحظ أهمية موقع المنطقة العالمى ، وأهمية النفط ، وخشى من دخول السوفييت للمنطقة (وأثبت التاريخ صحة وجهة نظره هذه) . وقد تعالت الصيحات بأن « فورستال خادم رجال الأعمال » ، « موظف لدى شركات النفط » لأنه حاول فصل سياسات الشرق الأوسط عن السياسات الداخلية الأمريكية . المحامى الصهيونى بارتنلى كرام هاجم فورستال على أساس أنه « الرجل الذى يملك القوة لتحديد وجود دولة الصهاينة فى فلسطين » . وانتقده لأنه اهتم بالنفط العربى . وقد زادت حدة الهجوم عليه حتى مرض وزير الدفاع الأمريكى ، ولم يحيا حتى يشاهد ما حدث بعد ذلك مما أكد صدق توقعاته . فذلك الرجل الحساس حزن ، لا بسبب فشله فى الوصول

لسياسة موحدة بين الأحزاب بشأن القضية الفلسطينية ، بل بسبب الاتهامات « بمعاداة السامية » وألقى بنفسه من نافذة المستشفى حيث تمت معالجته من انهيار عصبي . وقد لمح بعض الكتاب بأنه قُذِف من النافذة . ومن الغريب أن الصهيونى المخضرم ، وأول سفراء الولايات المتحدة إلى إسرائيل، جيمس مكنونالد ، فى كتابه **عملى فى إسرائيل ، دافع عن فورستال قائلاً :**

لم يكن من أعداء السامية ، ولا عادى إسرائيل ، أو تأثر بالنفط العربى ، بل اقتنع بأن تقسيم فلسطين ليس فى مصلحة الولايات المتحدة ، ولم يستحق التهجم السام المستمر الذى أصاب منه مقتلاً . بل إن هذا الهجوم يدل على استعداد السياسيين والصحفيين لاستخدام أكثر الأساليب انحطاطا ، باسم الوطنية لتدمير مواطنين مخلصين .

و حين أخطأ ديجول ، الذى أغضب الكثيرين سابقا ، وأضاف إسرائيل لقائمة أعدائه ، واجه عدوا هو الأقوى على الأرض ، وهو مجموعة « معاداة أعداء السامية » ولم يجد سفيراً أمريكياً هذه المرة يدافع عنه . ففى مؤتمر صحفى فى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٧ ، قال كلمات ردها الإعلام العالمى بشكل خاطئ . وقد قيل إن الرئيس الفرنسى اتهم اليهود بأنهم « شعب متكبر متسلط » . اتهمت مجلة فرنسية وهى لوموند الرئيس بمعاداة السامية ، بينما اعتبره مرشح آخر للرئاسة ، وهو فرانسوا ميتران ، « علمانى ماذى فى تفكيره » . بعض الصحفيين سخروا منه مدعين أنه ليس معاديا للسامية ، وإن حاول التظاهر بذلك . أما ما قاله الرجل بالفعل ، فهو التالى :

نشوء دولة إسرائيل بعد الحرب الثانية أقلق البعض لأسباب مختلفة . بين اليهود هناك من خشى أن يؤدى قيام دولة عبرية بين دول عربية إلى خلافات وحروب كثيرة ، البعض تساءلوا إن لم يتحول الطبع اليهودى الذى تكون فى الشتات وهو عزة النفس ، إلى التكبر والتسلط إن تجمع فى دولة مجده القديم .

حرّف الإعلام ما قاله الرئيس الفرنسى . مجلة نيويورك تايمز فى مراجعتها لأحداث الأسبوع ادعت أن « الرئيس وصف اليهود بأنهم شعب مغرور يريد السلطة » . مجلة أخرى خشت « أن تعود البروتوكولات للإعلام » . ومع أن الإعلام الأمريكى

لم يتهم الرئيس الفرنسى بمعاداة السامية ، إلا أن الصحفيين قالوا إنه يتحدث مثل أعداء السامية . ثم رسم الموقف وكأن ديجول يتراجع عما قاله . دراسة هنرى تانر فى التايمز فى ٦ و ١٠ يناير ١٩٦٨ ذكرت بأن « ديجول يؤكد للحبر الأعظم أنه ما قصد إهانة اليهود » ، و « ديجول يقول إنه امتدح اليهود » . وفى الأحد 14 يناير ، ظهرت مقالة بعنوان : « أفكار ديجول الجديدة عن اليهود » ، وكأن ديجول تراجع عن أقواله ، وإن لم يتراجع الرجل ، فلم يذكر ما يتراجع عنه .

مقالة التايمز التى ذكرناها أكدت أن الحبر كابلان حذر ديجول « من أن أعداء السامية الحقيقيين قد يستخدمون كلماته التى قالها بحسن نية » وكان المعنى واضحا . لا يصح لأى فرد أن يقدم أى نقد بشأن إسرائيل ، أو الصهيونية ، أو اليهود ، وإلا فقد يستغله أعداء السامية الحقيقيون . وقد استغل الإعلام الأمريكى هذه القضية وكبرها ، ولسبب مهم ، فبعد أسابيع زار رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول الولايات المتحدة لطلب طائرات جديدة ، بعد أن دمرت الطائرات الإسرائيلية المطارات العربية منذ شهور معدودة عام ١٩٦٧ .

ولكن القضية لم تنته . فرداً على أقوال ديجول ، كتب رئيس وزراء إسرائيل ، بن جوريون رسالة من ١٥ صفحة مفصلاً فيها معاناة اليهود عبر العصور . وأجاب الرئيس الفرنسى بصراحة تامة موضحاً الأسباب الحقيقية للنقاش قائلاً : « كان من المؤسف أن يقفل خليج العقبة مما أقلق إسرائيل » ، ولكن ، استطرد الرئيس قائلاً :

نشعر بأن احتلالكم للقدس ، ولأراضٍ أرمنية ومصرية وسورية بالقوة ، واستخدامكم لأساليب الاضطهاد وترحيل الناس ، يدل على تخلى إسرائيل عن العقل والحكمة ، واستخدامها للقوة لحل المشاكل التى تواجهها .

وحتى فى هذه الرسالة ، أكد الرئيس الفرنسى أن « قوة الشعب اليهودى صفة إيجابية ، إذ ساعدتهم على الصمود لتسعة عشر قرناً فى ظروف صعبة للغاية » . وقد لاحظ أيضاً « أن إسرائيل تتحمل تبعات سلوكها ، وأن بقاءها يعتمد على تصرفاتها ، مثل بقية شعوب العالم » . وهذه الكلمات تكرر ما قاله وزير الخارجية الفرنسى ، قبل

بدء حرب عام ٦٧ بـ ١٢ يوما ، إذ أبلغ وزارة الخارجية الإسرائيلية أن فرنسا ستدافع عن إسرائيل إن هوجمت ، وستشجب أفعالها إن هاجمت الدول العربية ، قائلا ما يلي :

على الرغم من قلة عدد سكانكم ، فأنتم أفضل تنظيمًا وتسليحًا من الدول المجاورة لكم . ستواجهون الكثير من الصعاب لاحقا في الأراضي التي ستحتلونها ، محليا أو نوليا . لأن توتر الشرق الأوسط من شأنه أن يزيد العلاقات الدولية سوءا ، واللوم في جميع هذه الأمور سيقع عليكم .

وهكذا اعتبر رئيس فرنسا معاديا للسامية بسبب أفكار منطقية تماما . وقد تخلت إسرائيل عن صفقتي ميراج مع فرنسا ، واستبدلتها بصفقة أمريكية عام ١٩٧٢ ، مما أساء العلاقات أكثر بين فرنسا وإسرائيل . وذكرت مجلة تايمز باختصار سبب توتر العلاقات بين الدولتين : « يعتبر الرئيس ديغول أن مصلحة فرنسا تستخدم بشكل أفضل إن ارتبطت بالعرب بدلا من إسرائيل » .

والواقع هو أن « ديغول » ما رضى البتة بدخول فرنسا في العدوان الثلاثي . واعتبر أن تنمية العلاقات مع الدول العربية مفيدا لفرنسا أكثر من التحالف مع إسرائيل . وهذا هو السبب الحقيقي لاتهامه بمعاداة السامية بشكل مستمر حتى دفنت جثته في المقبرة الصغيرة في كنيسة كولومبيا .

وقد تعرض الرئيس اللاحق جورج بومبيدو لذات الاتهامات بسبب صداقته لديغول ، وكونه الرئيس اللاحق له . وقد حاول بومبيدو توضيح المواقف في أول لقاء صحفي له بعد وصوله للرئاسة ، إذ أوضح : « أن اهتمامات فرنسا بحوض البحر الأبيض المتوسط يتطلب إقامة علاقات جيدة مع العرب » ، ثم أكد : « فرنسا لا تنسى الماضي الدموي للنازية . وتتعاطف يوما مع معاناة اليهود » . ولكن ذلك القول ذهب أدراج الريح ، وبقيت اتهامات معاداة السامية تلاحقه كلما اتخذ قرارا شرق أوسطيا لم يتفق مع مواقف إسرائيل . ووصلت الأمور إلى الحضيض حين زار الرئيس الفرنسي الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ .

وقد جاءت الزيارة حين رفضت فرنسا تسليم طائرات الميراج إلى إسرائيل عام ١٩٧٠ . بسبب احتلالها لأراضٍ عربية عام ١٩٦٧ ، ونتج عن هذه المواقف أن الرئاسة الفرنسية فقدت تقدير الصهاينة ومشجعيهم في الولايات الأمريكية . وهكذا

واجه الرئيس مظاهرات احتجاج ، وانتقادات قاسية ، فى شيكاغو ، وصراخ المحتجين فى وستهامشر . وقد كاد الرئيس الفرنسى أن يتعرض للضرب مما دفعه لإيقاف رحلته والعودة لوطنه ، حتى تدخل الرئيس نيكسون من واشنطن واعتذر له وطيب خاطره ، وجاء معه . إن اضطراب الرئيس الأمريكى للاعتذار بسبب سوء سلوك أقلية أمريكية يدل بوضوح على قوة الصهاينة فى أمريكا .

ومع أن اليهود الأمريكان انتقدوا الرئيس الفرنسى بحدة ، إلا أنهم غضبوا بسبب إلغائه للقاء مفترض مع رؤسائهم فى نيويورك . فقط طلب بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهود ، بقيادة برترام بودل ونستر وولف من نيويورك ، من الكونجرس مقاطعة خطاب الرئيس الفرنسى . وظهرت صفحات فى الصحف تدعو الحكومة الأمريكية لتقديم طائرات الفانتوم الأمريكية بدلا من الميراج التى رفضت فرنسا تقديمها ، ووقع على الطلب ٦٤ عضوا من مجلس الشيوخ ، و ٢٤٣ نائبا . أما رئيس المؤسسات اليهودية ، د . وليام كسلر ، فكتب « إن إلغاء الرئيس الفرنسى للقاء يأتى فى وقت نتذكر فيه ستة ملايين رجل ومراة وطفل قتلوا . لنا الحق فى أن نقلق على أمن إسرائيل » . بعض الصحف اتهمت الرئيس الفرنسى بجرائم ضد الإنسانية لأنه سلح العرب بطائرات فرنسية ، وكسر موازين القوى ، وتخلّى عن مصالح فرنسا مقابل النفط العربى . لم تتدخل الحكومة الإسرائيلية ، التى أسعدها ما حدث للرئيس الفرنسى . المسئولية وقعت على عاتق المؤسسات اليهودية فى الولايات المتحدة ، بمعاونة من مؤسسات يهودية فرنسية . وقد تساءل السفير الفرنسى فى بريطانيا ، بعد قراءة رسالة من يهود فرنسيين ، عنوانها : accuse لا « نتهمك بتسليح أنظمة غير متزنة ستستخدم السلاح لارتكاب المجازر » ... تساءل قائلا : « هل اليهود الفرنسيون ينتمون لفرنسا ، هل هم فرنسيون يهود ، أم يهود أولا ، فرنسيون بعد ذلك ؟ » .

وفى مؤتمر صحفى قبل مغادرته لنيويورك ، قال الرئيس الفرنسى : « سنعيد لإسرائيل ما دفعته من مال مقابل الطائرات التى لن نسلمها » ثم استطرد مؤكدا : « يستطيعون أن يقولوا ما يريدون . أنا لست معاديا للسامية » .

وإن كان هذا هو ما فعله الصهاينة برئيس جمهورية فرنسا حين زار الولايات المتحدة الأمريكية ، فقس على ذلك تعاملهم مع مواطنين أمريكيين قدموا آراء مخالفة .

الشخصيات الأمريكية التي لاحظت وجود رؤية أخرى للوضع الشرق أوسطى واجهت حصارا قاسيا . قال فرانسيز ساير ، كبير أساقفة كنيسة واشنطن ، في خطبة الأحد عام ١٩٧٢ : « إن الإسرائيليين الذين تعرضوا للاضطهاد باتوا الآن يمارسونه في القدس » واستطرد ذاكرة هدفه من ذكر هذا المثال : « أليست إسرائيل صورة لضعف الإنسان الذي يطيع ربه لساعة ، ثم يثور عليه ويفرض إرادته على الناس طورا » . ثم أوضح أن « العرب الآن يطربون من الأرض بلا حق ، ويمنعون من جلب أقاربهم للسكن في القدس ، التي يعتبرونها أرضا مقدسة ، تماما مثل اليهود » .

نتيجة لهذه الخطبة ، قامت صحافة واشنطن وما قعدت . ذكر فورستر وارسطين من قيادة ADL أن ماير أعاد الأسطورة الأساسية لمعاداة السامية ، وهي أن اليهود جميعا اشتركوا في قتل المسيح . طلب الصحفيون إقالة ساير من وظيفته ، أو إجباره على الاعتذار . ثم حدثت قضية أخرى . فقد قال القسيس في خطبة لاحقة تعليقا على ما حدث له من تشويه سمعة : « نعزى ليس فقط ضحايا ميونخ من رياضيين يهود ، بل أيضا العرب الذين قتلهم القصف الإسرائيلي على لبنان للانتقام » . هذه الخطبة استخدمت كدليل آخر على معاداة القسيس ساير للسامية .

وقد حاول قسيس كندي آخر ، وهو أ . س . فورست ، رئيس تحرير مجلة Unit- ed Church Review ، أهم المجلات المسيحية الأمريكية ، الدفاع عن ساير ، ولكنه تعرض هو الآخر لحملة تعريض شديدة ، وقد قال عما حل به ما يلي : « جريمتي هي أني أنتقد سياسات إسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ أومن بضرورة السماح للفلسطينيين المهجرين بالعودة إلى ديارهم كما وعدت إسرائيل . لا أزال أقول إن سلوك إسرائيل يشجبه العالم » . وكان الرد هو أن الرجل « يحرض » و « يكذب » . قال أحد الأحرار إن فورست قال : « إنه يكره إسرائيل » . نشرت مجلة يوناييتد تشرش رفيو ، رد كبير الأحرار ، ولكن حين رفضت نشر رد آخر للسفير الإسرائيلي في كندا ، عاد الحديث عن معاداة السامية . البروفسور إميل فاتنهام من جامعة تورنتو طلب أن يطرد فورست من وظيفته . ثم بدأ أغراب بحضور الخطب الدينية التي ألقاها القسيس ، وسجلوها . قالت مجلة « جلوب » : « إن فورست مخدوع من قبل العرب والشيوعيين » . وحين لم يتهم بمعاداة السامية ، قالوا إن مصابره معادية لها ، وخطبه تسهم في خلقها . اضطر القسيس لإلغاء خطبه . وبقي الصهاينة يسعون لطرده من وظيفته ،

أو على الأقل ، فرض الرقابة على كتاباته . وحين نشر الرجل أخيراً كتاباً إنسانياً النزعة تعاطف مع معاناة الفلسطينيين بعنوان : « الأرض غير المقدسة » رفض قراء كندا أن يقوم مقص الرقيب بحذف الكتاب . ولكن الكثير من الشركات المهمة رفضت عرض الكتاب ، مما دفع بالقراء للبحث عنه وشرائه حتى بات فى قوائم أكثر الكتب مبيعاً .

وإن فشلت الصهيونية فى إخفاء هذا الكتاب ، إلا أن فورست بقى يعانى النقد المقذع ، ورفعت ضده أكثر من قضية فى المحاكم . فورستر وإبستين دعياه « المسيحى معادى السامية الأول فى كندا » . وقد لاحظت إحدى المجلات فى تعليقها على الموضوع « عدم مرونة اليهود تجاه أى فرد يتساعل بشأن سياسات إسرائيل . استطرد صحفى مجلة « مان أوف ذا تشرش » قائلاً : « الصحافة الكنائسية تلتزم بأخلاقيات المهنة ، مثل الصدق ، وترفض الدفاع عن فكرة بسبب الخوف أو بحثاً عن العطف » ثم استطرد : « تحتاج الكنيسة والمجتمع لصحافة حرة ، ملتزمة ومسئولة ، حتى تنقل صورة صادقة عن العالم لقرائها . وإن استسلمت قيادات الكنيسة لضغوط مجموعات بعينها ، مهما قويت ، فذلك يقلل من قدرة القراء على معرفة ما يدور حولهم » .

كان القسيس الكاثولىكى دانييل بريجان ممن احترمهم اليهود لعدة أعوام بسبب شجاعته فى انتقاد حرب فيتنام . ثم زل حين تحدث عما يدور فى الشرق الأوسط . إذ قال فى ندوة لشباب العرب الأمريكان حديثى التخرج فى واشنطن :

المأساة هى أن تتحول كلمات الحكمة التى نطق بها أنبياء إسرائيل القديمة ، إلى سيل من العنصرية ، والاستخدام السيئ لعلم الاجتماع لإثبات تفوق اليهود على الشعب الذى احتلوا أرضه . تحول حلم إسرائيل إلى كابوس ، فهذه الدولة لم تساعد العالم فى الخلاص من الفقر والمعاناة ، بل فى البحث عن السلاح . ولم تحرر الأسرى ، بل ملأت السجون بالأفراد ، وأنتجت أجهزة التصنت ، وباعت للعالم أسلحة متطورة .

قسوة هذه الكلمات لم تتجاوز حدود حرية الحوار فى مجتمع ديمقراطى . وقد قال بريجان كلاماً أسوأ بكثير عن تصرفات الأمريكان خلال حرب فيتنام ، وقال المدافعون عن إسرائيل كلاماً أكثر سوءاً عن العرب . ولكن العاصفة التى واجهها هذه

المرّة فاقت كل ما لاقاه من قبل . فقد تناسى رفاقه من اليهود كل مواقفه التي شجعوها سابقا . سعوا لإسكاته تماما . مثلا ، حجبت عنه جائزة نوبل للسلام التي كان المفترض أن يأخذها بسبب معاداته للحرب في ٩ يناير ١٩٧٤ . والمتحدث باسم مجموعة نيوهيفن الذي كان سيقدم الجائزة تحول للقدح : « إن كلمات بريجان زادت العرب ثباتا واليهود خوفا في الوقت الذي لا يمكن أن يحدث السلام إلا من خلال تهدئة مخاوف اليهود وإضعاف ثبات العرب » (وقد تكون هذه المقولة خير مثال للتعصب ، إذ تعنى أنه يحق لإسرائيل أن تخيف جيرانها ، وأن العرب هم فقط المتعصبون في الشرق الأوسط) . في مجلة التايمز ظهرت دراسة ناقدة بقلم أرفنج نبيجال ، وفي مجلة كومن ويل ، انتقد مايكل نوفاك بحدة نقد بريجان لإسرائيل .

ولكن نوفاك ذاته ، ورفيق عمره في الصحافة الأمريكية ، إيفنز ، تعرضا لمحاولات لكتم صوتهما حين نكرا عام ١٩٧٣ ، أن قيادات الصهيونية الأمريكية متضايقة من اختطاف إسرائيل لطائرة لبنانية وإجبارها على الهبوط في إسرائيل . بل إن الصحفيين نبها « لاحتقار إسرائيل للرأي العام العالمي » ، وبسبب تحذيرهما « إن إنشاء إسرائيل للمستوطنات في الجولان السورية التي احتلتها إسرائيل ، وفي سيناء المصرية خطر » بسبب هذه الأقوال اعتُبرا من أعداء السامية في كتب مجموعة ADL واستمر الانتقاد لهما حتى اضطرا للحديث عن هذا الموضوع ثانية ، عام ١٩٧٥ ، للدفاع عن نفسيهما ضد الاتهام بالتحيز ضد إسرائيل .

نظريتنا الثابتة هي أن رؤية الولايات المتحدة لصراع العرب مع إسرائيل تحكمه مصالحها ، لا مصالح العرب أو إسرائيل . يوما سعيينا حينما كتبنا عن الشرق الأوسط للبحث عن مصالح بلادنا ، ولا يمكن اعتبارنا في صف العرب أو إسرائيل .

مجلات معروفة مثل كرستيان ساينس مونتر انتقدت كذلك لأنها تقف في صف العرب ضد إسرائيل . وقد واجهت هذه المجلة العريقة ، مثل غيرها من الصحف ، بعض المشاكل الاقتصادية . فحاولت عقد اتفاق مع مجموعة تحرر المرأة ، التي تضم حوالي ١٥٣ ألف عضو وعضوة . وضغطت التجمعات اليهودية لإيقاف هذه الصفقة . في جريدة « يهود بوسطن » ، هاجم د . جيرالد والبرج المجلة لأنها « انتقدت

إسرائيل ، وتعاطفت مع وجهات النظر العربية » . ثم أكد على ضرورة إيقاف الصفقة ، وطالب « المرأة اليهودية » بالكتابة لقيادات المجموعة ، لإيضاح « أن التعامل مع مجلة عنصرية يعنى الموافقة على عنصريتها » .

تغيرت المجلة بعد ذلك ، ولم تعد تقدم وجهات النظر العربية التي شرحها الصحفي جون كولى في صفحاتها الأولى ، ورفضت نشر دراسات جادة قدمها أعضاء مركز المعلومات العربى . ضغوط ADL وغيرها أثرت بالفعل على مجرى الصحافة .

وليست الصحافة فقط ضحية للابتزاز باسم معاداة السامية ، بل كان من الضحايا أيضا مدير ثانى أكبر شركة نفط أمريكية ، كما توضح المراسلات التالية بين مدير ADL ومدير شركة جولف أويل ، بوب نورسى :

السيد نورسى :

كما تعلم ، هناك قلق بين يهود أمريكا بسبب إيراك أن شركة جولف أويل تبرعت بمبلغ من المال فى بيروت لبنك استخدم المبلغ لدعاية عربية فى الولايات المتحدة . وصلت المؤسسات اليهودية عدة رسائل بشأن هذا المبلغ الذى قدمتموه وما نتج عنه من ضرر . وحتى نستطيع الاستجابة لهذه الرسائل ، نحتاج لإجابة رسمية من طرفكم .

وأجاب السيد نورسى بما يلى :

السيد جراوبارد :

أشكر على رسالتك فى ١٥ أغسطس ، نشارككم اهتمامكم بقضية المبلغ الذى تبرعنا به فى الخارج لأهداف تعليمية داخل الولايات المتحدة .

نؤكد عدم معرفتنا الشخصية بالتبرع أثناء حدوثه . ونعتقد أنه لا يحق لشركة أمريكية التبرع لدعم مصالح قوة أجنبية داخل الولايات المتحدة . وعزمنا على عدم تكرار هذا الوضع ثانية . يؤسفنا حدوث هذا التبرع ، ولن نسمح بتكرار الخطأ ثانية .

والتبرع ، وقدره ٥٠٠٠٠ دولار أمريكي ذهب لإبلاغ الأمريكان بوجهة النظر العربية بشأن صراع الشرق الأوسط . ولكن قوة معاداة السامية أجبرت إحدى أضخم الشركات الأمريكية على التراجع . ومع ذلك . فمن يجرؤ على مواجهة المؤسسات التي تتبرع بملايين الدولارات كل عام لذات الأهداف التعليمية لمصلحة إسرائيل ؟ ربما بات الدفاع عن إسرائيل مقبولا . أما العرب فيبقون أجنب معتدين . كما ذكر صحفي في مجلة لايف : « نتيجة الإعلام اليهودي هي أن كل أمريكي بات قريبا من اليهود ، وأن إسرائيل باتت جزءا من سياساتنا ، بينما تحول العرب إلى أعداء » . كانت عملية غسل دماغ ناجحة تماما . إسرائيل صارت جزءا من الولايات المتحدة .

تأثير الصهيونية واضح كذلك في الكونجرس الأمريكي . فبعد حديث صحفي معروف للجنرال براون ، قال ممثله في نيويورك بيلا أبروك : « نتوقع سماع هذه الأقوال من طاغية نازي ، لا قائد عسكري مخضرم في الجيش الأمريكي » . « أما سبب هذه الضجة » ، فقد كان استجابة الجنرال لسؤال بشأن إمكانية استخدام الولايات المتحدة للقوة ضد الدول المنتجة للنفط ، إذ قال :

لا أعتقد . أرجو ألا يحدث ذلك . لا نخطط لأي شيء الآن . من الممكن أن ترتفع أسعار النفط حتى يسوء الاقتصاد ، فيعاني الناس ، ويقررون النهوض ومواجهة التأثير الصهيوني في هذه البلاد . وذلك التأثير أقوى مما تتصورون . يأتي الإسرائيليون طالبين التسليح ، فنقول لهم : الكونجرس لا يوافق . فيجيبوننا : لا تقلقوا . نحن نتعامل مع الكونجرس ، هؤلاء أفراد من دول أخرى ، ولكنهم يملكون بنوكا هنا . تطلع لعمل المال اليهودي في الولايات المتحدة .

وقد دار هذا اللقاء خلال الفترة التي جاء فيها ياسر عرفات إلى الأمم المتحدة ، وتحدث بشأن مغانة شعبه وطموحاته بشأن تكوين دولته المستقلة .

وكلمات الجنرال براون تدل على معاداة للسامية ، ولكن بيتر كاهن ، مدير جامعة يورك ، اليهودي ، الذي دعا جنرال براون للحديث في الجامعة قال : « بقية اللقاء معه ، وما ذكره في جميع المواضيع الأخرى ، لا يدل على معاداته للسامية » .

ثم تم تغيير الكلمات لجعل معناها أشد خطورة . الصحفي هاميل حرّف الكلمات كالتالى : « سيعانى الشعب الأمريكى إن لم يواجه التأثير اليهودى فى هذه الدولة » المعنى هنا تبدل تماما . والواقع هو أن براون كان قائدا عسكريا خلال حرب عام ٧٣ ، وفتح الجسر الجوى الذى عاون إسرائيل على مواجهة القوات العربية وأنقذها من هزيمة محققة ، ولذلك كان عارفا بقوة الضغط الإسرائيلى على البيت الأبيض ، والبنّاجون (القيادة العسكرية) لنقل القوة العسكرية المطلوبة بسرعة .

وبدلا من التساؤل بشأن استمرار الولايات المتحدة فى تسليح إسرائيل ، وهو ما عناه الجنرال فى حديثه ، اتُّهم بمعاداة السامية ، وبقي الاتهام يتكرر لأسابيع لاحقة . الصحفي جيمس وشسلر من مجلة نيويورك بوست هاجم الرئيس فورد لإبقاء الجنرال براون فى منصبه ، واعتبر « هذيانه المعادى للسامية » غلطة مؤسفة . وادعت الصحافة أن ما قاله الجنرال فى الواقع جريمة لا تغتفر . أما الصحفي الآخر المعروف فى ذات المجلة ، هاريت فان هورن ، فاعتبر أن العنصرية موجودة فى داخل الجيش الأمريكى . وأن معاداة السامية بين العساكر جزء من « نظام قديم لا يفيد الدولة فى شىء » . أما ميچ جريرفيلد ، فكتب فى واشنطن بوست ، منكرا وجود أى تأثير للوبى الإسرائيلى فى واشنطن . وأكد أن اليهود كذلك لا « يملكون سوى ٣٪ من الصحف الأمريكية » . والواقع هو أن اليهود لا يحتاجون لامتلاك الصحافة ، إذ يكفى تواجد دعاة الصهيونية والمدافعين عنها فى مراكز الإدارة للصحف الأكثر أهمية وشيوعا .

وقبل أسبوعين من يوم الانتخابات ، تعرض الجنرال لهجوم قاس جديد . فى ١٢ أبريل ، أجرى الصحفي رانال لورى (الذى خدم فى الجيش الإسرائيلى) حواراً صحفياً مع الجنرال الذى أكد أن « إسرائيل عبارة عن ضغط ومسئولية تنوء بحملها العسكرية الأمريكية » . وقد تم تأجيل نشر هذا الحوار حتى الوقت الملائم للصهاينة، بعد ستة أشهر من حدوثه أثناء الحملة الانتخابية ، وبسبب الرغبة فى إحراج الرئيس فورد ، وطرده الجنرال ، وهو ما طالب به كل ساع وراء الصوت اليهودى . اعتبر والتر موندال أن « كلمات براون إهانة لليهود فى أمريكا » . وأنه « يجب ألا يعمل فى الجيش ، بل فى البالوعات » . الرئيس فورد اعترض على « اختيار الكلمات » ، ولكنه اعترف بأن احتياجات إسرائيل أضعفت قدرات الجيش الأمريكى فى أوروبا خلال عام ١٩٧٣ ، وإن تغير الوضع حالياً .

ومن الطريف أن إسرائيل لم توافق على هذه الاتهامات . فقال إسحاق رابين في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٤ لجمهور في تل أبيب : إن الجنرال براون « ساعد إسرائيل خلال الحرب الأخيرة أكثر من أى فرد آخر » .

وقد حاولت عدة مرات التحدث إلى ضحايا الإعلام الصهيونى ، ولكنهم خشوا الحديث بهذا الشأن . إن ما تذكره هو بعض تفاصيل من قصص معروفة . وهناك كثيرون فى جميع أرجاء الولايات المتحدة ممن فضلوا الصمت والتراجع عن مواقفهم . ربما سيجمع المؤرخون قصص المعاناة كاملة فى يوم ما .

ومن الواضح أننى كنت من أول الضحايا خلال الـ ٣٠ عاما الماضية . وسأكتب قصة ما واجهته فى مذكراتى . ولكن ذكر بعض الأحداث قد يوضح للقارئ ما يواجهه من يحاول الخوض فى هذا الشأن فى عصرنا .

منذ أن بدأت فى الحديث لأول مرة فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٥٢ بشأن الأوضاع المساوية للاجئين العرب وحتى عام ١٩٧٦ ، ضغطت الصهيينة على من دعونى للحديث لإلغاء الدعوة . وإن لم يتحقق هذا ، تعرضت للمقاطعة أثناء الحديث . القلة منا التى حاولت التعبير عن الآراء غير الشائعة لم تعرف هل ستستطيع الحديث إن دعونا ، أم سيلغى اللقاء فى آخر لحظة . فمجموعة ADL أخافت الداعين أو رشتهم أو عرضت عليهم جلب متحدثين أكثر شهرة . مثلا ، بعد ظهور كتابى إسرائيل وقيم السلام ، دعانى نادى الإمبراطورية البريطانية للحديث وقدمنى مقدم الجلسة د . برس هوجسون قائلا : « اتصلت بى سيدة وقالت : « نعرفك منذ أعوام ، ولا نود خسارة صداقتنا ، نتمنى أن تلغوا هذه الدعوة . إنه يقدم آراء خطيرة » . وقد أجابها هوجسون بالقول : « إنه يود أن يدعو من يعبر عن وجهة نظرها أيضا فى وقت لاحق . نريد سماع وجهات النظر المختلفة » . إذ كانت وجهة النظر الإسرائيلية هى المسموعة أغلب الوقت .

كتبت فى مذكراتى عام ١٩٦٨ ما يلى :

فى مدينة ماكنيس بلويزيانا اكتشفت أن الصهيينة وصلوا إلى أقصى أعماق الجنوب . فالحبر فى الولاية اتصل برئيس الكلية وطلب إلغاء كلمتى . وبعد إلقاء الكلمة الصباحية بدأت فترة سؤال وجواب عاصفة تدخل فيها ممثل ADL وزوجة الحبر

المذكور التي قالت : « لا توجد ديمقراطية في الشرق الأوسط سوى في إسرائيل ، ولذلك لابد لنا من الدفاع عن واحة الحرية في صحراء الطفغان العربى » . وحين ذكرت في جوابى سوء معاملة إسرائيل للعرب واليهود الشرقيين ، أجابت « هذه قضية سنحلها قريبا » أجبتها : « ومن أنتم الذين سوف تحلونها ؟ » . قالت بسرعة : « أنا يهودية ، صهيونية ، أمريكية » .

وقد تلقيت رسائل - الكثير منها من نيويورك ، حوت السب والتهديد - الاتهام بالفاشية ، والنازية ، ويأتى بعت نفسى للنقط العربى ، وإلى من قال إنه سيدفع ٥٠٠٠ دولار لمن يقتلنى .

والواقع هو أن الخطر الأساسى هو الموجه ضد الحرية . د . إسرائيل شاحاق ، الذى تعرض لحملة مشابهة في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، بهدف طرده من عمله الجامعى ، قال : إن هناك من يعيشون ومعهم عقدة اضطهاد حتى في الولايات المتحدة ، وإنهم سبب هذه الحملات . ثم استطرد قائلا :

الولايات المتحدة دولة حرة ديمقراطية ، إلا في شأن قضية إسرائيل ويهود الشرق الأوسط ، الكثير من دعاة الحرية في كل موضوع آخر يصبحون قساة مضطهدين ، بل وعنصريين بهذا الشأن . المجتمع الذى يستند إلى الاضطهاد لا يكبت الصوت الآخر فحسب ، بل يدافع عن رأى سائد يردده الجميع بدون التفكير فيه ، أو حتى إبراك معناه . وقد يتوهم البعض أنى أبالغ ، ولكن ، وقبل مجيء القوى التسلطية لأى مجتمع ، اتهم الناس الذين قاموا بالتحذير بالمبالغة . فقط في مرحلة لاحقة ، عرف الناس بوجود قوى كانت تتسلط أساسا في المجتمع قبل مجيء هذه القوى للسلطة .

هناك علاج واحد لخطر التسلط ، وهو محاربته في كل مكان ساعة ظهوره حسب قاعدة أرسطو القائلة : إن أية حياة لا يفكر فيها المرء لا تستحق أن يحياها . لابد من مراجعة كل القواعد حسب أسس العدالة بدون أى خوف من التهديد .

خامساً: "الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية"

روجيه جارودي

تمهيد

يعد كتاب « الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية » لروجيه جارودى من أهم الوثائق التى تدين الحركة الصهيونية ، إذ يتناول تاريخ الحركة الصهيونية وسياساتها منذ تكوينها حتى أواخر القرن العشرين .

وقد رفعت أكثر من قضية ضد جارودى لأنه شكك فى حقيقة المحرقة التى أقامتها النازية لليهود فى هذا الكتاب . وهذا التشكيك فى التاريخ الرسمى لأوروبا القرن العشرين لا يزال من المحرمات فى فرنسا .

ومن المؤكد أن جماعات الضغط الصهيونية التى انتقدتها فى كتابه كانت وراء القضايا التى رفعت ضده والتشويه الإعلامى لسمعة رجل فرنسى هو من أعظم مفكرى القرن العشرين .

والكتاب يبدأ بدراسة بعض النصوص الدينية التى اعتمد عليها الفكر الصهيونى ، موضحاً أن لهذه النصوص معانى تخالف كثيراً تلك التى تستند عليها الصهيونية لتبرير إقامة دولتها على أراضٍ احتلتها وهجرت سكانها منها ، مؤكداً أن الدين لا يبرر الإرهاب الإسرائيلى : بدءاً بقتل ٢٢٧ فلسطينياً فى دير ياسين ، حتى قتل باروش شتاين للفلسطينيين وهم يصلون ، واغتيال الكونت برناوت ولورد موين ، اللذين قُتلا بسبب كشفهما لحقائق الإرهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين الذين شردوا من قراهم التى تم تدميرها ، ومقتل الآلاف من المدنيين من قبل شارون فى عام ١٩٨٢ ومسئوليته ، مع الجنرال رافال إيتان ، عن قتل المواطنين فى صبرا وشاتيلا .

جارودى يحلل أيضاً سيطرة جماعات ضغط إسرائيل على السياسات الأمريكية المتعلقة بالشرق الأوسط ، وتمويل الولايات المتحدة لدولة إسرائيل .

وقد يتهم البعض جارودى هنا بمعاداة السامية ، ولكنه فى الواقع يذكر فى أكثر من موقع فى دراسته القيمة ، أن هدفه هو كشف حقائق الفكر الصهيونى ، وليس نقد أى دين سماوى .

مقدمة المؤلف

يقدم هذا الكتاب تاريخا لهرطقة . فمن خلال تفسير حرفي اعتمد على اختيار أجزاء بعينها من كتاب مقدس ، تحول الدين إلى أداة سياسية وأفرغ محتواه . وهذا النوع من الهرطقة مرض شاع في أواخر القرن العشرين .

لقد حاربت التطرف الإسلامي في كتابي « عظمة وانحدار الحضارة الإسلامية » وأغضبت آرائى البعض . وحاربت التطرف المسيحي في « معارك الأديان » . وأنا أحارب اليوم التطرف اليهودي في « الأساطير المؤسسة للحضارة الإسرائيلية » مؤكدا صدق قول الحبر هرش : « الصهيونية تسعى لتحويل الديانة اليهودية إلى قومية ، وهذه هرطقة » .

وماهى الصهيونية التى أنتقدها فى هذا الكتاب ؟ لقد عرفت هذا الحركة نفسها بشكل سياسى :

منذ عام ١٨٩٦ ، تدل كلمة صهيونية على حركة سياسية أسسها ثيودور هرتزل .. وهى حركة وطنية لم تنتج عن اليهودية ، بل بعد بزوغ النزعات الوطنية فى القرن التاسع عشر . وهرتزل مؤسس الصهيونية السياسية لم يدع الانتماء لدين إذ يقول : « أنا لا أتبع وازعا دينيا » . ويستطرد قائلا : « أنا علمانى النزعة »^(١) ولم يكن هرتزل مهتما بأرض مقدسة بعينها . لتحقيق أهدافه الوطنية ، كان سيقنع بأوغندا ، أو قبرص أو الأرجنتين ، موزمبيق أو الكونغو^(٢) . ولكن ، وبعد أن اعترض الكثير من

(١) Th. Herzl : Diaries . Ed. Victor Gollanzq, 1958

(٢) ذات المصدر ، ص ٥٤ .

رفاقه اليهود ، عرف أهمية « الأسطورة العظيمة » التي كانت بمثابة « صرخة لا يمكن مقاومتها » .^(٣) وهذا كان نداء لم يستطع السياسى الواقعى تجنبه . متخذاً القرار بتحويل الأسطورة العظيمة بالعودة إلى تاريخ حقيقى ، قال : « فلسطين هى الوطن الذى عشنا فى ربوعه فى الماضى . الاسم وحده صرخة تجمع شعبنا »^(٤) . ثم استطرد قائلاً : « بالنسبة لى ، القضية اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية .. إنها قضية وطنية » .

القضية استعمارية ، هرتزل يوضح هذا بصراحة : « لابد من تأسيس « شركة » تحميها بريطانيا ، أو أى قوة أخرى ، كخطوة أولى فى درب تأسيس « الدولة اليهودية » ، ولذلك طلب العون من رجل خبير بتأسيس المستعمرات والتعامل معها ، وهو سيسيل روبرتس ، الذى استخدم شركته حتى امتلك جزءاً من جنوب أفريقيا يحمل حتى الساعة اسمه : « روديسيا » .

وقد كتب ثيودر هرتزل رسالة إلى روبرتس فى ١١ يناير عام ١٩٩٢ : « أرجو أن ترسل لى ردك بالموافقة على المشروع الذى كتبت لك بشأنه بعد دراسته . وقد تتساءل : لماذا أطلب مساعدتك ، السبب هو أن طبيعة مشروعى سياسية »^(٥)

وقد كان للمشروع ثلاثة مستويات : السياسى ، والوطنى ، والاستعمارى . وقد كان هرتزل فى الواقع عبقرياً سياسياً ، وإن استخدم أساليب ميكافيلى . بل ويمكنه القول : « لقد أنشأت الدولة اليهودية »^(٦) .

وبعد نصف قرن ، طبق تلامذته ذات الأساليب ، واتبعوا ذات الخط السياسى لتكوين دولة إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن المشروع السياسى ، الوطنى ، الاستعمارى ، لم يحقق طموحات الديانة اليهودية وروحانياتها . فى الوقت ذاته بينما

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٥ .

(٤) L'etat Juif, P. 209

(٥) Herzi , Tagebuch, vol 3 , p. 105

(٦) Diaries, p. 224

دار المؤتمر المعروف فى براسل ، الذى استحال انعقاده فى ميونخ ، نظراً لمعارضة اليهود الألمان له ، حدث مؤتمر آخر فى مونتريال عام ١٨٩٢ ، حين تحدث الحبر إسحاق مير وايز ، أهم أحبار اليهود فى أمريكا ، مطالباً بالاحتجاج ضد الصهيونية .

نعارض تماماً فكرة تكوين دولة إسرائيلية . المساعى من هذا النوع تقدم رؤية خاطئة لوظيفة الأمة اليهودية .. التى تهدف لتكوين أمة واحدة تتكون منها مملكة الرب فى الأرض .

وهذه المعارضة للصهيونية السياسية ، التى نتجت عن الجانب الروحى فى العقيدة اليهودية ، بقيت حتى عصرنا هذا . أما الإسرائيلية الصهيونية ، فاستخدمت التصارع بين الأمم ، وتأييد الولايات المتحدة ، وكونت قوة لا يستهان بها . وإن كانت قد قلبت تراثاً روحياً عظيماً رأساً على عقب ، إلا أنها لم تستطع إسكات أصوات رجال روحانيين عظماء .

وأحد أعظم الأصوات اليهودية فى هذا القرن ، وهو مارتن بوير ، انتقد تحول اليهودية إلى الصهيونية السياسية طوال أعوام إقامته فى إسرائيل حتى وفاته .

وقد قال بوير فى نيويورك :

الشعور الذى أحسست به أول يوم دخلت به إلى الحركة الصهيونية منذ ستين عاماً لم يتغير . تمنيت ألا تسير هذه الحركة مثل غيرها ، فتبدأ بآمال عظيمة ثم تنحط إلى أنانية جماعية ، مقدسة ، ولكن أنانية . على كل حال ، السؤال الأساسى الذى واجهنا حين عدنا إلى فلسطين : هل نلتى إلى هنا كرفاق وأخوة لسكان الشرق الأوسط ، أم كممثلين للقوى الاستعمارية ؟

التناقض بين الغاية والوسيلة الملائمة للوصول لها مزق الصهاينة . البعض أراد المزايا والقوة العظيمة ، وآخرون ، خصوصاً من الشباب ، تمنوا العمل معاً مع جيرانهم ، حتى يعيشوا جنباً إلى جنب من أجل المستقبل .

ليست الأمور مثالية فى علاقاتنا مع العرب ، ولكن وجد شعور بحسن الجوار بيننا وبينهم .

المرحلة الأخلاقية فى تكون فلسطين بقيت حتى جاء هتلر إلى السلطة . فدفع بجماهير اليهود الأوربيين للمجئ إلى فلسطين ، قسراً ، بلا خيار ،

كما كان يحدث سابقا . وهكذا ، تم استبدال التطور العضوى بهجرة جماعية تطلبت قوة سياسية لحمايتها .. غالبية اليهود فضلوا أن يتعلموا من هتلر ، لا منا . هتلر أثبت أن التاريخ لا يتبع دروب العقل ، بل القوة ، وأن القوى يقتل ولا يحاسبه أحد . وهذا كان الدشع الذى اضطررنا إلى مواجهته . اقترحنا فكرة الحياة معا ، بل والعاون مع العرب ، مما كان سيحسن الأوضاع الاقتصادية فى الشرق الأوسط ، ويعيد لتلك المنطقة دورها الريادى فى الحضارة العالمية ^(٧) .

متحدثا إلى المؤتمر الصهيونى الثانى عشر فى كارلسباد ، قال بوير :
فى ١٥ سبتمبر ١٩٢١ .

نتحدث عن عقل إسرائيل مدركين أننا نختلف عن بقية الأمم . ولكن عقل إسرائيل هو شعورنا الوطنى ، أى أنه عبارة عن غرورنا الجمعى ، الذى حولناه إلى معبود . لقد رفضنا عبادة أى أمير سوى خالق الكون ، ومع ذلك ، فنحن مثل بقية الأمم ونشرب من مواردهم معهم . الوطن ليس القيمة الأعظم ، اليهود أكبر من وطن : إذ تجمعهم عقيدة عظيمة .

وقد تم فصل الديانة اليهودية عن جنورها ، وكان هذا هو جذر المرض الذى أدى لخلق الشعور الوطنى لدى اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر . وهذا النوع الجديد من الرغبة فى الأرض هو حجر أساس الوطنية اليهودية الذى أخذناه من وطنيات الغرب .

وما علاقة كوننا الشعب المختار بكل هذا ؟ إن يتم اختيارنا لا يعنى أننا أعظم . لا نقارن نفوسنا بالآخرين ، بل نتحمل مسئولية لإنجاز الوظيفة التى علمنا إياها الأنبياء . إن تفاخرت بكونك مختارا ، بدلاً من إطاعة الرب ، ستحيا فى الخطيئة .

(٧) . Jewish Newsletter, June, 2, 1958 .

وبعد أن تحدث عن « أزمة الوطنية » التي تعانيها الصهيونية السياسية ، التي اعتبرها انحرافاً عن الروحية ، يصل بوبر للاستنتاج التالي :

« حاولنا إنقاذ الوطنية اليهودية من تحويل شعب إلى صنم وعبادة ، وفشلنا^(٨) » .

الأستاذ جوداس مانجاس ، مدير الجامعة العبرية منذ عام ١٩٢٦ اعتبر أن «برنامج بلتمور» الذي يتطلب تكوين دولة يهودية في إسرائيل « سيؤدي إلى حرب مع العرب^(٩) . وفي عام ١٩٤٦ ، في احتفالية بدء عام دراسي جديد في الجامعة العبرية ، التي ترأسها لعشرين عاماً ، قال :

إن الصوت اليهودي الآن هو صوت المستبسات . بات السلاح عقيدة جديدة ، تورا أخرى ، في إسرائيل ، العالم مقيد بجنون العنف ، ونرجو أن يحمينا الرب من تقييد اليهودية وسكان إسرائيل بهذا الجنون . هذه اليهودية المنتصرة يهودية الأمم الأخرى التي تعلمناها منهم . خلال العصر الروماني ، حلمنا باستعادة صهيون الصديق . يهود أمريكا جميعاً مسئولون عن هذا الخطأ ، هذا التشوه ، حتى أولئك الذين يرفضون القيادات الأثمة ، بل يتطلعون بصمت . تخدير الحس الأخلاقي يؤدي إلى ضموره^(١٠) .

وفي الواقع ، منذ إعلان بلتيمور ، وجدت الصهيونية راعياً قوياً يحميها ، وهو الولايات المتحدة ، جرفت منظمة الصهيونية العالمية معارضة القلة التي تمسكت بالتراث الروحي اليهودي لأنبياء إسرائيل القدامى ، وطالبوا بتكوين دولة يهودية ، لا « مسكناً في فلسطين لليهود » حسب وعد بلفور أثناء الحرب العالمية الأولى .

في عام ١٩٢٨ ، انتقد ألبرت أينشتاين هذا الوعد :

(٨) Martin Buber , Israel and the World " Ed . Schocken . New York : 10 48P > 263

(٩) Norman Bentwich : For Zion Sake ; Biography of Judas Magnes Philadelphia " Jewish Publication Society of America , : 1954 , p. 325 .

(١٠) نفس المصدر ، ص . ١٢١ .

أعتقد أنه سيكون منطقياً أكثر الاتفاق مع العرب للحياة معا ، بدلاً من تكوين دولة لها حدودها ، وجيشها ، وقوتها العسكرية ، مهما كانت ضعيفة . أخشى من الدمار الداخلي الذي ستعانيه اليهودية بسبب الشعور الوطني . نحن لسنا الآن يهود الأزمنة القديمة . أن نتحول ثانية إلى أمة بالمعنى السياسى يعنى ترك روحية قومنا التى تركها لنا أنبياؤنا العظماء .^(١١)

ولم يخطئ هؤلاء المنذرون . إذ كثيراً ما خالفت إسرائيل القوانين الدولية . ولنذكر مثاليين عما قيل بصوت مرتفع ، معبراً عما فكر فيه اليهود بصمت ، وإن خافوا قوله للآخرين ، بسبب سطوة الجماعات الصهيونية . فى عام ١٩٦٩ ، خلال محاكمة إيشمان فى القدس ، أعلن تجمع يهود أمريكا : « نشكك فى حق الحكومة الإسرائيلية فى الحديث باسم جميع اليهود . نؤكد أن اليهودية دين ، لا قومية » .^(١٢)

خلال غزو إسرائيل الدموى للبنان ، ذكر البروفسور بنيامين كوهين ، من جامعة تل أبيب فى رسالة إلى ب . فيدال ناكيت فى ٨ - ٦ - ١٩٨٢ ما يلى :

أكتب لك وأنا أستمع إلى الأخبار فى المذيع . يقولون « إننا » سنحقق « أهدافنا فى لبنان : أى التأكيد على السلام » . أكاد أصاب بالجنون حين أستمع لهذه الأكاذيب . أترك أن هذه الحرب الهمجية ، الأكثر وحشية من أى حرب أخرى ، لا تتعلق بمساعى أمنية . فاليهود ، أولاد إبراهيم ، الذين عانوا وحشية العالم أكثر من أى أمة أخرى ، كيف تحولوا إلى ممارسة القسوة ؟ نجاح الصهيونية الأساسى هو فى تدمير العقيدة اليهودية .

أتمنى أن نستطيع إيقاف بيجن وشارون من تحقيق طموحاتهما ، وهى القضاء على الشعب الفلسطينى ، وعلى إنسانية اليهود .^(١٣)

(١١) Rabbi Moshe Menuhim . " The Decadence of Judaism in our Time " 1969, P. 324

(١٢) le Monde , june 21. 1960

(١٣) " Le Monde ? July 19 , 1982, P. 9

وقد سمي أحدهم سياسات إسرائيل في لبنان « اليهودية النازية » . وهذه هي أهداف الصراع بين الديانة اليهودية والصهيونية القومية ، التي تعتمد ، مثل أى قومية ، على رفضها لتقبل الآخر ، وعلى تقديس الذات .

تحتاج أى قومية للتحرر من ادعاءاتها وأنانيتها . فبعد أن ضعفت الكنيسة المسيحية ، ادعت كل أمة من الأمم لنفسها حق تمثيل الدين . فرنسا قالت إنها تنجز عمل الرب ، وألمانيا ادعت أن الرب معها . إيفا بارون قالت : « إن مهمة الأرجنتين هي أن تجلب الرب إلى العالم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، قال رئيس وزراء جنوب أفريقيا ، الذى دافع عن نظام التفرقة العنصرية ، ما يلى : « دعنا نتذكر أننا أمة الله ، ولنا وظيفة » . الصهيونية تشترك فى هذا المدح للذات الذى تقوم به جميع الأمم . حتى البروفسور أندريه نيهير يستسلم لهذا الإغراء . ففى كتابه الجيد ، « أسس النبوة » (ص ٣١١) بعد أن يفسر معنى ارتباط الخالق بعبيده ، يكتب أن إسرائيل هي « الدلالة على التاريخ المقدس فى العالم . إنها مركز الكون ، وقلبه النابض » .

وهذا التعليق يذكرنا بأسطورة عظمة الرجل الأبيض التى تأسس على أساسها الفكر النازى ، الذى يتعارض تماماً مع ما علمه الأنبياء ، وما نادى به مارتن بوبر حين تحدث عن الأنا والآخر . والنزعة الوحشية التى تستند إلى الغرور لا تتيح أى إمكانية للحوار . لا يستطيع المرء التحدث مع هتلر ، بسبب شعوره بأنه ينتمى لجنس أعظم ، ولا يتوقع من الآخر سوى الطاعة العمياء . وفى عصرنا لا يوجد سوى الحوار أو الحرب ، ولكن الحوار يتطلب أن يعرف كل طرف ما يفتقده واحتياجه للآخر ملء الفراغ . وهذه هي أوضاع أية رغبة للكمال (وهى روح أى عقيدة) .

لا نفعل سوى ذكر أقوال اليهود الذين حاولوا الدفاع عن الأنبياء ضد صهيونية القبائل . وهذه الصهيونية تؤدي لمعاداة السامية لا بسبب سياساتها العدوانية ، والخداع ، والقتل ، بل لأنها تختار النصوص الدينية التى تبررها فحسب ، وترفعها فوق مستوى القوانين الدولية .

الأساطير الدينية ...

١ - أسطورة الوعد : الأرض الموعودة أم المحتلة .

تعتمد الصهيونية السياسية على تأويل أصولي للدين ..

« إن امتك الفرد التوراة ، واعتبر نفسه من الأفراد المذكورين فيه ، فلا بد له من ملكية الأراضي التوراتية »^(١٤) .

في ٢٥ فبراير ١٩٩٤ ، ارتكب د . باروك جولدشتاين مجزرة وقتل عرباً يصلون في جامع .

في ٤ نوفمبر ١٩٩٥ اغتال يغال أمير إسحاق زابن ، « بأمر من الرب » ، له ومجموعته من « محاربي إسرائيل » بقتل كل من يسعى لإرجاع أراض موعودة لليهود العرب .

١ - الرؤية المسيحية

البروفيسور ألبرت دي بوري ، المتخصص في التوراة في جامعة جنيفا ، يلخص دراسته للدكتوراه بالكلمات التالية :

العنوان : « الوعد المقدس والأسطورة الثقافية في أسرة يعقوب » (من جزئين ، مطبعة جابالدا ، باريس ١٩٧٥) والدراسة تتناول بالتحليل أهم نظريات دارسي العهد القديم من المؤرخين ، ومنهم : مارتن نورث وألبرخت آلت . يقول المؤلف :

إن موضوع الوعد بوطن يتكرر في سفر التكوين حيث وعد الرب الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب بالأرض التي كانوا قد بدأوا باستيطانها . وهذا الوعد ينطبق على أرض فلسطين المعاصرة .

لقصة إسرائيل في التوراة مراحل واضحة بداياتها ونهاية كل منها . جميع النكريات ، القصص ، الأساطير ، والقصائد ، جمعت من التراث

(١٤) موسى ديان ، Jerusalem Post, August, 30 , 1967

الشفوى ، حسب إطار تاريخى . وهذا الإطار واضح فى أسلوب كتابة وترتيب النصوص .

كل من هؤلاء الأنبياء كان مستقلاً ، ولكن الأسماء جمعت لتتنمى لذات الأسرة . وهكذا بات إبراهيم أبا إسحاق وجد يعقوب . الأسباط الاثنا عشر لإسرائيل يعتبرون أبناء يعقوب ... إلخ ، إنهم الاثنا عشر ابناً - أجداد بنى إسرائيل ، الذين تركوا فلسطين لمصر بسبب المجاعة . وبعد نفى لمدة أربعمئة عام ، عاد أحفادهم ليكونوا « شعب إسرائيل » . وخلال ذات الفترة ، تركوا مصر ، وتاهوا فى الصحراء وأخيراً امتلكوا الأرض التى وعد بها أجدادهم . يؤكد المختصون أن غالبية هذه النظرية أسطورية .

أعمال البرخت آلت ، ومارتن نورث ، أوضحت بشكل خاص أن التقسيم إلى مراحل متتالية (الأنبياء ، الأسرى فى مصر ، الانتصار فى كنعان) مصنوع .

يقر غالب الدارسين فى عصرنا أن إسرائيل تكونت من القبائل والأسر التى تجمعت فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد فى فلسطين . وغالبية هذه القبائل ادعت أنها تنتمى لجد حفظوا عنه قصصاً كثيرة . وهكذا ادعت بعض القبائل أنها تنتمى للأب إبراهيم ، وغيرها أن جدّها هو يعقوب ، وآخرون أنهم أحفاد يوسف . حين سعت هذه الأسر للاتحاد تم ربط أجدادهم ببعضهم البعض فى نظام أسرى واحد . المعتقد هو أن إبراهيم وإسحاق ضموا إلى الأسرة الواحدة بعد أن اعتبرت الاثنا عشرة أسرة أنها حفيدة يعقوب - إسرائيل . وهكذا بات إسحاق أبا ليعقوب ، بينما صار إبراهيم الجد ، أى أبا إسحاق .

باختصار ، إن انتصار الإسرائيليين عبارة عن استقرار فى أرض بعد تجارب طويلة . المعارك التى حدثت كانت محدودة تماماً .

أكثر المفسرين يعتبرون أن الوعد عبارة عن تبرير للاستيلاء على أرض تم احتلالها بالفعل فى عصر الملك داوود . الوعد عبارة عن تقديم للعصر الذهبى ، وهو عهد النبى سليمان . وقد اعتاد رؤساء القبائل على الذهاب لمعبد الرب إيل حين استعدوا للرحيل إلى مواقعهم الشتائية . وقد قدم الكاهن عادة وعداً بحماية الرب لهم

خلال السفر وضمنان عودتهم بأمان إلى الأراضى التى ترعى قطعانهم فيها فى نهاية الموسم البارد . وقد شملت هذه الوعود أحياناً كثيرة إمكانية الاستقرار فى أراض خصبة .

يمكننا تلخيص بدايات الوعد بأرض بالشكل التالى :

(١) الوعد بأرض ، أى بالاستقرار ، قدم أولاً لمجموعة من القبائل الرحل الذين طمعوا فى الاستقرار فى موقع خصب . وبهذه الصيغة قدم الوعد لقبائل كثيرة .

(٢) هدف الوعد ليس احتلال أرض بعينها ، بل الاستقرار فى منطقة محدودة .

(٣) الوعد المقدم أول مرة فى سفر التكوين لم يكن لليهود ، بل للكنعانيين ، فقط الرب الذى يملك أرضاً يحق له تقديمها للناس .

(٤) بعد أن استقرت القبائل وكونت شعب إسرائيل ، بات للوعد معان جديدة ، منها السياسى والعسكرى .

وهكذا يأتى الوعد تبشيراً ، أو دلالة على احتلال فلسطين الفعلى ، وتبرير لقيامها . وكل الوعود المذكورة فى سفر التكوين تم رؤيتها بهذه الطريقة .

وإن كانت الوعود الأولى التى دلت على استقرار قبائل رحل تسبق مرحلة الاستقرار ، فإنها لا تنطبق على الوعد الذى يحمل فحوى وطنية أو قومية . وبما أن قبائل إسرائيل توحدت فقط بعد أن استقرت فى فلسطين ، فلا بد أن الوعد قد كتب فى مرحلة لاحقة . وهكذا فإن الوعد فى سفر التكوين الذى يقدم للشعب المختار الأراضى بين الفرات ووادى العريش ، وسكان هذه الأراضى ، عبارة عن طموح قومى نتج عن فتوحات الملك داوود . من الضرورى تذكر إضافة وعود جديدة ، مثل عدد كبير من الأحفاد ، للوعد الأول . وكل قاص قد أضاف صيغته الخاصة للوعد . فياهسفت ركز على عدد كبير من الأحفاد ، بينما أكد ديوترونومى على امتلاك أراضى كنعان . البحوث المعاصرة أوضحت أن الوعد تحول إلى نص قومى قبل كتابته .

يعتبر ياهفست أول القاصين ، أو ربما مراجعى ومحققى القصص ، وقد عاش فى عصر النبی سليمان . وقد شاهد تحقق الوعد فى عصر داوود . قراءة متفحصية للنص توضح أن هدفه كان توضيح الفوارق بين سوء طباع الشعب ، وعظمة الرب .

والنص المذكور فى سفر التكوين ١٢ - ٣٦ ضرورى لفهم ما سعى ياهفست له . فحسب ذلك النص ، يتطلب رضا الرب عن إسرائيل رخاء الأمم الأخرى التى تعيش معها فى فلسطين . وهكذا لا نجد ما يدل على أن الرب فى يوم ما حادث شخصية تاريخية تدعى إبراهيم ووهبه أرض كنعان . لا يوجد عقد قانونى بتوقيع يهوه لإثبات هذا التعاقد . وليس هناك ما يدل على أن الوعد فى سفر التكوين يعكس واقعاً تاريخياً . ولا يمكن رسم حدود لدولة على هذا الأساس .

هل يمكن إذا استخدام الوعد لتحقيق أهداف سياسية ، مهما تكون مشروعة ؟ الإجابة لا . لا يمكن تكوين أى سياسة على أساس وعد مثل هذا . ولا يحق لأى مسيحى مساعدة مشروع توسعى لأى دولة على هذا الأساس .^(١٥)

٢ - رؤية اليهود لإسرائيل

قال الحبر آلر برجر ، المدير السابق للاتحاد اليهودى فى الولايات المتحدة فى مؤتمر صحفى :

لا يحق لأحد أن يدعى أن تكوين دولة إسرائيل الحالية تحقيق للنبوءات القديمة - أو أن الرب يبارك أفعال الإسرائيليين فى سبيل تكوين دولتهم والحفاظ عليها . بالنسبة لنا ، إن سياسات إسرائيل الحالية لا ترتبط البتة بإسرائيل القديمة الروحية . أقترح امتحان فكرتين تنتميان للتراث الروحى اليهودى .

فأولاً ، حين طلب الأنبياء القدامى إحياء إسرائيل ، لم تكن القداصة قد وهبت للأرض ذاتها . الشرط الأساسى كان إحياء التعاقد مع الرب ، فى وقت حين كسر الناس وملوكهم هذا التعاقد . ميخا يوضح هذا حين يقول :

(١٥) مصدر المعلومات هو مؤتمر فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى سويسرا تناول تأويلات دينية للصراع العربى الإسرائيلى ، ونشرت دراساته فى مجلة (Mont-Theological and Religious Studies. N 3, 1976)
(pelliier)

« اسمعوا هذا يا رؤساء بني يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم . الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم .. ولذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل وكحقل وتصير أورشليم خراباً وجبل البيت شوامخ وعر . (ميخا ٣ - ١٥ - ١٢) .

تبقى صهيون مقدسة إن حكمتها قوانين الرب . وهذا لا يعنى أن كل قانون يسن في القدس رباني .

التعاقد لا يشمل الأرض فحسب ، بل احترام المبادئ التي سنّها الرب مع الشعب . لا بد للأفراد من تطبيق قوانين العدالة ، الحق ، والإخلاص للرب . صهيون لا تعتمد على معاهدات ، وموازين قوى ، تجعلها أقوى من جيرانها . التراث الديني يوضح أن القداسة لا تعتمد على التراب ، أو على حضور شعب على قطعة أرض . الشيء الوحيد الذي يجعل صهيون مقدسة هو احترامها للتعاقد الرباني .

لا يحق لدولة إسرائيل الحالية ادعاء أنها تحقق المشروع المقدس . ذلك نفاق . الصهيونية المعاصرة في إسرائيل ، التي تود التحكم في الشعب اليهودي بأسره ، وتستخدم القوة لتحقيق ذلك الغرض ، عبارة عن دولة مثل غيرها من الدول .^(١٦)

الواقع هو أن يغال أمير ، الرجل الذي اغتال إسحاق رابين ، ليس منحرفاً أو مختلاً ، بل نتاجاً مثالياً للتعليم الصهيوني . فوالده من الأحمبار ، وكان تلميذاً ممتازاً في جامعة كلير كال بجوار تل أبيب ، حيث تعلم التراث التلمودي . وقد كان جندياً جريئاً في الجولان ، وكتب عن باروخ جولدشتاين ، الذي قتل ٢٧ عربياً أثناء الصلاة في الجامع . ومن الممكن جداً أن يكون قد شاهد في التلفاز الإسرائيلي البرنامج الطويل الذي أقسم فيه أفراد - جنود إسرائيل - بجوار مقبرة هرتزل على قتل كل من سيسلم للعرب الأراضي الموعودة .

Rabbi Eimer Berger : : Prophecy, Zionism and the State of Israel * Ed, American (١٦)
Jewish alternatives to Zionism. Conference at Leiden University (Netherlands) on March 20th
1968

اغتيال الرئيس رابين ، مثل جريمة جولدشتاين ، تنتمي للمنطق الأصولي للصهيونية : وهو الأمر بالقتل الذي « يأتي من الرب » كما يقول يغال أمير^(١٧) ، الذي لا يعتبر حالة خاصة في المجتمع الإسرائيلي : فحين تم اغتيال إسحاق رابين ، رقص المستوطنون فرحاً حول مقبرة (يعتبرونها ضريح !) جولدشتين^(١٨) .

وقد كان رابين رمزاً ، لا لأنه كما ادعى الرئيس الأمريكي في جنازته ، حارب طوال حياته من أجل السلام . بل كان في الواقع على رأس القوى المحتلة في بداية الانتفاضة ، هو الذي قدم الأوامر « بكسر عظام » الأطفال ، الذين استخدموا الأحجار للدفاع عن حياتهم . ولكن رابين أدرك استحالة الحسم العسكري حين يتصادم جيش ، لا مع جيش آخر ، بل مع شعب بأسره . ولذلك وافق على التنازل والوصول لحل وسط مع ياسر عرفات . وهو إعادة جزء من الأرض التي شجبت الأمم المتحدة إسرائيل لاحتلالها وإعطاء شعبها حكماً ذاتياً مستقلاً جزئياً . ولكن الجيش الإسرائيلي سيبقى موجوداً في قلب هذه المناطق لحماية المستوطنات التي باتت بقعاً للكراهية المتبادلة .

وكان هذا كثيراً للأصوليين الذين استقافوا من المستوطنات : وهكذا خلقوا حول رابين - الذي اعتبروه « خائناً » - جواً من الكراهية أدى إلى قتله . وهكذا مثل آلاف من الفلسطينيين ، صار إسحاق رابين ضحية لأسطورة « الأرض الموعودة » ، وهو العذر القديم الذي يستخدم لتبرير الاستعمار الدموي .

وهذا الاغتيال يوضح مرة أخرى أن سلاماً حقيقياً بين دولة إسرائيل ، الأمانة في حدود تقسيم عام ١٩٤٧ ، ودولة فلسطينية مستقلة ، يتطلب إنهاء الاستيطان الاستعماري ، أي أنه لا بد من إزاحة المستوطنات الواقعة في قلب الدولة الفلسطينية ، لأنها ستبقى مصدراً للاستفزاز وسبباً لحروب ستحدث في المستقبل .

Le Monde (AFP) November 8th 1995. (١٧)

El Pais (Spain) November 7th 1995 P. 4 (١٨)

أسطورة الشعب المختار

« هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر » : (خروج ٤ ، ٢٢) .

« يمكن تقسيم سكان العالم إلى إسرائيل وباقي الأمم . إسرائيل هي الشعب المختار .^(١٩) »

وهذه الأسطورة هي العقيدة ، بلا أي أساس تاريخي ، التي على أساسها تكونت ديانة التوحيد في العهد القديم . يبدو في التوراة ذاتها أن كاتبها الأساسيين ، ياهفست والوهست ، لم يكونا من الموحدين وإن أكدا على عظمة رب اليهود على غيره من الأرباب ، وغيرته بشائهم (الخروج ، ٢٠ ، ٢ - ٥) أما رب موآب ، كاموش ، فمذكور في القضاة (١١ ، ٢٤) والملوك (٢ ، ٢٧) كأرباب أخرى (سامول ١ ، ٢٧ ، ١٩) (الملوك ١ ، ٢٧) . بعد النفي ، وخصوصاً في عهد الأنبياء المتأخرين ، تم التأكيد على التوحيد . صيغة « لا تتبع رباً آخر » باتت « لا يوجد رب آخر » . وهذا التأكيد الذي لا يمكن التشكك فيه بالتوحيد يأتي في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد (بين ٥٥٠ - ٥٢٩ ق.م) .

عقيدة التوحيد ثمرة نتجت من حضارات الشرق الأوسط العظيمة في بلاد ما بين النهرين ومصر . فمنذ القرن الثامن قبل الميلاد ، مسح الفرعون إخناتون جمع كلمة رب من جميع المعابد . صلاته « إلى الشمس » ملخصة في صلاة 104 حرفياً . الديانات البابلية اتجهت نحو التوحيد كذلك . المؤرخ البرايت تحدث عن كبير الأرباب - مريوخ ، قائلاً : « مادام جميع الأرباب باتوا صورة لرب واحد ، فما كان التوحيد بعيداً » .^(٢٠)

أفكار عن التوحيد ، والبحث عن مغزى للمعاناة الإنسانية ، الموجودة في قصة أيوب ، وفكرة التحرر من سلطة المصطهد عن طريق الاستقرار في بلاد أخرى (الموجودة في سفر خروج) ، جميعها وجدت في عدة ديانات شرق أوسطية .

(١٩) راين كوهين ، التلمود - باريس ١٩٨٦ . ص ١٠٤ .

(٢٠) albright . : Les religions dans le Moyen Orient . : P . 159

أسطورة يشوع : التطهير العرقي

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها في ذلك اليوم وخرّبوها بحد السيف وحرم كل نفس بها . ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وخرّبوها بحد السيف مع ملكها وكل نفس بها . (يشوع ٨ ، ٢٤) .

التفسير الأصولي الذي تعتمد عليه الصهيونية السياسية :

في ٩ أبريل ١٩٤٨ ذبح مناحم بيجن وجحافل أرجون ٢٥٤ فرداً سكنوا في ديرياسين ، ومنهم الرجال والنساء والأطفال . ونحن هنا ندرس استخدام النصوص الدينية لتبرير جرائم القتل الوحشية ، وهو ما حدث حين قتل الرومان اليهود ، ثم جاءت مجازر الحروب الصليبية ، وأخيراً أفعال إسرائيل ، ليس عبر سياساتها التوسعية في الشرق الأوسط فحسب ، بل عن طريق ضغوطها على الحكومات . وأقوى جماعاتها الضاغطة توجد في الولايات الأمريكية ، وقد أسهمت في خلق سياسة أمريكية اعتمدت على السيطرة والعنوانية واستغلال الماضي الأسطوري للسيطرة على المستقبل حتى ينتج ما يمكن أن يكون انتحاراً للعالم بأسره .

والتوراة تحوى بعض صور تدخل الله القدسي في العالم ، بدءاً بظهوره الذي يفوق أنظمة الفهم البشري ، وتضحية إبراهيم ، وفرار الإنسان من العبودية في ملحمة الخروج ، ومعها نبوءات آموس وحزقيال ، أشعيا وأيوب ، حتى نصل للتعاقد مع داود . والتعاقد الجديد (أو العهد الجديد) ينبئ بأعظم تقدم في تاريخ البشرية مع مجيء المسيح ، الذي « بات إنساناً حتى يتيح للإنسان أن يصير رباً » . ثم ، ومع القديس بولس ، عادت الرؤية التقليدية لرب يتحكم في حياة الإنسان من بعيد ، لا عن طريق قانون يهودي بل الرحمة المسيحية التي تدمر مسئوليات الإنسان بذات الطريقة « . لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله » (افسس ٢ ، ٨ - ١٠) . ولن نتعامل مع التوراة عموماً ، بل مع الأجزاء التي تلهم النظام الديني في إسرائيل ، والحركة الصهيونية : التوراة ، أي الأسفار الخمس الأولى ، التكوين والخروج ولأولين وعدد وتثنية ، والأجزاء التاريخية ، وهي يشوع ، وقضاة وملوك وسامويل . وهي

تحتوى أيضاً الأجزاء النبوية من التوراة التى تؤكد على تعاقد الرب مع الإنسان بشكل مطلق يطلب من الإنسان احترام القانون المقدس ويفتح الدين لجميع الأمم .

والتوراة كما أوضحت الدراسات التاريخية لأكثر من قرن ، جمعت أكثر من تراث شفوى كتبه كتاب سليمان فى القرن التاسع قبل الميلاد . وقد كان اهتمامهم الأكبر هو وصف انتصارات داوود وتكوينه لإمبراطورية . قاموا بتمجيدها ، ورسموا لها صورة أسمى مما كانت عليه فى الواقع . وعلى كل حال يستحيل تأكيد حقيقة وجود هذه الإمبراطورية من أى مصادر تاريخية أخرى . لا توجد أى آثار سوى النصوص التوراتية ، باستثناء قصة سليمان ، التى تشير لها أدلة آشورية . وقبل ذلك ، لا مصادر ، سوى النص الدينى ، تؤكد أو تنفى صحة المعلومات المذكورة . مثلاً ، الآثار العراقية لا تعطينا أى دلائل على وجود إبراهيم ، أكثر مما تدل آثار الإغريق على وجود هكتور أو برايم .

كتاب الأرقام (٣١ ، ٧ - ١٨) يصف أفعال « أبناء إسرائيل » الذين قتلوا الرجال كما طلب الرب من موسى أن يفعل ، وأسروا النساء ، وأحرقوا المدن . وحين عابوا إلى موسى ، غضب كثيراً ، لأنهم تركوا النسوة والأطفال . وطلب منهم ما يلى : « فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال . وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها . لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات » . (عدد ٧١ ، ١٤ - ١٨) . وخلال احتلال كنعان ، استخدم حفيد موسى ، يشوع ، سياسة التطهير العرقى التى أملاها عليه رب الجنود :

وأخذ يشوع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها لم يبق شاربداً . وفعل بملك مقيدة ما فعل بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع من مقيدة وإسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة . فدفعها الرب هى أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها . لم يبق بها شاربداً وفعل بملكها ما فعل بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها . فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل فلأخذها فى اليوم التالى وضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب ما فعل بلبنة . حينئذ صعد ملك هورام لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاربداً .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها في ذلك اليوم مثلما فعل بلخيش . ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها . وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل نفس بها . لم يبق شاربداً . (يشوع ١٠ ، ٢٨ - ٢٣) .

يستمر النص بذكر « المذابح المقدسة » التي ارتكبت في فلسطين . وحين نقرأ قصصاً مثل هذه ، نطرح سؤالين :

(١) الحقيقة التاريخية للموضوع .

(٢) نتائج تقليد سياسة التصفية العرقية في عصرنا .

بالنسبة للسؤال الأول : يلاحظ المؤرخون أن الإسرائيليين جاءوا في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، بعد أن هجرت مدينة أريحا . فتلك المدينة كانت قد هجرت حوالي عام ١٥٥٠ ق . م . وقد عاد للسكن فيها عدد قليل من الأفراد ، إذ وجدت بعض الآثار التي تعود لأواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولا توجد أى آثار تعود للقرن الثالث عشر . استنتاج الأنسة ك . م . كنيون هو استحالة تدمير أريحا حين جاء الإسرائيليون في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ^(٢١) .

وذات الوضع ينطبق على اجتلال آتيل .

من بين جميع القصص ، كانت هذه الأكثر تفصيلاً . ولا تحوى أى مادة من المعجزات وتبلى الأكثر واقعية . ولكن مع الأسف لا تثبت دراسات الآثار صدقها .

فقد فتشت الموقع مجموعتان من المؤرخين . وكانت النتائج كالتالى : ففي العصر البرونزى الباكر ، كانت آتيل مدينة كبيرة لا نعرف اسمها . ثم تدمرت حوالي عام ٢٤٠٠ ق . م . وبقيت مهجورة حتى حوالي عام ١٢٠٠ ق . م حين نشأت قرية غير محصنة على الأنقاض . وبقيت القرية فقط حتى أوائل القرن العاشر . وحين جاء

(٢١) K. M. Kenyon, " Digging up Jericho 3 London 1957, pp. 256 - 265.

الإسرائيليون ، لم توجد هذه المدينة ، وما كان لها ملك ، كل الموجود كان خراباً عمره ١٢٠٠ عام^(٢٢) .

بشأن النقطة الثانية : « لماذا ، إن كان اليهودي متديناً وأصولياً (يقرأ النص التوراتي بشكل حرفي) لا يتبع شخصيات مثل موسى ويشوع ؟ ألا يقرأ في عدد ، « فسمع الرب لقول إسرائيل ودفن الكنعانيين فحرموهم ومدنهم . فدعى اسم المكان حرمة » (٢١ - ٣) وعن الأموريين وملكهم : « فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد » (عدد ٢١ - ٣٥) .

شارون والحبر كاهان يطبقان هذه الأقوال في التعامل مع الفلسطينيين . ألم يكرر مناحم بيغن فعل جاشوا حين قتل ٢٥٤ فرداً جلهم من النساء والأطفال في مجزرة دير ياسين التي أجبرت العرب العزل على الفرار ؟^(٢٣) وهو يطلب من اليهود ليس دفع العرب بعيداً فحسب ، بل احتلال فلسطين بكاملها . ألم يكن يشوع هو الذي يتحدث بصوت موسى ديان ، إذ قال : « إن كنا شعب التوراة ، فإن أرض التوراة ملكنا »^(٢٤) . وصوت يشوع سمع ثانية في كلمات يورام بين يوراث حين قال للجريدة الإسرائيلية « يديعوت أحرونوت » في ١٤ يوليو ١٩٧٢ « لا يوجد شيء اسمه الصهيونية ، بدون طرد العرب والاستيلاء على أرضهم » . أما الأسلوب الملائم لتحرير الأرض ، فهو ما قاله رابين للتعامل مع أطفال الانتفاضة : اكسروا عظامهم . أما تلامذة التلمود ، فساعدوا رافال إيتان ، وهو من أهم المسئولين عن مجازر صبرا وشاتيلا ، في الوصول للسلطة حتى يعطيهم المزيد من السلاح للدفاع عن المستوطنات .

Pere De Vaux : " History ancienne d' Istraël " Ed . Lecoffre et Gabalda . Paris . (٢٢)
1971 T1. P. 565 .

Menahem Begin " La Revolte Histoire de L'Irogon (P. 200) : Editions Albaros (٢٢)
,1973

Jerusalem Post " August 10th 1977. (٢٤)

التفسير الحرفى للتوراة يؤدي لتكرار ذات المجازر التى توصف فى أجزاء منه .
وهذه الأفكار دفعت بياروخ جولدشتاين لقتل خمسين فلسطينياً وهم يصلون . فقد
انتمى لتجمع أصولى أسسه آريل شارون ، الذى كوفئ على تخطيط مجازر صبرا
وشاتيلا بأن بات وزيراً للإسكان ، حتى يدعم السياسات الاستعمارية ويساعد
المستوطنين فى إنشاء المزيد من المستوطنات فى قلب الأراضى المحتلة . أما
جولدشتين ، فله ضريح يزار من قبل الأصوليين . لأنه استمع لكلام الرب وسار على
خطى جاشوا فى جرائم القتل التى ارتكبها .

ونظام التطهير العرقى الذى بات جزءاً من سياسات الدولة الإسرائيلية ، ينتج
عن مبادئ تحرم دمج الدم اليهودى بدماء من هم من غير اليهود . فالرب يطلب من
موسى ألا يسمح لقومه بالزواج من بنات الأقوام الأخرى . (خروج ٢٥ ، ١٦) .
والنصيحة تتكرر فى تثنية : « لا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ ابنك » .
(تثنية ٣ - ٤ ، ٧) ، وهذا الفصل يعنى أن دم الشعب المختار لا يمكن جمعه
بدماء الأمم الأخرى : فى كتاب « التلمود » (باريس ، بيروت ، ١٩٨٦ ص ١٠٤) ،
يكتب الحبر كوهين : « يمكن تقسيم سكان العالم إلى اليهود والأمميين ، وإسرائيل
هى القوم المختار » . قال والد شمشمون له حين أراد الزواج من فلسطينية : « أليس
فى بنات إخوتك وفى كل شعبى امرأة لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف ؟ » (قضاة
٢ ، ١٤) . وهذا الرفض للدم الغريب فى الزواج يشمل أيضاً رفض الدين الآخر ،
الثقافة الأخرى ، وحتى أسلوب الحياة . وهكذا نجد فى التوراة نقداً لمن يتعلمون
أساليب ارتداء الأجانب للثياب ، ولغاتهم .

وقد نعى هاييم وهين ، القاضى فى المحكمة الإسرائيلية العليا ، « مرارة القدر
الذى جعلنا نطبق ذات القوانين العرقية التى دعا لها النازيون فى إسرائيل » (٢٥) .

وبالفعل ، خلال محاكمات مجرمى الحرب فى نيورمبرج ، طرح السؤال خلال
التحقيق مع جرليوس ستريتشر ، المتخصص فى شئون الأعراق :

(٢٥) Joseph Badi, " Fundamental Laws of the State of Israel " New York 1960 , P . 156

« في عام ١٩٣٥ ، في لقاء نيورمبرج ، طرح سؤال بشأن الأعراق . هل ساهمت بمشروع إعداد هذا القانون ؟

قال المتهم ستريشر : نعم . أقر بأنني ساهمت في إعداد قوانين نيورمبرج لأنني كتبت في عدة تراسات لأعوام بشأن ضرورة منع زواج الألمان من اليهود . واعتبرت اليهود مثالا لنا ، لأنهم احترمو قانون موسى القائل ، إن سافرت إلى بلاد غريبة ، لا تتزوج من نساءها . وقد اعتبرنا هذه القوانين اليهودية قاعدة لنا . فاليهود بقوا لأنهم احترمو هذه القوانين ، بينما نوت الأجناس الأخرى ^(٢٦) .

وقد استخدم مستشارو النازية الكثير من هذه القوانين لحماية الدم الألماني . وقد قال السيدان برنارد لوسنر وفردريك نوست عن هذه القوانين ما يلي : « لم نعتبر أن قوانين نيورمبرج ستسبب الكراهية بين الأعراق . بل دلت على أن أوضاع اليهود ستتحسن . فهم سيسافرون إلى وطن خاص بهم . لذلك لم نحتج البتة على روح قوانين نيورمبرج » .

وقد باتت العنصرية اليهودية مثالا للعنصريات الأخرى التي تسعى لإفناء الشعوب : « اعتمد الأمريكان الأوائل على صورة يشوع وهو يطهر الأرض من الأجانب في عمليات إبادةهم للهنود الحمر » ^(٢٧) .

وقد وافق ٧٧ ٪ من الأحرار على أفكار الفصل بسبب أن هناك جانب ديني لهذه الدعوة . ولكن هذا العذر لا يعفى الصهيونية من الإثم الذي ترتكبه . وهكذا يقول الحبر سيتروك : « أتمنى ألا يتزوج اليهودي سوى اليهودية » .

(٢٦) Trial of the Major War Criminals Before the International Military Cour : (Numrem November 14th 1945 - Oct 1th., 1946) . Official French Text.).

Thomas Nelison, The Puritans of Massachussets * Judaism . Vol xvi n2 1967. (٢٧)

وفى ١٠ نوفمبر عام ١٩٧٥ أعلنت الأمم المتحدة أن الحركة الصهيونية عنصرية . وبعد نهاية القطب السوفيتى ، تصرفت الولايات المتحدة وألغت هذا القرار ، ومرة أخرى مسحت الدم الذى يلطخ يد القيادة الإسرائيلية . فلم يتغير أى شىء منذ عام ١٩٧٥ فالكبت والقتل والاستيطان الاستعماري زابوا عشرة أضعاف منذ ذلك الحين .

أساطير القرن العشرين

أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

فى عام ١٩٤١ ، ارتكب إسحاق شامير « جريمة لا تغتفر » من وجهة نظر أخلاقية . فقد دعا إلى اتفاقية مع هتلر ، والنازية الألمانية ، ضد بريطانيا ^(١) . حين ابتدأت الحرب ضد هتلر ، جمعت كل تنظيمات اليهود قواها مع الحلفاء ، وأعلن عدد من أهم القياديين ، مثل وايزمان ، وقوفهم فى صفهم ، ولكن كان للمجموعة الصهيونية الألمانية ، القليلة العدد ، آراء مخالفة . فمنذ عام ١٩٢١ حتى ١٩٤١ ، اتخذت قرارات بالتنازل والتعاون مع هتلر . وقد أبقت السلطات النازية ، حتى وهى تعادى اليهود ، عن طريق منعهم من الخدمة العسكرية ، صلاتها بالقيادات الصهيونية ، وعاملتهم جيداً لأنهم ما كانوا من دعاة الاندماج . وهكذا ، فإن اتهام التصالح مع السلطات الألمانية لا ينطبق على غالبية اليهود . وهم لم ينتظروا حتى بدء الحرب لرفض الفاشية ، كما فعلوا فى إسبانيا منذ ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ - حين عرفوا كيف يموتون فى المعركة .

ونظراً لأن غالبية القيادات الصهيونية الألمانية تعاونت مع النازية لمدة ثمانية أعوام ، وبسبب الرغبة فى تكوين دولة إسرائيلية - باتت رؤيتهم أقرب للنازية ومعادية لبريطانيا .

(١) Bar Zohar. " Le Prophete arme : Ben Gourion . " (Fayard . Paris 1966, p. 99)

وفى ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ، بعد إعلان البريطانيين والفرنسيين الحرب ضد ألمانيا بيومين ، أعلن حاييم وايزمان ، رئيس المؤسسة اليهودية ، فى رسالة كتبها إلى رئيس الوزراء البريطانى ، نيفل تشامبرلن ، ما يلى : « نقف نحن اليهود فى صف بريطانيا العظمى ، وسنحارب من أجل الديمقراطية . » ثم استطرد قائلاً : « نحن مستعدون للتوقيع فوراً على معاهدة تسمح لكم باستخدام كل ما لدينا من قوة مادية وتقنية » ، وقد طبعت الرسالة فى مجلة Jewish Chronicle فى ٨ سبتمبر ١٩٣٩ . وكان إعلان مواقف حقيقية ، تسبب فى حصار جميع اليهود الألمان فى مواقع مقفلة على أساس أنهم « مواطنو دولة معادية فى حالة حرب مع ألمانيا » .

خلال عهد هتلر وموسوليني ، قامت قيادات الصهاينة فى ألمانيا بالتعامل بطريقة غامضة مع الفاشية ، أحياناً معارضة القوى المعادية للفاشية ، وطوراً متعاونة مع الفاشيين . لم يكن هدف الصهاينة هو إنقاذ حياة اليهود ، بل خلق دولة يهودية فى فلسطين . بن جوريون ، أول رؤساء الدولة اليهودية أعلن فى ٧ ديسمبر ١٩٣٨ لحركة العمال الصهاينة ما يلى :

لو عرفت أنتى أستطيع إنقاذ كل أطفال اليهود فى ألمانيا عن طريق نقلهم إلى بريطانيا ، ونصفهم فقط عن طريق نقلهم إلى إسرائيل ، لاخترت الحل الثانى . فلا بد أن نتذكر ليس فقط حياة الأطفال ، بل تاريخ إسرائيل^(٢) .

إنقاذ يهود أوروبا لم يكن من أهم نوافع القيادات . بل كان تكوين الدولة العبرية هو الدافع الأكثر أهمية^(٣) . وقد قال أحد قيادى الحركة الصهيونية الألمانية ما يلى :

Yvon Gellbner, " Zionist Policy and the fate of European Jewry " , in Yad Vashem (٢) Studies (Jerusalem , vol XII , p. 199

(٣) . Tom Segev . " Le Septieme Million " Ed. Liana Levi, Paris, 1993 , P . 539 .

هل يجدر بنا إنقاذ الجميع بدون التفكير فى قدرات ومزايا كل فرد على حدة ؟ ألايجدر بنا أن نقدم الأفراد الأكثر أهمية لئولتنا الجديدة وفائدة لليهودية ؟ أعرف قسوة طرح السؤال بهذا الأسلوب ، ولكن ، عمليا ، يجدر بنا إنقاذ من يمكن إنقاذه ومن سيفيد مستقبل بلادنا ^(٤) .

وقد دفعت هذه السياسات القاسية بالوفد الصهيونى فى مؤتمر ايفيان عام ١٩٣٨ ، الذى سعى للتعامل مع المشردين من ألمانيا ، إلى طلب السماح بتهجير ٢٠.٠٠٠ يهودى إلى فلسطين .

وهكذا بات إنشاء إسرائيل أكثر أهمية من حياة اليهود .

أما القيادات الصهيونية ، فاعتبرت أن أسوأ الشرور هو اندماج اليهود فى التجمعات الأوروبية التى يحيون فى وسطها . وفى هذا شابهوا الهنريين وغيرهم من العنصريين ، الذين اعتبروا الأساس هو طهارة الدم . ولهذا السبب اعتبر الهنريون الصهاينة رفاقا يمكن التفاهم معهم . وقد كان هدف النازية هو إفراغ أوروبا من اليهود تماما . وهناك أدلة على هذا التواطؤ بين النازيين والصهاينة . ففى رسالة بعثت فى ٢١ يونيو عام ١٩٣٣ إلى الحزب النازى ، قالت مجموعة « الاتحاد الصهيونى الألمانى » مايلى :

حين نعلن لئولتنا الجديدة ، سنحاول التطبع مع الواقع العالمى . اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بتكوين علاقات طيبة مع الشعب الألمانى بقياداته وحقائقه العرقية ، نظرا لأننا لا نود تقليل قيمة هذه المبادئ - فنحن أيضا نعارض الزواج من أجناس مختلفة - ونطالب بطهارة الجماعة اليهودية ونقاء دمها . اليهود الواعون لهويتهم والذين نتحدث باسمهم ، سيجدون مكانا فى بنية الدولة الألمانية ، نظرا لأنهم لا يفكرون مثل اليهود الذين انضموا للمجتمعات التى يحيون فى وسطها .. نؤمن بإمكانية علاقات جيدة بين اليهود المتمسكين بهوياتهم والدولة الألمانية .

Memorandum of the Salvation Committee of the Jewish Agency of the Jewish Agency - (٤)
cy . 1943

ومن أجل الوصول لهذه الأهداف العملية ، تعاملت الصهيونية مع حكومة معادية لليهود . « تحقيق الصهيونية لطموحاتها يعوقه فقط معاداة اليهود خارج ألمانيا . الإعلام المعارض للنازية الألمانية حاليا ليس صهيونيا »^(٥).

وقد أضافت الرسالة « ستسعى الصهيونية لإقناع يهود العالم بعدم محاربة ألمانيا إن تعاونت السلطات الألمانية معها »^(٦).

تعاطفت القيادات النازية مع الصهيونية ، التي سعت لخلق دولة في فلسطين ، مما سيعاونهم في تحقيق أهدافهم في التخلص من اليهود . وقد كتب ألفريد روزنبرج ، فيلسوف النازية ، ما يلي : « لابد من مساعدة الصهاينة حتى يسافر عدد من اليهود كل عام إلى فلسطين »^(٧).

رينهارت هايدرش ، الذي بات لاحقا « حامى » تشيكوسلوفاكيا ، كتب في Das Schwarze Korps ، وهي مجلة الفرع الرسمي للمخابرات الألمانية ، دراسة بعنوان : « العدو الخفى » فصلت بين نوعين من اليهود :

لا بد من التفرقة بين نوعين من اليهود ، دعاة التفرقة ودعاة الاندماج . الصهيونية تؤمن بالفصل بين الأجناس المختلفة ، وعن طريق الهجرة إلى فلسطين ، يسعون لتكوين دولتهم الخاصة بهم . ونحن نتمنى لهم التوفيق في مسعاهم الحميد^(٨).

وقد كان للصهاينة في ألمانيا اسم خاص بهم ، وهو هرزليا . وقد شجعت الجستابو هذه الجماعة وقامت بحمايتها . وقد حدث في يوم أن هاجم عدد من الضباط الألمان مخيما تابعا للجماعة ، فقدم رئيسها شكوى إلى الجستابو . وبعد بضعة أيام ، أعلن البوليس السرى أن الضابط المسئول قد عوقب على خطئه .

(٥) Lucy Dawidovitch , " A Holocaust Reader : P. 155 .

(٦) Lucy Dawidovitch : " The War Against Jews " (1933 - 1945) * Penguin books . 1977 .

P. 231 - 232 .

(٧) A. Rosenberg. " Die Spur des Juden im Wandel der Zeiten . " Munich 1937. P. 153.

(٨) Hohne. " Order of the Death's Head " p. 333 .

الجستابو سأل المجموعة عما تريده للتعويض عما لحق بها من ضرر ، فطلبوا أن يعاد لهم حق ارتداء القمصان الرمادية ، الذي كان اليهود قد حرموا منه ، ووافقت السلطات على ذلك^(٩) .

وقد كتب بولو - شوانت إلى وزارة الداخلية ما يلي : « لا يوجد أى سبب لفرض أى قيود على الحركة الصهيونية فى ألمانيا . فالصهاينة لا يعانون منهجنا الاشتراكى القومى ، الذى يهدف إلى دفع اليهود لهجر ألمانيا بشكل مرحلى »^(١٠) .

وقد تم تطبيق هذه الأوامر القيادية بحزم . وبسبب الأوضاع المثالية للصهيونية فى ألمانيا ، طلب البوليس فى دولة أخرى ، وهى بافاريا فى ٢٨ يناير ١٩٣٥ ما يلى : بسبب سعى الصهيونية إلى الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، يجب ألا نعاملهم بذات القسوة التى نعامل بها اليهود الذين يبدون الارتباط والانتماء إلى المجتمعات الأوربية التى يعيشون فى وسطها^(١١) .

كان للتنظيم الصهيونى للألمان اليهود كيان قانونى حتى ١٩٣٨ ، خمسة أعوام بعد مجىء هتلر . بل إن جريدة Judaice Rundschau الصهيونية النازية بقيت تصدر حتى عام ١٩٣٨^(١٢) . وفى مقابل الاعتراف بالصهيونية كممثل للمجتمع اليهودى ، عرضت القيادات الصهيونية كسر الحصار الذى حاولت تجمعات عديدة فرضه على النازية . وقد بدأ التعاون الاقتصادى بين الطرفين عام ١٩٣٣ ، وتم تأسيس شركتين ، وهما « حفارة » فى تل أبيب و « بالترو » فى برلين . وكان النظام المتبع كما يلى : إن أراد يهودى الهجرة يحتاج لدفع ١٠٠٠ باوند إسترليني فى بنك واسرمان فى برلين أو بنك واربرج فى هامبرج . وبهذا المبلغ يستطيع المصدرون شراء مواد ألمانية ترسل إلى فلسطين ، يتم دفعها هناك لحساب شركة حفارة فى البنك الإنجليزى

(٩) Ben Yeruham . " Le Livre de Betar. T. II . P. 350.

(١٠) Letter number Zu 83 - 21 . 28/8, April 13, 1935 .

(١١) Kurt Grossmann : " Sionistes et non Sionistes Sous la Loi Nazie dans les annees 30 : " .

Yearbook. Vol. VI. P . 310

(١٢) Leibowitz: " Israel et Judaisme " Ed. Desclee de Brouwer, 1993. P . 116.

الفلسطينى فى تل أبيب . وحين يصل المهاجر إلى فلسطين ، يستلم مبلغا موازيا لما دفعه فى ألمانيا .

والكثير من وزراء ورؤساء وزارات إسرائيل اشتركوا فى عملية « حافارا » ، وبينهم بن جوريون ، وموشى شاريت ، وجولدا مائير (التى شجعته من نيويورك) ، وليفى أشكول ، الذى مثلها فى برلين^(١٢) . وكانت العملية مفيدة لطرفيها . استطاع النازيون كسر الحظر (وبيعت منتجات ألمانية فى بريطانيا ذاتها) ، بينما نجح الصهاينة فى تهجير الأثرياء ، وقدم رأسمالهم ما احتاجته الصهيونية لدعم مشروعها الاستيطاني فى فلسطين .

وقد استمر التعاون بين الطرفين حتى عام ١٩٤١ ، لمدة ثمانية أعوام بعد وصول هتلر للسلطة . أشمان تعاون مع كاستنر . محاكمة أشمان أوضحت بعض عوامل هذا التبادل الذى كان مفيدا فى خلق الدولة العبرية . فالأثرياء والعلماء هاجروا ، بينما بقى عدد كبير من اليهود الأقل فائدة تحت سيطرة هتلر . وقد قال بن جوريون فى هذا الشأن ما يلى : « ليست وظيفة الصهيونية إنقاذ اليهود الموجودين فى أوروبا ، بل إنقاذ أرض إسرائيل لليهود »^(١٤) .

قيادات المجموعة اليهودية اتفقت على أن الأقلية التى يمكن إنقاذها لابد من اختيارها حسب احتياجات المشروع الصهيونى فى فلسطين^(١٥) ، استنتج مؤلف كتاب - عايزية - : (Judenrat (Mcneill : New York, 1972 ما يلى : « كان من الممكن لأكثر من نصف اليهود الفرار إن لم يتبعوا أوامر القيادات اليهودية » . (ص ١٤١) .

فى الاحتفال الخمسين لثورة الأحياء الفقيرة فى مدينة وارسو ، طلب إسحاق رابين من ليس واليسا عدم السماح لأحد الشخصيات التى قادت الثورة ، مارك أدلمان بإلقاء كلمة . فى عام ١٩٩٣ ، التقى الصحفى إيوار والتر بمارك أدلمان لمجلة

(١٢) " L'accord de la Havaara " , p. 294. Quoted by Tom Segev in " Le septieme milliom " (١٣)
French translation. 1993, p . 30 and 595)

Tom Segev, op. cit. p, 158 (١٤)

(١٥) ذات المصدر . ص ١٢٥ .

« هارتز » وتذكر الأخير أن من دعوا للقتال كانوا « اشتراكيين ، شيوعيين ، معادين للصهيونية ، وقلة صهيونية يسارية » . وكان هؤلاء هم الذين حاربوا النازيين بالسلح ، كما فعل المتطوعون اليهود فى إسبانيا . وقد انتقدت الصحف النازية هؤلاء اليهود لأنهم حاربوا بدلا من السفر إلى فلسطين^(١٦) . وبين خمسة آلاف بولندى قاوموا النازية ، كان هناك ٢٢٥٠ يهوديا . وهؤلاء الأبطال قاوموا فى كل مكان المد الفاشى . ولكن القيادات الصهيونية قالت فى رسالة نشرتها بعنوان : « هل لابد لليهود من معاداة الفاشية ؟ » كلا الهدف الأوحى هو : « تكوين دولة إسرائيل » .

فى مذكراته ، تذكر رئيس التنظيم الصهيونى العالمى ، ناعوم جولدمان ، لقاءه مع رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا ، إوارى بتر ، عام ١٩٣٥ . وقد اتهم بتر الصهاينة بكسر الحصار المفروض على هتلر باتفاق هافارا ، وانتقد بشدة رفضهم لتنظيم مقاومة النازيين :

لقد مررت فى حياتى بلقاءات كثيرة أحرزنتنى ، ولكن لم أشعر بالخجل والحزن فى أى لقاء بقدر ما شعرت بهما خلال هاتين الساعتين . شعرت بأن كل كلمة قالها بتر لى كانت صائقة^(١٧) .

وقد اتصل الصهاينة أيضا بموسولينى عام ١٩٢٢ وقد التقى بهم بعد زحفه على روما فى أكتوبر ، فى العشرين من ديسمبر عام ١٩٢٢^(١٨) .

وقد التقى موسولينى بوايزمان فى ٣ يناير ١٩٢٣ ، ومرة أخرى فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٢٦ . ناعوم جولدمان ، رئيس المؤسسة الصهيونية الدولية ، التقى بموسولينى فى ٢٥ أكتوبر ١٩٩٧ ، حين أبلغه القائد الإيطالى بقراره « ساعاونك فى تكوين الدولة اليهودية » (Autobiographie, p. 170) .

وقد تعارض هذا التحالف مع السعى العالمى لمحاصرة الفاشية . ولم يتغير تفكير الصهيونية طوال الحرب ، حتى حين بلغ اضطهاد هتلر لليهود ذروته . وحين تم

(١٦) Jewish Life , April 1938, p. 11.

(١٧) Nahum Goldman, " Autobiographie, op. Cit. Pp. 157 .

(١٨) Ruth Bondy, : The Emissary : A life of Enzo Sereni. P. 45).

تهجير اليهود من هنغاريا ، تفاوض كاستنر ، مساعد رئيس المنظمة الصهيونية ، مع أشمان على الأسس التالية : إن سمح أشمان بتهجير ١٦٨٤ يهودياً مفيدا إلى فلسطين ، فإن كاستنر سيقنع اليهود ، ، وعددهم ٤٦٠٠٠٠ بأنهم سيذهبون إلى مكان آخر ، لا إلى مخيمات أوشويتز .

أثناء محاكمة أشمان في إسرائيل ، تذكر القاضي هاليفي أن كاستنر قد تدخل لمساعدة أحد مساعدي النازي هتلر ، وأن الرجل - واسمه ستاندراتين بيشر - برئ بسبب شهادة كاستنر في محاكمات نيورمبرج . وقال القاضي مايلي بهذا الشأن :

كتب كاستنر أمام المحكمة حين ادعى أنه لم يتدخل لصالح بيشر . كذلك خبأ حقيقة مهمة . فما فعله من أجل بيشر كان باسم التجمع اليهودي العالمي الذي ينتمى إليه . ولذلك السبب أخرج الطفء بيشر من السجن .

وبعد صدور الحكم ، اهتز الرأي العام الإسرائيلي . وكتب د. موش كرين مطالبا بضرورة محاكمة كاستنر لتواطئه مع النازية في جريدة هارتز في ١٤ يوليو ١٩٥٥ عام ولكن جريدة « يديعوت أحرنوت » المسائية أوضحت في ٢٣ يونيو أوضحت سبب استحالة إتمام هذه المحاكمة : « فإن حوكم كاستنر ، قد تسقط الحكومة بأسرها بسبب ما سيكشف من حقائق » . ما سيتم اكتشافه هو أن كاستنر لم يتصرف وحيدا ، بل بموافقة القيادات الصهيونية الأخرى الذين كانوا جزءا من حكومة إسرائيل خلال فترة المحاكمة . الطريقة الوحيدة لمنع كاستنر من الحديث كانت أن يختفى ، وبالفعل توفي في الوقت المناسب ، وبعد ذلك طلبت الحكومة الإسرائيلية تبرئته من التهم الموجهة إليه . ووافقت المحكمة الإسرائيلية العليا على ذلك .

وقد وصلت سياسة التعاون إلى أكثر مراحلها انحطاطا عام ١٩٤١ ، حين طالبت المجموعة الصهيونية المتطرفة « ليهي » بقيادة إبراهيم شتيرن ، وبعد وفاته ، والتي كان إسحاق شامير أحد أعضائها ، « بالتحالف مع هتلر ، وألمانيا النازية ، ضد بريطانيا » ^(١٩) وقد أعلن اليزر هاليفي ، الشخصية المعروفة في أوساط اليسار

(١٩) . Bar Zohar. "ben Gourion, le Prophete Ame" (Fayard. Paris 1966. P 99).

الإسرائيلي ، فى جريدة تل أبيب هوتام فى ١٩ أغسطس ١٩٨٣ عن وجود وثيقة وقّع عليها إسحاق شامير وإبراهيم شتيرن ، تم تقديمها أثناء الحرب العالمية الثانية إلى السفارة الألمانية ، حين وصلت قوات روميل إلى حدود مصر . وقد قالت الوثيقة : « نشترك فى المبادئ ، فلماذا لا نتعاون ؟ » . نصوص أخرى أوضحت ارتباط مجموعة شتيرن مع « الأنظمة غير الديمقراطية ، وتشابها معهم فى الفكر والبنية » . وهذه النصوص موجودة حتى الساعة فى النصب التذكارى للمحرقة (ياد فاشيم) فى القدس ، برقم : E2341515-8 . وقد نشر أحد قيادى عصبة شتيرن ، وهو إسرائيل الداد ، مقالة فى يديعوت أحرنوت الجريدة اليومية لتل أبيب (٤ فبراير ١٩٨٣) أكد فيها حقيقة المفاوضات التى حدثت بين الصهاينة وممثلى النازية . وقد أوضح رفاقه آنذاك أن الفكر الأوروبى الجديد لا يتعارض مع طموحات اليهود فى فلسطين . الصحافة الإسرائيلية تؤكد أن اليهود لم يتقبلوا أفكار شتيرن ، شامير ، ورفاقهم ، ولم يقاتلوا إلى صف الألمان ، وقد توقفت المفاوضات حين قبضت قوى الحلفاء على مفاوضى شتيرن وشامير فى يونيو عام ١٩٤١ . بل وقبض على المبعوث ، ويدعى نافتالى لوبنتشيك ، فى مقر للمخابرات الألمانية فى دمشق . واستمرت المفاوضات بشكل متقطع حتى اعتقلت الشرطة البريطانية إسحاق شامير عام ١٩٤١ واتهمته « بالإرهاب والتعاون مع العدو النازى » .

وهذا الماضى لم يمنع شامير من الوصول لرئاسة الوزارة فى إسرائيل ، ومن البقاء حتى اليوم قويا فى المعارضة التى تود الاحتفاظ بالأراضى المحتلة . وسبب ذلك هو أن جميع القيادات الصهيونية تسعى لهدف مشترك عنصري ، بغض النظر عن الفوارق والتنافس الشخصى بينهم . وهو تهجير الفلسطينيين من أرضهم عن طريق الإرهاب ، وامتلاك الأرض ، حتى يصيروا أسياداً لها .

وقد صرح بن جوريون يوما : « إن بيجن ينتمى إلى النموذج الهترى . فهو عنصري ، مستعد لتدمير العرب من أجل حلمه بإسرائيل ، ولا يمانع من استخدام أى أسلوب لتحقيق حلمه المقدس » (٢٠) .

E. Haber. " Menahem Begin, the Man and the Legend " Delle Book. New York 1979,(٢٠)

p. 385 .

بن جوريون ذاته لم يؤمن بإمكانية السلام مع العرب . اعتقد أن تقليل أعدادهم داخل إسرائيل هو الحل الوحيد للمشاكل الأمنية .

خلال محاكمة ايشمان في القدس ، ذكّر المحامي حاييم كوهين ، القضاة ببعض الحقائق :

إن لم يتطابق فكره مع فكركم ، يحق لكم انتقاد كاستنر . ولكن ما علاقة هذا بالتواطؤ ؟ اخترنا يوما الصفوة لتهاجر إلى إسرائيل . وما فعل كاستنر سوى ذلك ^(٢١) .

لم يفعل المحامي المخضرم سوى ذكر العقائد الأساسية للحركة الصهيونية . التي لم تسع من أجل إنقاذ حياة اليهود بل إنشاء دولة عبرية قوية .

الحبر كاوسنر ، الذي كان مسئولاً عن نقل الأفراد المرغوب في وجودهم في فلسطين إليها ، ذكر في تقرير قدمه إلى المؤتمر الأمريكي اليهودي العالمي في ٢ مايو ١٩٨١ :

أشعر بأنه لابد من إجبار الأفراد على الذهاب إلى فلسطين . وكلمة « إجبار » تعني برنامج .. عذب اليهود في بولندا ، وفي تاريخ الخروج من مصر . ولذلك يجدر بنا أن نضايقهم في أماكن إقامتهم ، حتى يرغبون بالمجيء إلى إسرائيل ^(٢٢) .

وهناك عدة أمثلة على أسلوب الترغيب والترهيب هذا . في عام ١٩٤٠ ، لإغضاب العالم على البريطانيين ، قرر زعماء الهاجانا (بقيادة بن جوريون) تفجير السفينة الراسية في حيفا في ٢٥ ديسمبر ، مما تسبب في مقتل ٢٥٢ يهوديا وراكبا بريطانيا على متنها ^(٢٣) .

(٢١) Court Record 134/53. Jerusalem district Court .

(٢٢) Alfred H. Lilienthal in " What Price Israel " , Chicago . 1953 . P> 194-195 ,

(٢٣) د. هرزل روزنبلام ، مدير - بدوت أحرونوت ، اعتراف قدم عام ١٩٥٨ وبرر في جريدة ، Jewish Newsletter, عدد نوفمبر ، ١٩٥٨ .

مثال آخر هو ما حدث لليهود العراق ، وعددهم كان حوالى ١١٠٠٠ عام ١٩٤٨ .
الحبر الأكبر فى العراق ، خدورى ساسون ، صرح : « استمتع اليهود والعرب بذات
الحقوق لألف عام ولا نعتبر أنفسنا جزءا متفصلا عن الأمة » . ثم بدأت الأعمال
الإرهابية فى بغداد عام ١٩٥٠ . وحين تردد يهود العراق فى الهجرة ، فجر أفراد
المخابرات الإسرائيلية القنابل فى أماكن تجمعهم لإقناعهم بخطورة وضعهم . حدث
هجوم على كنيس يهودى أدى لقتل ثلاثة وجرح عشرات غيرهم . وبدأت نتيجة لذلك
عملية الهجرة من العراق إلى إسرائيل ^(٢٤) . وقد كانت هذه سياسة متبعة منذ أن بدل
ثيودور هرتزل تعريف اليهودية من دين إلى قومية .

القانون ٤ ب من قوانين إسرائيل الأساسية الذى يحدد الهجرة يؤكد أن :
« اليهودى هو من له أم يهودية ، أو تحول إلى ذلك الدين » ^(٢٥) .

وقد أكد ثيودور هرتزل على اختلاف اليهود عن باقى الأمم فى يومياته ، إذ
يقول : « أفهم معاداة السامية . بقى اليهود منفصلين عن الشعوب التى عاشوا فى
وسطها ، وكأنهم أغراب » ^(٢٦) . وبعد بضع صفحات ، يقول بصراحة أكثر : « معادو
السامية هم رفاقنا ، وبولهم ستساعدنا على تحقيق أهدافنا » (ص ١٩) . وقد كان
الهدف ، وهو نقل اليهود إلى موقع واحد ، مشتركا . وقد أكدت الحقائق على صحة
أفكار ثيودور هرتزل .

اليهود قالوا فى صلواتهم : العام المقبل فى القدس ، ولكن القدس كانت رمزا
لارتباط بين الرب والإنسان ، وسعى المخلوق للتقرب من الخالق . أما العودة الفعلية
فحدثت فقط بسبب تهديدات أعداء السامية فى بلاد أجنبية . وقد صرح بن جوريون
فى ٢١ أغسطس عام ١٩٤٩ لمجموعة من الزوار الأمريكان إلى إسرائيل : « مع أننا
حققنا حلمنا بتكوين دولة يهودية ، فنحن لا نزال فى البداية . هناك ٩٠٠٠٠٠

(٢٤) Ha'olam Hazeh. April 20 th and Hune 1 st 1966, and Yediot Ashronot, November, 8, 1977

Klein : L'Etat Juif " , ed. Dunod. Paris. P. 156 (٢٥)

Diaries. P. 9 . (٢٦)

يهودى فقط فى إسرائيل ، بينما تبقى الغالبية فى الخارج . هدفنا هو أن يأتى جميع يهود العالم إلى إسرائيل ، ، وقد طمح بن جوريون فى جلب أربعة ملايين يهودى إلى إسرائيل بين عامى ١٩٥١ و ١٩٦١ جاء منهم ٨٠٠٠٠٠ فقط . فى عام ١٩٦٠ ، هاجر فقط فرد . وفى عامى ١٩٧٥ - ١٩٧٦ فاق عدد المهاجرين من إسرائيل الداخلين إليها .

فقط فى أحوال المعاناة الشديدة ، فى رومانيا مثلاً ، أحس اليهود بالرغبة فى الهجرة من بلادهم إلى إسرائيل . معاناتهم فى عهد هتلر لم تكف لتحقيق حلم بن جوريون . ومن بين مليونين ونصف مليون يهودى . بحثوا عن ملجأ خارج ألمانيا . بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٤٢ ، ذهب ٨,٥ ونصف فى المائة إلى فلسطين . الولايات المتحدة تقبلت حوالى ١٨٢ ألفاً ، (أقل من ٧ ٪) وحددت بريطانيا رقمهم إلى ٦٧ ألفاً (أقل من ٢ ٪) . أما الأغلبية العظمى (١٩٠٠٠٠٠) ، أى ٧٥ ٪ ، فوجدوا ملجأ فى الاتحاد السوفيتى^(٢٧) .

أسطورة العدالة فى نيورمبرج

« هذه المحكمة تمثل استمرارية للحرب التى قام بها الحلفاء^(٢٨) .

فى ٨ أغسطس ١٩٤٥ التقى الأمريكان ، والإنجليز ، والفرنسيون والروس فى لندن لتنظيم « مطاردة ومعاقبة مجرمى حرب دول المحور » .

وتم تعريف الجرائم بالشكل التالى :

- ١ - جرائم ضد السلام ارتكبتها من بدأوا الحرب .
- ٢ - جرائم الحرب حين لم تحترم قواعد الحروب .
- ٣ - جرائم ضد الإنسانية ، وهى التى ارتكبت ضد المدنيين .

Institute for Jewish Affairs of New York, quoted by Christopher Skyes in " Crossroads (٢٧) to Israel : London 1965, and by Nathan Weinstock, " Le Sionisme contre Israel, : P, 146 Robert Jackson, U. S. Attorney -General (26, th July 1946 session) (٢٨)

يدفع استناد المحكمة على هذه الأسس لطرح عدة ملاحظات :

١ - لم تكن المحاكمة بولية بل تكونت من أعضاء الدول المنتصرة ، وهكذا حوسب المهزومون فقط على ما ارتكبوا من جرائم . كما لاحظ رئيس القضاة الأمريكيين فى جلسة ٢٦ يونيو ١٩٤٦ . : « لا يزال الحلفاء رسميا فى حالة حرب مع ألمانيا . هذه المحكمة استمرارية للمساعي العسكرية لدول التحالف » .

كانت المحكمة غير اعتيادية لأنها مثلت جزءا من معركة ، وتجاهلت جميع مسئوليات المنتصرين ، أولا بشأن بدء الحرب ، أى مناقشة لأسباب الحرب الأساسية تم تجاهلها مقدما ، ليس هناك أحد تحدث عن اتفاقية فرساي وبورها فى ما حدث ، الإفلاس والبطالة اللذان ساعدا على وصول هتلر للسلطة بموافقة غالبية الشعب الألمانى . قانون الأقوى انطبق على أوضاع ألمانيا التى هزمت فى عام ١٩١٨ واضطرت لدفع ١٣٢ بليون مارك ذهبى كتعويضات ، حين كانت ثروة الدولة الكلية ٢٦٠ بليوناً . انهيار الاقتصاد الألمانى نتيجة لهذه الظروف ، ويأس الشعب بعد سقوط قيمة العملة إلى الحضيض وازدياد نسب البطالة . كل هذه العوامل أدت لصعود هتلر إلى السلطة ، ووهبته أفضل إمكانيات العمل السياسى : إذ دعا لإلغاء اتفاقية فرساي ، ومعها كل ما تحويه من معاناة وإذلال .

و حين انتصر هتلر فى الانتخابات ، ساعدته البنوك الأمريكية والبريطانية والفرنسية . فمثلا ، شارك بنك دليون الأمريكى فى صناعات الحديد الألمانية ، بينما استثمرت شركات الكيماويات الأمريكية فى صناعة الكيماويات الألمانية . وقد وجهت محكمة نيورمبرج الاتهامات بالتخطيط ضد السلام لميرى شركات " Dupont de Nemours, Dillon, Morgan, Rockefeller " وغيرها .

نوما يذكر انتقاد هتلر للشيوعيين واليهود . وذلك صحيح فى الفصل الخامس عشر من كتاب « كفاحى » ، حيث يتذكر هتلر حرب الغازات التى بدأتها بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى . وعنوان الفصل هو : « حق الدفاع عن النفس » .

وإن حدث ، فى بدء أو خلال الحرب ، أن مات ١٢٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ من هؤلاء اليهود مفسدى الأمم الذين لم يواجهوا إلا مرة الغازات السامة التى عانى منها ملايين الشباب الألمانى فى الجبهة ، لما كانت المعاناة بلا جدوى .

بالعكس ، إن تخلصنا من اثني عشر ألفا من هؤلاء الأشرار لأنقذنا حياة مليون ألماني شاب سيكون المستقبل لهم .

وفي خطاب ألقاه أمام الرايخستاج في ٣٠ يناير عام ١٩٣٩ ، قال كذلك :

إن نجحت المؤسسات المالية اليهودية في داخل وخارج ألمانيا في دفع العالم مرة أخرى في حرب عالمية، فالنتيجة لن تكون تحول العالم للشيوعية وانتصار اليهود ، بل اندثارهم من أوربا . فالوقت الذي قدم فيه غير اليهود بلا سلاح إلى الإعلام المضلل قد انتهى . ألمانيا القومية الاشتراكية وإيطاليا الفاشية تملكان الآن مؤسسات قادرة في الوقت الضروري على تنوير العالم بشأن القضايا التي تحس بها الشعوب بدون أن تستطيع فهم معناها . سيسطيع اليهود الاستمرار في حملاتهم في عدة دول ، إذ تحميهم وسائل الإعلام ، السينما ، الإذاعات ، المسرح ، الأدب ، وغيرها من الأساليب . وإن نجح أولئك الأفراد ثمانية في تضليل ملايين الناس ، سنرى آنذاك قدراتنا التي حررتنا تماما من السيطرة اليهودية خلال بضعة أعوام (٢٩) .

في ٣٠ يناير ١٩٤١ ، حادث هتلر يهود أوربا ، وأبلغهم أن « دورهم سينتهي إن اشتعلت نيران الحرب » . ثم قدم خطابا في ٣٠ يناير ١٩٤٢ أعلن فيه أن الحرب ستنتهي « اليهودية في أوربا » .

أفكار هتلر السياسية ، التي نشرت في محكمة نيورمبرج ، تحوى خطبا كثيرة شملت ذات المعنى .

وإن تحدث هتلر كثيرا عن تدمير « تأثير » اليهود على الاقتصاد ، فإن هملر يتحدث عن تدمير الناس . فقد قال في احتفال في وايمر لقواد الأسطول البحري في ١٦ ديسمبر ١٩٤٣ :

1/M. T. Volxxx, P. 65. (٢٩)

حينما ، اضطررت لإعطاء الأمر لمهاجمة مساكن اليهود فى قرية ، قدمت الأمر بقتل الزوجات والأطفال والرفاق كذلك .

و حين تحدث لاحقا فى عام ١٩٤٤ فى سونثوفين فى ٥ مايو ١٩٤٤ ، أضاف : « فى صراعنا مع آسيا ، لابد أن نعتاد على نسيان قوانين الحروب الأوربية السابقة ، وإن تعودنا عليها . »

ولكن هذه الوحشية لم تكن من صفات دول المحور فحسب . وفى ٤ سبتمبر عام ١٩٤٠ ، أعلن هتلر فى « سبورتبلاست » ما يلى : « إن سعت القوات البريطانية لإلقاء ثلاثة أو أربعة آلاف كيلو من القنابل علينا ، فسنلقى مئات الآلاف منها فى ليلة واحدة . » ومن الواضح أن هذه المبالغة تفوق قدرات الدولة الألمانية ، إلا أنها توضح درجة الكراهية التى كنها كلا الطرفين للخصم .

وفى استجابته ، أعلن لفتون فاديمان ، رئيس تحرير مجلة نيويورك ، والمستول عن الكتابة فى زمن الحرب ، رغبته فى التزام الكتاب : « بإشعال الكراهية ضد جميع الألمان ، لا القيادات النازية فحسب . ثم أكد : « الألمان لن يفهموا إلا حين نقتلهم ، وحتى حين يموتون ، فلن يفهموا » . وفى أبريل ١٩٤٢ . أثناء خطاب مدح فيه كتاب د. سيلز ، تكوين الغد ، طور فاديمان أفكاره العنصرية وكتب قائلا : « إن العدوان النازى اليوم ليس عملا لعصابة ، بل أقوى تعبير عن المشاعر العميقة للشعب الألمانى . إن هتلر رمز لطاقت وقوى أكبر منه . الأفكار التى يدعيها ترفض تراث الثقافة الغربية منذ بداياتها » . وقد سخر من بوروثى ثومسون ، الذى فرق بين النازيين وغيرهم من الألمان . وشاركه البعض فى أفكاره هذه . فبعد خطبة هتلر فى « سبورتبلاست » نشرت جريدة Daily Herald فى لندن مقالة للقس س . و . وب ، أكد فيها أن : « الهدف هو إقناؤهم ، عن طريق تركيز علومنا على اكتشاف متفجرات مخيفة . وربما لا يصح لقس التعبير عن مشاعر كهذه ، ولكن أقول بصراحة إننى لو استطعت لأزحت ألمانيا من الخريطة . فسكانها لعنة حلت على أوروبا لقرون . »

لحسن الحظ ، كان هناك ربود على هذه الأقوال التى تقطر حقدا وكراهية ، حيث فرق الشعب البريطانى بين القيادات الألمانية والألمان العاديين .

فى يناير عام ١٩٣٤ ، أعلن القائد الصهيونى ، فلاديمير جابوتنسكى ، فى المجلة اليهودية « ناتاشا رتش » ، مايلى : « تتطلب مصالح اليهود تدمير ألمانيا التام . الشعب الألمانى بأسره يشكل خطرا علينا » .

أما تشرشل ، فكتب إلى بول ريوند فى ١٦ مايو ١٩٤٠ : « سنقوم بتجويع ألمانيا ، وندمر مدنها ونحرق محاصيلها وغاباتها »^(٢٠) وفى عام ١٩٤٢ أعلن الوزير البريطانى ، لورد فانسيتر ، داعية الكراهية ، تبريرا لقصف مدن ألمانيا : « الألمانى الجيد هو الألمانى الميت . دع القنابل تهطل » .

وفى يوليو ١٩٤٤ ، بعث تشرشل لمديره ، الجنرال هاستنجس إيمى ، برسالة شملت الاقتراح التالى :

أود أن تفكر فى الغاز الخانق بشكل جدى تماما . من السخف التفكير بالأخلاق فى حين استخدم الجميع هذه الغازات خلال الحرب الماضية ، بدون أن تحتج الكنيسة البتة ، وكذلك كان قصف المدن محرما آنذاك : واليوم ، شاع هذا ، ومارسه الجميع .

أود أن يتم التفكير فى فوائد استخدام الغاز الخانق ببرود . لا داعى للتمسك بمبادئ سخيفة . نستطيع إغراق المدن الألمانية بحيث تحتاج غالبية السكان للعلاج بشكل دائم . قد تحتاج للانتظار لبضعة أسابيع أو شهور قبل أن أطلب منك إغراق المدن الألمانية بالغاز الخانق ، وإن كنا سنفعل هذا ، فلنفعله بشكل تام . بلا تردد . أود أن يتناول القضية بالدراسة مجموعة عقلانية ، لا مغنى الكنيسة^(٢١) .

ملاحظة : صنعت الولايات المتحدة حوالى ١٢٥ ألف طن من الغازات السامة خلال الحرب الثانية ، وصنعت ألمانيا ٧٠٠٠ طن ، وبريطانيا ٤٠٠٠ طن ، واليابان ٧٥٠٠ طن .

لم يواجه تشرشل وستالين أو ترومان المحاكمة بسبب جرائم ضد الإنسانية .

Paul Boudouin, " Neuf Mois au Gouvernement " . La Table Ronde , 1948 , P . 57 (٢٠)

American Heritage " , August - September 1985 . (٢١)

ولم تحاكم محكمة نيورمبرج بعض دعاة القتل الذين نذكر منهم اثنين . الأول كان كتابا لليهودى الأمريكى ثيوبور كوفمان بعنوان : « لابد من فناء ألمانيا » ، حيث قدم النظرية التالية : « إن الألمان (بغض النظر عن فكرهم ، سواء أعادوا النازية ، أم كانوا شيوعيين ، أو حتى مدافعين عن اليهود ،) لا يستحقون الحياة . ولذلك ، فلا بد للأطباء من تعقيمهم حتى لا يستطيعون الإنجاب . بهذه الطريقة سيندثر العنصر الألمانى خلال ٦٠ عاما » . وقد سعد أعداء السامية كثيرا بهذا الكتاب ، وطلب هتلر إذاعة أجزاء منه فى المحطات الألمانية عام ١٩٤٢ . عمل آخر مشابه ، وهو « دعوة إلى الجيش الأحمر » بقلم الكاتب الروسى ، إليا أهرنبرج ، نشر فى أكتوبر ١٩٤٤ :

اقتلوهم . فليس هناك أبرياء بين الألمان ، سواء أكانوا مولودين أم سيولون . طبقوا تعاليم الرفيق ستالين واكسروا عظام الوحش الفاشى . يمروا كبارياء نساء ألمانيا بالعنف . اعتبروهن غنيمة . اقتلوهم ، ياجنود الجيش الأحمر الشجعان ، فى هجومكم الكاسح^(٣٢) .

ولم تتم محاكمة من كتبوا هذه الأقوال فى نيورمبرج ، ولم ينقد أحد زعماء دولهم . ولم يحاسب الزعماء الذين قصفوا برسدن ، وقتلوا ٢٠٠٠٠٠ مدنى بلا أى فائدة عسكرية . ولم يحاسب أى إنسان ترومان ، وهو المسئول عن تفجير القنابل الذرية فوق هروشيما وناجازاكي ، حيث قتل ٢٠٠٠٠٠ مدنى أيضا بلا داع ، لأن الإمبراطور اليابانى كان قد اتخذ قرارا بالتسليم .

ولم يحاسب ستالين على قتل الآلاف من البولونيين ، بل وجه الاتهام إلى الألمان .

أما وضع المحاكمة القانونى ، فكان كالتالى :

النص ١٩ : لن تعتمد المحكمة على القوانين المرتبطة بالوصول إلى الأدلة . بل سنعتمد على أى أساليب تعتبر جازمة لإثبات صحة الاتهام المطلوب إثباته .

النص ٢١ : لن تطلب المحكمة أدلة على حقائق معروفة . وهى كذلك تعتبر كل الوثائق الرسمية لدول التحالف أدلة جازمة .

وهكذا اعتبرت وثائق كثيرة يمكن التشكيك في صحتها صادقة .

تعرضت مثل هذه الأساليب في محكمة نيورمبرج للكثير من الانتقاد حتى من قبل المحكمة العليا الأمريكية . يذكر المؤرخ البريطاني ، ديفيد أرفنج ، تقييم واقعي للمحاكمة :

القضاة المعروفون في جميع أرجاء العالم خجلوا من أساليب محكمة نيورمبرج . القاضي روبرت جاكسون ، رئيس المحلفين في المحكمة ، عبر عن خجله في منكراته ، إذ اعتبر أن تفجير القنبلة الذرية كان من الأعمال الخطرة الشريفة . قاض آخر معروف في المحكمة العليا الأمريكية ، وهو هارلان فسك ستون ، اعتبر محاكمات نيورمبرج « حفلة إعدام » . أما القاضي ونرسترام ، فقد تقرز لدرجة رفض الذهاب إلى ونسبرج ، وعاد إلى الولايات المتحدة ، وعبر عن رأيه في مجلة شيكاغو تريبيون : ٦٠ ٪ من أعضاء المحلفين في المحكمة كانوا يهودا ، وكذلك المترجمون . أما المتهمون الرئيسيون : هوس ، ستريتشر ، بوهل ، فجميعهم تعرضوا للتعذيب وانتزعت منهم الاعترافات القسرية .

وبسبب قوانين نيورمبرج ، التي تقبلت جميع إعلانات الحلفاء كحقائق ، فإن اتهام السوفييت للألمان بقتل ١١٠٠٠ بولوني كان كافيا لإسقاط الاتهام وكأنه حقيقة ثابتة على المتهمين^(٢٢) .

ومحامى الاتهام ، الجنرال روينكو ، قال : « لا يحق لهم الاعتراض على الاتهامات » .

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلن الإعلام الدولي أن المجزرة تمت بأوامر من السلطات السوفيتية .

سنبحث الآن أسطورة أساسية للدولة الإسرائيلية ، وهي فكرة خاطئة تؤثر كثيرا على العالم اليوم ، أي أسطورة قتل ستة ملايين يهودي . التي تحولت إلى عقيدة تبرر

(٢٢) Usser Document 54, in vol 39 of the TMI (p. 290 . 32 .

احتلال إسرائيل لفلسطين ، وتعدياتها على دول الشرق الأوسط ، وابتزاز الولايات المتحدة ودول العالم ، بحيث لا يحق لأحد أن يحاسبها .

منذ أن قننت محاكمات نيورمبرج هذا الرقم ، تم استخدامه لخداع الرأي العام في الإعلام المكتوب والمسموع ، في الأدب والسينما ، وحتى في الكتب المدرسية .
والرقم يعتمد على نصين ، الأول : لهويتل ، والثاني : لويسليسنى . وهذه صيغة النص الأول :

« في أبريل ١٩٤٤ ، أبلغت قضاة نيورمبرج بما حدث ، إذ التقيت بأولف أيشمان ، الذي عرفته منذ ١٩٣٨ ، في مكتب الأمن المركزى للرايخ . عرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب ، بعد أن تسبب في مقتل آلاف اليهود . سألته عن العدد الكلى ، فأجاب إن الرقم سر كبير ، ولكنه يعتقد حسب معلوماته أن الضحايا في المعسكرات المختلفة حوالى أربعة ملايين ، وأن مليونين آخرين ماتوا بوسائل أخرى^(٢٤) .

والنص الثانى كان كالتالى : « قال ايشمان إنه سيذهب إلى قبره ضاحكا سعيدا بأنه قتل خمسة ملايين يهودى » .

وعن هذين النصين ، قال م . بولياكوف نفسه : « هذا رقم لا يوجد دليل على صحته ولا بد من التشكيك فيه »^(٢٥) .

دعنا نوضح أن الشهادة الأوثق ، الأكثر دقة هي التى قدمها هوت ، ضابط المخابرات الذى قيل عنه فى مجلة ويك إند البريطانية : إنه « وإن كان صديقا لزعماء النازية ، فمديره كان ضابط مخابرات بريطانى » .

وقد حدث الكثير من التجاوزات لقوانين المحاكمات الاعتيادية فى نيورمبرج . وسنقدم منها الأمثلة التالية :

– لم يتم التحقق من صدق أية وثيقة .

(٢٤) Nuremberg Trail, vol iv, p . 657

(٢٥) Revue d'histoire de la Seconde Guerre Mondiale . October 1956 .

- لم يتم التحقق من قيمة أية شهادة والظروف التي أدت إليها .
- لم يتم فحص الأسلحة التي ارتكبت بها الجرائم للتأكد من عملها ونتائجها .

١ - النصوص

النصوص الأساسية هي تلك الأوامر التي قدمها هتلر ، وجورنج وهایدرش ، وهملر .

أولاً : النص الذي قدمه هتلر : لا يوجد أى دليل على وجود هذا النص حتى الساعة . كما لا حظت أولجا ورمسر ميجوت :

وكما لا يوجد أى دليل على استخدام الغاز فى اشترش ، لا يوجد أمر بذلك . فى محاكمات نيورمبرج ، والمحاكمات اللاحقة لها لأفراد ، ومحاكمة هس فى كراكو ، ومحاكمة اشمان فى إسرائيل ، ومحاكمات القيادات ، أو محاكمة القيايين المختلفة ، وحتى محاكمة العاملين فى أوسترش ، جميع هذه المحاكمات لم تقدم الأمر الذى طلب به هتلر إفناء اليهود بالغاز^(٣٦) .

وقد اعترف د. كويوفى « من مركز تل أبيب للمستندات » عام ١٩٦٠ :

لا يوجد أى نص وقع عليه هتلر ، هملر ، أو هايدرتش بإفناء اليهود . كلمة إفناء لا تظهر فى رسالة من جورنج إلى هايدرتش تنطق بالحل الحاسم للمشكلة اليهودية^(٣٧) .

بعد إتمام مؤتمر فى السوربون بباريس فى فبراير عام ١٩٧٩ لانتقاد أعمال المشككين فى حقيقة محرقة اليهود ، اعترف ريموند أرون وجاك فيورت فى لقاء صحفى بعد المؤتمر أن : « البحث المضنى حتى الساعة لم يوصلنا للأمر الذى قدمه هتلر بإفناء اليهود » وفى عام ١٩٨١ اعترف لاکور : « لم نعثر حتى الساعة على الأمر

(٣٦) Olga Wumser-Migot, " Le Systeme Concentrationnaire Nazi " P U F 1968, 544 and P .

Lucy Dawidowicz, " The War Against the Jews " (1975) p. 121 (٣٧)

الذى قدمه هتلر لتدمير المجتمع اليهودى فى أوربا ، ومن الممكن ألا يكون الأمر قد صدر البتة « (٢٨).

وقد أصدر مؤرخون آخرون - بتشجيع من فيدال ناكيت وليون بولياكوف - النص التالى ووقعوا عليه :

لا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا كيف تمت جرائم مثل هذه . كانت ممكنة لأنها وقعت . وهذه هى النقطة الضرورية للبدء فى أى طرح للموضوع . هدفنا هو تنكير الناس بهذه الحقيقة . لا يوجد ولا يمكن أن يدور نقاش بشأن وجود غرف الغاز . لا يحق لنا أن نتسائل .

يجب ألا يفتح الموضوع ...

هناك موانع توقف البحث بهذا الشأن .

ومثل هذا النص بالفعل يصنع التاريخ . إذ يعتمد على حقائق لابد من تقبلها ولا يحق لأى باحث التساؤل بشأنها . أى نقاش بشأن ما قاله الحلفاء المنتصرون بعد انتصارهم فوراً غير مسموح .

ولكن لابد للتاريخ ، إن احترمت علميته ، من البحث الدوب ، والتساؤل بشأن الحقائق مرة تلو أخرى . المثال التالى معروف .

قررت مؤسسة أوسترش الدولية فى نوفمبر عام ١٩٩٠ تغيير اللوحة القائلة أربعة ملايين قتيل ، بأخرى كتب عليها : أكثر من مليون قتيل ، ولكن د. موريس جولدشتاين رئيس هذه اللجنة ، رفض الاقتراح (٢٩).

فى الواقع ، فإن د. جولدشتاين لم يود التغيير لأنه أدرك أن الأرقام المذكورة ستقل أكثر مع مرور الوقت . والنص الذى كتب حتى عام ١٩٩٤ ذكر : « هنا ، منذ عام ١٩٤٠ - ١٩٤٥ عذب وقتل أربعة ملايين رجل وامرأة وطفل من قبل قتلة هتلر » وبسبب نشاطات العلماء متعددى الجنسيات ، ويرأسهم المؤرخ العريق والدسلو

Walter Laqueur : " The Terrible Secret", Frankfurt on the Main. Berlin. 1981 . P. 190 . (٢٨)

" Le Soir " , Brussels, 19 - 29th Oct . 1991, p.16 (٢٩)

بارتوزسكى ، تم استبدال اللوحة بأخرى أقرب للحقيقة : هذا المكان ، الذى قتل به النازيون مليون ونصف مليون رجل وامرأة وطفل ، أغلبهم من اليهود من نول أوربية مختلفة عسى أن يبقى صرخة يأس وتحذير للإنسانية » (٤٠).

وهذا المثال يوضح أن التاريخ ، إن ابتعد عن الكراهية ، يتطلب مراجعة دائمة . وإن لم تتم المراجعة ، لتحول التاريخ إلى دعاية إعلامية .

دعنا إذاً نعود للتاريخ الحقيقى ، من النوع الذى يستند إلى المراجعة ، أى تحليل النصوص ، مقارنة الشهادات ، وكلمات المختصين بشأن الأسلحة :

أولاً : هناك النص الموجود فى برنامج الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى بشأن اليهود . وهو يتكون من عدة نقاط ، منها التالية : « فقط المواطنون من نوى الدم الألمانى تحقق لهم المواطنة ، بغض النظر عن الدين . ولذلك لا يحق لليهود المواطنة ».

ثم هناك النقطة الخامسة : « من لا يملك الجنسية الألمانية يستطيع الحياة فى ألمانيا كضيف ، ويتوجب عليه التعامل مع السلطات المختصة بشأن الإقامة للأجانب » .

ثم تطرح النقطة السابعة قضية منع الإقامة لمن ليست لديهم الجنسية الألمانية ، والنقطة الثامنة تطلب إيقاف هجرة من ليسوا من الألمان ، وكذلك فكرة تهجير من جاءوا إلى البلاد منذ ١٩١٤ . وهذه النقطة موجهة لليهود الذين هاجروا من الشرق بعد الحرب العالمية الأولى .

النقطة الثالثة والعشرين تتعامل مع ذات القضية : فتدعو لمنع اليهود من العمل فى الإعلام ، وتؤكد أن الحزب يتصارع مع الروح « المادية » لليهود .

١ - أوامر هتلر للقضاء على اليهود : فى كتاب « تدمير اليهود فى أوروبا » ، أكد راول هايلبرج فى الطبعة الأولى (١٩٦١) على وجود أمرين لقتل اليهود صدر أولهما عام ١٩٤١ ، والآخر فى وقت لاحق .

(٤٠) Luc Rosenveig " LE Monde " 27th January ١٩٩٥

ولكن فى ١٩٨٥ وفى الطبعة الثانية المنقحة من الكتاب ، اختفى كل ذكر لأوامر وقرارات هتلر بشأن « الحل الحاسم » (٤١).

فى الأجزاء المعادية للسامية من « كفاحى » ، طالب هتلر بنفى اليهود خارج ألمانيا ، ونحن سنبقى هنا فقط النصوص التى حوت المصطلح « الحل الحاسم » حتى نفهم معناه . وفى ٢٤ يونيو عام ١٩٤٠ بعد انتصار ألمانيا على فرنسا ، تحدث هايدرتش فى رسالة إلى ريبنتروب ، وزير الاقتصاد ، بشأن حل حاسم لمشكلة الأرض التى سينقل إليها اليهود . وكان الحل هو مشروع مدغشقر ، الذى عنى خروج جميع اليهود من أوروبا . وكان الحل ملائماً لأوضاع أوروبا التى سادتها ألمانيا . إذ لم يعد طرد اليهود من ألمانيا ذاتها كافياً ، بل تطلب الوضع إخراجهم من جميع أجزاء أوروبا . وقد كان من الممكن تحقيق المشروع خلال أربعة أعوام ، وإن كانت تكاليفه باهظة .

سأل هايدرتش جورنج فى رسالة فى ٢١ يوليو ١٩٤١ : « هل يجدر به أن يطبق قوانين التعامل مع اليهود فى ألمانيا خارجها ، فى المناطق المحتلة من روسيا ، كذلك ؟ » الإجابة كانت فقط بنقل اليهود من مكان إلى آخر ، والتعامل مع الظروف الجديدة « الحل الحاسم » ، إذاً كان نقل اليهود إلى خارج أوروبا عن طريق إبعادهم عنها شيئاً فشيئاً حتى يتم جمعهم فى نهاية المطاف فى موقع واحد (وهو ما دل عليه مشروع مدغشقر) .

وفى نص تم توزيعه من مكتب هايدرتش ، « أبلغ الوزراء بضرورة جمع اليهود جميعاً فى شرق أوروبا ، بينما ينتظرون نقلهم إلى موقع بعيد مثل مدغشقر التى ستصير مقراً لهم بعد الحرب » .

وقد قال بولياكوف ، « سميت خطة نقل اليهود إلى مدغشقر « الحل الحاسم » للقضية اليهودية » (٤٢).

(٤١) The Revised Hilberg " Simon Wiesenthal, Annal 3. 1986 . P .294

(٤٢) Polilakov. " Le Proces de Jerusalem " Paris, 1963, p. 152.

وقد ادعى البعض أن مصطلح « الحل الحاسم » كان رمزا للمعنى الحقيقي ، وهو قتل جميع اليهود في أوروبا ^(٤٢) . ولكن لا يوجد أى دليل على صحة هذه الفكرة . وليس هناك شك في أن هدف المشروع كان لا إنسانيا ، ولكن لم يحو البتة فكرة تصفية اليهود عن طريق القتل الجماعي التي ادعاها محلفو نيورمبرج ، ومنهم روبرت مبنر الذي ادعى : أن « الأمر بتطبيق الحل الحاسم يعنى قتل جميع اليهود » . وقد احتج جوردنج على ترجمة كلمة "Gesamtlosung" ، التي عنت الحل العام ، إلى كلمة الحل الحاسم . ووافق المحامي جاكسون على هذا الاحتجاج وأعاد المعنى السليم .

وفي يونيو عام ١٩٤٠ ، بعث هتلر إلى هتلر برسالة كان استنتاجها : « أتمنى أن نحل القضية اليهودية عن طريق تهجير اليهود إلى أفريقيا أو أى مستعمرة أخرى » ^(٤٤) . وقد أبلغ هتلر آبيتز ، سفيره في باريس ، بأنه ينوى إخراج اليهود من أوروبا بعد الحرب ^(٤٥) . وإن اعترف القاضي جاكسون بحقيقة هذه النصوص في المحاكمة ، إلا أن الإعلام لم يتحدث بشأن هذه المعلومات التي تفند نظرية القتل المتعمد لليهود من قبل النازيين .

نص وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

« في أثناء البحث عن الحل الحاسم للمشكلة اليهودية ، كان لابد من نقل اليهود شرقا واستخدام قدراتهم في العمل . سيتم فصلهم حسب الجنس ونقل القادرين على العمل إلى أماكن حيث ينشئون الطرقات ، وسيفنى الكثيرون منهم في العمل الشاق حسب قانون الطبيعة « البقاء للأصلح » .

أما الباقون فهم بذرة سيتكون منها جنس يهودى جديد أفضل ، كما أثبتت تجارب التاريخ . يقول المؤرخ البريطاني بيفيد أرفنج : « لا توجد في نصوص

Gerald Reitlinger. " La Solution Finale" P . 19 (٤٢)

Vierteljaheshefte, 1975, 197 (٤٤)

Documents on German Foreign Policy " 1918 - 1945 . Series D. VOIX P . 484 . (٤٥)

المحاكمات المختلفة للنازية بعد سقوطها أى أدلة على أن قرار التخلص من اليهود اتخذ فى وانسى .

انعقد مؤتمر وانسى فى برلين فى ٢٠ يناير عام ١٩٤٢ ، وحضره وزراء دولة معنيون بالمشكلة اليهودية ، والرؤساء لأجهزة معنية بتطبيق سياسات بهذا الشأن . ولا يوجد فى النص الختامى للمؤتمر أى ذكر لغرف الغازات أو القتل ، بل فقط أمر نقل اليهود إلى أوروبا الشرقية .

وبعد أن ادعى المؤرخون لنصف قرن أن أوامر القتل ضد اليهود الأوربيين قد صدرت فى مؤتمر وانسى الذى عقد فى ٢٠ يناير ١٩٤٢ ، تمت مراجعة التاريخ وظهرت الحقائق . فى عام ١٩٩٢ كتب يهودا باور فى « الأخبار اليهودية الكندية » عدد ٣٠ يناير أن تفسير ما حدث فى وانسى كان « سخيفا » . وحتى أشد المدافعين عن نظرية سعى هتلر لفناء اليهود ، الكيميائى كلود بريسك ، أكد على ضرورة إعادة النظر فى هذا الشأن . فى صفحة ٢٥ من كتابه " Les Crematoires d'Auschwitz يقول :

وإن تحدث الأعضاء عن ترحيل اليهود إلى الشرق ، وتم بحث فكرة التخلص منهم عن طريق العمل المضنى ، إلا أن أحدا لم ينكر فكرة التصفية بطريقة كيميائية صناعية . خلال أيام وأسابيع تالية ، لم تصل إلى أوشوتز أية رسالة أو برقية أو مكالة مطالبة بإنشاء أى مبنى لإنجاز هذا الغرض . « كان الهدف هو نقل اليهود ، لا تصفيتهم » .

ومن الغريب كذلك أن هذا الكتاب الذى يسعى لإثبات سعى النازيين لتصفية اليهود ، لم يذكر الرسالة المعروفة التى كتبها جورنج إلى هايدرتش فى ٣١ يوليو عام ١٩٤١ ، حيث أكد أن الحل الحاسم يعنى « التصفية » ، لا النقل من أوروبا .

والنص الوحيد الموجود الذى يأمر بالقتل صدر فى ظروف خاصة . فبعد أن احتلت القوات الألمانية موسكو ، قامت وحدات المقاومة بالتسلل إلى الصفوف الخلفية لهذه القوات ، ودمرت مخازن وقودها ، وأساليب الاتصالات ومالديها من ذخيرة ومعدات ، بحيث قطعت حلقات الوصل بين المراكز الألمانية المختلفة . وقد كان أسلوب

المقاومة هذا فعلا لدرجة أن هتلر قدم أوامره بقتل جميع قواد هذه الحركات . وبين هؤلاء القواد ، كان هناك أعداد كبيرة من اليهود الذين واجهوا الموت بشجاعة .

أما الأمر بقتل اليهود جميعا ، فلم يقدم أبدا ، ولا وجود له بين المخطوطات الكثيرة المتوفرة .

أما إن اعتمدنا على أفضل المصادر وأهم الإحصائيات ، مثل كتاب راول هلبرج ، « تدمير يهود أوروبا » ، فالعدد هو مليون قتيل في أوسوتيش . والرقم يتفق عليه الدارسون ، إذ أن الاتفاق الآن هو على أن عدد الضحايا يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ ومليون ومئتا ألف (٤٦) .

وهذه الإجابة الجديدة تتناسب مع دليل لم يستطع دعاة نظرية « سياسات القتل النازي الجمعي لليهود » تجاهلها . فخلال آخر عامين من الحرب ، بعد ستالينجراد ، كان هتلر يحارب معركة خاسرة . ما فتئ الحلفاء يقصفون مواقعه الصناعية بقنابلهم ويدمرون وسائل اتصالاته . وقد اضطر لإفراغ المصانع والدفع بعمالها إلى وطيس المعركة . ولماذا ، في هذه الأوضاع ، يفكر في قتل السجناء واليهود ، بدلا من استخدامهم في هذه المواقع حيث كان يحتاج لهم ؟ بولياكوف ذاته ، في كتاب Breviaire de la Haine ص ٢ يؤكد على هذا التناقض الغريب : « كان الأكثر اقتصادية هو استخدامهم في الأعمال الشاقة ، عن طريق حبسهم بجوار مصانع مثلاً » . حنا أرندت كذلك لاحظت الجنون في هذه العملية : « من الغريب أن ينفق النازيون تكاليف باهظة ، أثناء الحرب ، لإنشاء مصانع لقتل الناس وطرقاً لنقل ملايين الضحايا إليها . الفكرة ذاتها تبدو غير عملية لدرجة الجنون (٤٧) . والواقع هو أن مواقع احتجاز الجماعات حوت العديد من المنشآت الصناعية ، سواء الكيماوية في استرش ، الموصلات في سيمتر ، والتعمير في بورتلاند (٤٨) .

أكثرية المعسكرات مابين عامي ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ استخدم المساجين في العمالة ، وفي ١٩ موقعا كان غالبية العمال من اليهود . وقد كتب هملر رسالة إلى الضابط

(٤٦) Le Monde, 23 rd July 1990 .

(٤٧) Hannah arendt. " Le Systeme Totalitaire " Paris 1972 , P. 182 .

(٤٨) Genab Crimes in Poland, Warsaw 1964 . VOII P . 37

المسئول عن المخيمات قال فيها : « استعد لاستقبال ١٠٠٠٠٠ يهودى . خلال الأسابيع القادمة ، ستناط بكم أعمال لمصلحة الاقتصاد الألماني يتم إنجازها فى المخيمات » .. وهتلر ذاته فى مايو عام ١٩٤٤ طلب استخدام ٢٠٠٠٠ يهودى فى مشاريع إعمار مختلفة . وهكذا تم استخدام اليهود فى العمالة : وذلك يضعف من مصداقيه نظرية التصفية لهم .

ومهما استمر العد التنازلى لأعداد الضحايا ، فالناس يستمرون فى القول إن هناك ستة ملايين ضحية من اليهود فى أوستريج .

ما قاله الشهود :

وقد حدثت محاكمة اسوتش فى فرانكفوت من ٢٦ ديسمبر ٢٠ إلى أغسطس ١٩٦٥ ، فى مسرح كبير دل على عملية سياسية استعراضية . وقد اعترفت السلطات القانونية بأن ما تملك من أدلة للوصول إلى الاستنتاج كان قليلا .

افتقدت المحكمة لجميع وسائل المعرفة المتاحة فى أية محاكمة لتصف الأحداث بشكل واقعى كما حدثت . أجساد الضحايا ماكانت موجودة ، ولذلك لم توجد تقارير طبية عن أسباب الوفاة ، ولم توجد أدلة تركها المذنبون ، أو أسلحة ، وأمكن التحقق من صحة الادعاءات أحيانا قليلة .

كان الاتهام هو استخدام غرف الغاز ، وإن لم يتم العثور على أى دليل يثبت صحته . ولكن الناس خشيت الحديث خوفا من أن يتم اتهامها بذات التهم الموجهة للمتهمين . أحد القضاة الذين تم إرسالهم من قبل الولايات المتحدة ، هو ستيفن س . بنتر ، كتب :

لقد عشت فى داشوا لمدة عام ونصف العام بعد الحرب كقاضٍ عسكرى ، وأشهد بعدم وجود غرف غازات فى داشوا . ما يشاهده الزوار ويتصورون أنه غرفة غاز فى الواقع عبارة عن فرن صناعى . قيل لنا إن هناك حجرة غاز فى أوسشوتس ، ولكن الموقع كان تابعا لروسيا ، ومنعنا من زيارته . وأنا أشعر ، بعد أن عشت فى ألمانيا والنمسا ستة أعوام ، أن الكثير من اليهود قتلوا ،

ولكن العدد لم يصل البتة لمليون ، وأنا أكثر قدرة من غيرى على إصدار هذا الحكم^(٤٩).

ونظراً لافتقار أى دليل مكتوب ، اعتمدت محكمة نيورمبرج على شهادات شهود العيان ، وعليها استندت الأفلام والقصص اللاحقة . والناجون لم يعتمدوا على ما شاهدوه فى شهاداتهم ، بل على كلام سمعوه . ومثل معروف على ذلك هو د. يندت كوتسكى ، رئيس الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى النمسا . فبعد التأكيد على أن الناس لم يبقوا على قيد الحياة فى أوسترش سوى ثلاثة شهور ، وإن عاش هو هناك ثلاثة أعوام ، قال عن غرف الغازات : « لم أشاهدها بنفسى ، ولكن الكثير ممن أثق بهم شاهدوها » . أما الشاهد الأهم لإثبات النظرية ، فهو روبرت هس ، المدير السابق لمعسكر أوستوتش . والوصف الذى يقدمه حين تم القبض عليه هو ذاته ما قاله فى المحكمة ، وهو ما أراد المحلفون الاستماع إليه . وهذا هو الوصف الذى يقدمه :

كنت مديراً لأوستوتش حتى ١ ديسمبر ١٩٤٣ وأعتقد أن حوالى ربع مليون فرد أعدموا هناك بالغاز ، وأن حوالى نصف مليون آخرين ماتوا جوعاً ومرضى ، مما يجعل عدد القتلى نحو ٣.٠٠٠.٠٠٠ ثلاثة ملايين فرد . « الحل الحاسم » للقضية اليهودية عنى قتل جميع يهود أوروبا . وصلنى الأمر بالقضاء على جميع اليهود فى يونيو ١٩٤١ . وفى ذلك الوقت وجدت ثلاثة مخيمات قتل أخرى : وهى بلزىك ، تربلانكا ، ولزىك .

ولم يمكن أن تؤكد النظرية التى شاعت فى الإعلام لسنوات مقبلة بشكل أفضل . ومع ذلك ، فالنص يحوى ثلاث مقولات تتناقض مع الحقيقة :

١ - عدد القتلى فى أوستوتش ، وهو ثلاثة ملايين حسب هذا الادعاء ، تم تغييره فى عصرنا إلى مليون .

٢ - معسكرا بلزىك وتربلانكا لم يوجدوا عام ١٩٤١ ، بل افتتحا عام ١٩٤٢ .

Letter by pinter to the Catholic Weekly, " Our Sunday Visitor " , June 14 th 1959 , P . 15 (٤٩)

٢ - أما معسكر ولزيك ، فليس له وجود على الخريطة .

وكيف يمكن أن يؤخذ بصحة شهادة فيها أخطاء مثل هذه . وهس ذاته يؤكد أن اعترافاته الأولى كانت قسرية بعد أن اعتقلته السلطات البولونية . وهو يقول فى ص . ١٧٤ من مذكراته : « فى التحقيق الأول معى ، انتزعوا منى الاعترافات عن طريق الضرب . وأنا لا أعرف محتوى النص الذى أجبرت على توقيعه . والنص تكون من ثماني صفحات لا تختلف كثيرا عما قاله لاحقا . وهو كذلك يصف فى أوراق مكتوبة بخط اليد ما حدث خلال التحقيق الأول معه من قبل السلطات البريطانية العسكرية :

تم القبض على فى ١١ مارس ١٩٤٥ فى الساعة الواحدة مساء . عاملتني الشرطة بقسوة . وأعادوني إلى ذات الموقع الذى أخرجوني منه منذ ثمانية شهور . وهناك حققوا معى ، واستخدموا وسائل قاسية مثل الجلد ، وأجبروني على شرب الخمر . لا أعرف محتوى النص الذى وقّعت عليه . وبعد بضعة أيام ، ذهبوا بى إلى ميدان أون دوسر ، وكانت أمورى هناك أكثر سوءا .

وفى عام ١٩٨٣ فقط تم إثبات حقيقة التعذيب الذى تعرض له رودلف هس حتى تتم صناعة الدليل على قتل مليونى ونصف مليون يهودى فى أوستوتش . والكتاب المعنى كتبه روبرت باتلر وعنوانه « أروقة الموت » . ويحوى شهادة برنارد كلارك الذى اعتقل هيس بعد معرفة مكانه عن طريق تهديد زوجته بقتلها وقتل أطفالهما . تم اعتقال هس فى مزرعة اختبأ فيها فى ١١ مارس ١٩٤٦ . وباتلر يؤكد أنهم استخدموا التعذيب لثلاثة أيام حتى انتزاع « اعتراف منطقى » من الرجل ، وقّع عليه فى ١٤ مارس ١٩٦٤ ، الساعة الثانية صباحا . وقد تم ضربه بقسوة حتى تدخل الطبيب المسئول ، وأكد أنه سيموت إن استمر هذا الوضع .

ومن الضرورى ملاحظة أن باتلر ورفيقه كلارك يبدوان سعداء تماما بممارسة التعذيب . وقد تكرر هذا الوضع فى دشوا ، التى زارها مجموعة قضاة للتحقيق فى سلوكيات المحكمة الأمريكية العسكرية ، التى حاكمت ١٥٠٠ سجين ألماني ، وقتلت ٤٢٠ منهم . التحقيق أثبت أن المتهمين تعرضوا لجميع أنواع سوء المعاملة النفسية

والجسدية لإجبارهم على تقديم الاعتراف المطلوب . وقد تم ركل ١٣٧ سجيناً ألمانيا من أصل ١٣٩ على أعضائهم التناسلية ، مما سبب لهم أذى شديداً (٥٠) .

محاكمة استرث

من المفيد معرفة مصير المتهم ، ريتشارد باير ، وهو القائد الأخير لأوسترتش ، الذي مات قبل بدء محاكمته . فقد تم اعتقاله في ديسمبر ١٩٦٠ . بجوار هامبرج حيث عمل حارساً لغابة ، راعياً لها وقد توفي عام ١٩٦٣ في ظروف غامضة .

والكثير من المصادر تؤكد أنه رفض طوال فترة سجنه الاعتراف بوجود غرفة غاز سام في القسم الذي كان مسئولاً عنه . التشريع للجنة أوضح إمكانية التسمم . المحامي ، إبرهارد إنجلهاردت يستشهد بفقرة من تقرير الطبيب الشرعي عن أسباب الوفاة في رسالة تؤكد أن موكله تعرض للتسمم .

المثال الثاني : وهو تقرير جرشتاين ، الذي كان مبالغاً فيه لدرجة أن المحكمة في نيورمبرج رفضت تقبله . وإن تم استخدامه في محاكمة اشمان في القدس عام ١٩٦١ . وحسب هذه الشهادة ، فإن عدد الضحايا كان ستين ألف ضحية يومية ، في ثلاثة مخيمات : بلزك ، تريلانكا ، وسوبيبور مما يجعل المجموع ٢٥٠٠٠٠٠٠ . بل وادعى الرجل أنه شاهد ما بين ٧٠٠ - ٨٠٠ رجل يعيشون في خجرة حجمها ٢٥ متراً (نحو ٢٨ فرداً في المتر) .

وحين قدم د . روكيس في جامعة ناتيس دراسة تثبت أخطاء كثيرة في تقرير جرشتاين ، حرم من الدكتوراه ، وإن كتب ألين دسو في ١٣ ديسمبر ١٩٦٨ في مجلة صباح باريس أن « جميع الدارسين للموضوع يحتاجون الاطلاع على هذه الدراسة » ، مؤكداً أن بروفيسر روكيس هو « أفضل من يعرف هذا الموضوع » .

(٥٠) Interview With Judge Edward L. Van Roden in " the Progressive " , February 1949 .

أمثلة أخرى

أحد المتهمين الأساسيين ، سوكل ، أعلن في ٣٠ مايو ١٩٤٦ أمام محكمة نيورمبرج :

« أعترف بأن توقيعي موجود على هذه الوثيقة ، وأطلب السماح لي بتوضيح كيفية الحصول على التوقيع . قدمت الوثيقة كاملة لي وطلبت قراءتها لأعرف ما ستوقعه ورفض طلبى . ثم قال ضابط بولونى : « أين أسيرة هذا الرجل ؟ سنأخذها إلى الحدود السوفيتية ، وسنلقيهم معنا . وأنا أب لعشرة أطفال ، وهكذا وقعت على هذه الورقة » .

شهادة الجنرال أوهلندورف تكشف الكثير . فمنذ صيف ١٩٤١ حتى صيف ١٩٤٢ كان مسئولاً عن النشاطات السياسية والعسكرية في جنوب روسيا . في المحكمة ، قال إنه تلقى أوامر شفهية باستخدام عربات كبيرة من نوع خاص لقتل الناس : النساء والأطفال اليهود^(٥١).

أما شهادة الجنرال أوهلندورف في المحاكمة الثانية (NMTCase 9) فتختلف تماماً . فهو أولاً أنكر شهادته الأولى بشأن الأمر الشفوي المتعلق بقتل اليهود . اعترف بأنه قتل اليهود والفجر ، ولكن فقط في حدود الصراع مع من قاوموا الألمان ، لا كخطة مدبرة ضد اليهود . وأقر أن عدد القتلى ٤٠٠٠٠ أربعون ألفاً ، لا تسعون ألفاً كما ادعى سابقاً .

لم يناقش أحد المؤرخين الذين طالبوا بإعادة فتح هذه الصفحة من التاريخ الأوربي . تلقى الناس أفكارهم بصمت ، في أفضل الأحوال ، وكبتوها . في أسوأها . وقد كان الصمت هو ما لاقاه بول راسينى ، المؤرخ المعروف . أما في الولايات المتحدة ، فواجه الصمت والاضطهاد المهندس المتخصص بالغازات لوتشكر ، الذى قدم شهادة مهنية بشأن غرف الغازات فى أوسترتش أثناء محاكمة أرنست زنزل فى ترنتو . البروفيسور فوريسن طرد من وظيفته الجامعية فى ليون ، وطارده القانون ، وتعرض لمحاولة اغتيال بطعنة سكين ، لأنه شكك فى وجود غرف الغاز . وفى مارس ١٩٦٨ ،

تم اغتيال المؤرخ الفرنسى ، فرانسواز بوبرات ، لأنه نشر نصا شكك فى أن أعداد القتلى بالفعل ستة ملايين . وفى ألمانيا ، تعرض القاضى ستاجليش للمضايقة لأنه انتقد النصوص والشهادات بشأن المخيمات ، مؤكدا الحقائق الدامغة فى كتابه « أسطورة أوستوتش » (١٩٧٨) وقد سحبت منه شهادة الدكتوراه . أما المؤرخ باتز ، فمنعت كتاباته فى كندا وألمانيا حين تناول هذا الموضوع بالبحث . وهذه الاتهامات الموجهة ضد الباحثين استندت إلى أسطورة وهمية ، وهى أن الدراسة بهذا الشأن تخفف من جرائم هتلر . واعتبروا التأكيد على حقيقة أن هتلر لم يهاجم اليهود فحسب ، بل تسبب فى مقتل ملايين غيرهم ، نوعا من العنصرية . ونحن نكتب راجين أن يفتح النقاش بهذا الشأن بدون البحث فى نوافع الكاتب وحياته الخاصة ، بدون شجبه مقدما . لا يمكن الاستعداد للمستقبل عن طريق الكراهية . لابد من معرفة الحقائق حتى ندرس الماضى ونتعلم من أخطائه ، فى عصرنا ، حتى الساعة يكتب الكثير من الأدباء والمفكرين بدون تدقيق فى الحقائق .

وقد ظهرت كتب كثيرة وأفلام لا حصر لها تتناول هذا الموضوع . وقد أعيد بث الأفلام التى تدافع عن وجهة النظر الشائعة . وكم مرة شاهدنا أفلاماً مثل : EXodus , Holocaust, Shoah فى التلفاز ، وكأن معاناة البعض كانت أعلى قيمة من معاناة الآخرين . فيلم لانزمان شوا يستمر لتسع ساعات ، نسمع خلالها كلمات مثل : لقد تم جمع ستة وسبعين شخصا فى حجرة بمساحة ١٦ مترا . ومن يدفعون لإنتاج أفلام من هذا النوع كرماء للغاية . فمناحم بيجن اعتبر أن مشروع شوا يقع فى صميم « المصلحة الوطنية لإسرائيل » وقدم له ثمانمائة وخمسين ألف دولار^(٥٢) .

وقد أثر الفيلم " Holocaust " كثيرا على الرأى العام العالمى . والفيلم :

جريمة فى حق التاريخ : والفكرة الأساسية هى أن حدثاً مثل قتل ستة ملايين يهودى لا يمكن أن يحدث بدون أن يلاحظه الألمان جميعا . وإن لم يعرف الألمان ، فذلك سببه هو أنهم لا يريدون أن يعرفوا وهم جميعا لذلك مننبون متواطئون فى الجريمة^(٥٢) .

(٥٢) . Hewish Telegraph Agency June 20th 1986

(٥٣) Liberation, March 7th 1979

أما أهم الأعمال الأدبية فهو « مذكرات آن فرانك » . وهذه الرواية الجذابة تحتل مكان التاريخ . وقد ادعى المؤرخ البريطاني ديفد ارفنج فى محكمة فى تورنتو فى ٢٦ أبريل عام ١٩٨٨ ما يلى بشأن النص :

وافق والد آن فرانك ، بعد مراسلات لعدة أعوام ، بالسماح لنا بفحص النص فى المختبر ، كما يجب أن يحدث مع كل نص تاريخى .

وقد تم الاختبار فى مختبرات وايزباين ، وكان الاستنتاج أن أجزاء من النص كتبت بقلم لم يطرح فى الأسواق حتى عام ١٩٥١ ، بينما ماتت آن فرانك عام ١٩٤٥ .

رأى الشخصى هو أن غالبية مذكرات آن فرانك حقيقة ، كتبتها فتاة مراهقة محبوسة مختبئة ، وأن والدها حصل على المذكرات بعد وفاة ابنته المحزنة بالتيفوئيد فى مخيم الاعتقال ، ثم تمت إضافة أجزاء أخرى لها حتى يمكن بيعها . والكتاب جلب الخير لناشريه ، وباتوا أثرياء ، ولكن النص بلا قيمة تاريخية حقيقية نتيجة للعبث به .

وسيلة ارتكاب الجريمة

كان من الضرورى لمحكمة تتعامل مع جرائم حرب من استشارة بعض المختصين بشأن أسئلة مهمة ، على الأقل للتأكد من صدق الشهادات التى قدموها . أسئلة مثل : « كم من الوقت يتطلب استخدام غاز زيلكون ب ؟ وكيف تظهر آثاره ، وما هى هذه الآثار ؟ » .

« وما هى مدة بقاءه مقفلا ، سواء أثناء الإقفال ، أو بعده ؟ »

« وهل يمكن ، كما ادعى المتهمون ، الدخول إلى المواقع بدون جهاز تنفس بعد نصف ساعة من استخدام الغاز ؟ » .

« هل يمكن إحراق الجثث تماما خلال عشرين دقيقة ؟ »

« وهل تعمل الأفران لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم بدون وقت لتبرد حتى تخف حرارتها » .

« هل يمكن إحراق الجثث في خنادق عميقة ، وكم من الوقت تستغرق هذه العملية ؟ »

حتى الساعة ، لا يوجد أى دليل قاطع على ارتكاب الجرائم التي كثرت الأقاويل حولها . سنقدم بعض الأمثلة :

« وجود حجرات غاز داخل سيارات خاصة » .

« أن الصابون تم إنتاجه من السمن الإنساني » .

وقد ظهرت قصة الحافلات التي خنق داخلها آلاف الأفراد بالغاز لأول مرة في مجلة نيويورك تايمز في ١٦ يوليو ١٩٤٣ . قبل ذلك ، شاعت القصة في الإعلام الروسى . ومرة أخرى ، لم يتم العثور على أى حافلة من هذا النوع . نلاحظ هنا أيضا أن خطة سرية قدمت لسواق آلاف الحافلات . لإبادة اليهود يصعب الحفاظ على سريتها ومرة أخرى ، تختفى آلاف الجثث ولا يمكن العثور على أى منها بطريقة سحرية . أما أسطورة الصابون البشرى فمصدرها مقالات كتبها « ويسنثل » في مجلة يهودية في النمسا - الطريق الجديد - عام ١٩٤٦ . في مقالة بعنوان RIF كتب ما يلي :

الكلمات القبيحة : استخدمهم لصناعة الصابون سمعت لأول مرة عام

١٩٤٢ . وقد تم استخدام اليهود لصناعة الصابون منذ عام ١٩٤٢ ، وبهذه

الطريقة قتل ما يقارب المليون منهم . ويعد أن يتم تقطيع الجثث للاستفادة

من أجزائها المختلفة ، يستخدم السمنه لصناعة الصابون . ويعد ١٩٤٢ ،

عرف الألمان وحكومتهم معنى صابون RIF . وسعد الألمان وزوجاتهم لإدراك

أن كل صابونة تحوى يهوديا كان يمكن أن يتحول إلى فرويد أو أينشتاين .

وقد ردّت أكثر من مؤسسة أن النازيين لم يستخدموا الجثث لصناعة الصابون .

ومع ذلك شاعت القصة كثيراً .

يوجد نص ، إن نوقش بجدية ، لأنهي أسطورة غرف الغاز . وهو تقرير ليتشر (٨ أبريل ١٩٨٨) . والتقرير يقول إن غاز زلكون ب استخدم في عدة سجون لتنقية الثياب والأجهزة التي قد تؤدي لنشر الأمراض المعدية ، خصوصا التيفود ، وكان مستخدما قبل الحرب العالمية الأولى .

أما غاز ساينيد ، فقد استخدم لأول مرة في أريزونا للإعدام عام 1920 ، ثم استخدمته ولايات أخرى مثل كاليفورنيا ، كولارادو ، ماريلاند ، مسسى ، وميزورى ، وغيرها .

وقد كان لوتشر كاتب التقرير مهندسا عمل كمستشار لسجون عدة ولايات . وأغلبها اليوم قد كفت عن استخدام هذا الأسلوب لأن متطلبات الغاز الأمنية مكلفة للغاية . وغاز زلكون ب يتطلب بعد استخدامه على الأقل عشر ساعات في الهواء الطلق قبل أن يكون الموقع آمنا . ولا بد أن تكون الحجرة التي يستخدم فيها محكمة الإغلاق . وبعد أن زار المؤلف عدة مواقع وفحص حجرات الغاز المزعومة في استرش ، استنتج ما يلي :

الفحص لهذه المواقع يدل على أنها غير صالحة وخطرة جدا للقيام بعمليات قتل بالغاز . لا يدل إنشاؤها على أنها صنعت من أجل هذا الغرض . بل إن الموقع قريب من المستشفى ، وهناك خطوط مجارى عبره ، كانت ستسمح للغاز بالوصول للمباني المجاورة . أما الموقع الثانى ، ماجدانك ، فيستحيل استخدامه لإنجاز هذا الغرض .

يستنتج لوتشر أن الظروف الملائمة لاستخدام الغرف لقتل الأفراد بالغاز غير موجودة في أوسترش . ومن فعل ذلك كان سيخاطر بحياة العاملين في المكان والقريبين منه . بل إن المواد المطلوبة لإنتاج الغاز واستخدامه كان سيصعب إيصالها إلى الموقع .

يستنتج المؤلف بعد زيارة أوسترش وبر كيناو وماجدانيك أن هذه المواقع لم تحو غرف غاز (٥٤) .

Written at Malden, Massachusetts, April 5th 1988 . Fred Leuchter Jr. Chief Engineer ., (٥٤)

بل إن المحامية - كرسى - لاحظت خلال محاكمة تورنتو ، أن عددا كبيرا من الحقائق المذكورة فى شهادات شهود العيان تعارضت مع الإمكانيات الواقعية لاستخدام المواد الكيماوية . وهى تقدم ثلاثة أمثلة :

(١) قال رودلف هس ، فى « قيادات استوش » ص . ١٩٨ ما يلى : « فتحنا الأبواب بعد نصف ساعة من نشر الغاز . ثم بدأنا بنقل الجثث . وكان ذلك جزءاً من عملنا اليومى ، ومارسناه بلا مبالاة . بل دخنا السجائر ونحن نجر الجثث » .

وإذا ، فهم لم يستخدموا الأقنعة الواقية ؟

ومن المعروف أن التعامل مع أجساد تعرضت لغاز زلكون بى ، خلال نصف ساعة بعد التعرض ، خطر جدا ، وأخطر منه تناول الطعام فى ذات الوقت ، يحتاج المرء لكشف المكان للهواء الطلق لمدة عشر ساعات قبل دخوله .

استخدمت كرسى النص PS 1553 حيث قال هليبرج إنه بعث بغاز زلكون ب إلى موقعين وهما أورناينبرج واسترش خلال اليوم . ولكن هليبرج أكد سابقا أن لا أحد تعرض للغاز فى أورناينبرج . وقد أوضح أيضا أسباب استخدام زلكون بى ، وبقى آثار على استخدامه لمدة طويلة ، فى الحجرات التى تم بها تطهير الثياب . أما الحجرات التى استخدم الغاز فيها كما يدعون لقتل الناس ، فلا توجد فيها بقايا الغاز أو آثار على استخدامه . وهذا يدل على أن الغرف لم تكن أساسا غرف قتل بالغاز (٥٥) .

وقد فحص ليوتشكر كذلك بعض المواقع التى قيل إنها استخدمت من قبل النازيين للتخلص من الجثث . والحفر ، كما يصفها دارسو الموضوع ، كانت بعمق ستة أقدام . والغريب أن الماء يبدأ بالظهور فى هذه المواقع على عمق قدم ونصف . ومن الواضح استحالة إحراق الجثث أو وضعها فى قوالب أسمنت فى أعماق الماء . وسبب وجود الماء هو أن استرش بنيت أساسا على مستنقع ، مثل بركيئاو ، ومع ذلك هناك صور عن هذه الخنادق التى دفنت بها الجثث حيث تم إحراقها .

وقد صدر عام ١٩٧٩ كتاب صور أسويش وبركناو التى التقطها الطيارون الأمريكان ونشره دينو براجيونى وروبرت بوارير بعنوان : The Holocaust revisited وهو

لا يحوى أى صور مما سمعنا من شهود عيان مثل بريسك الذى ذكر أن السماء اكتظت بالدخان حين تم قتل ٢٥٠٠٠ يهودى هنغارى كل يوم من مايو إلى أغسطس ١٩٤٤ . ولكن الصور التى التقطت خلال هذه الفترة لا تظهر هذا الدخان أو أى أدلة على نشاط غير اعتيادى .

ألبوم أوسترتش ، الذى يحوى ١٨٩ صورة فى معسكر بركانو فى ذات الفترة ، مرة أخرى لا يقدم أى دلالة على ارتكاب المجازر العامة . بل إن الصور تدل على أن أعمال القتل التى حدثت تمت فى مكان سرى فى المخيم^(٥٦) .

وحتى الآن ، تبقى الكثير من حقائق هذا الأمر بأجمعه غامضة ، ولا بد من السماح بطرح الموضوع من جديد ومناقشته من قبل المختصين .

أسطورة المحرقة النازية

التصفية العرقية : وتعنى الإفناء المنظم لمجموعة عرقية عن طريق تصفية أفرادها .
إن التصفية العرقية – مثل الوعد الربانى المذكور فى التوراة – جزء من التبرير لقيام دولة إسرائيل^(٥٧) .

وقد تم استخدام مصطلح التصفية العرقية لوصف ما عاناه اليهود على يد النازية .

ولكن هل يمكن القول إن « التصفية العرقية » هو ما حل باليهود ؟ حتى إن اتفقنا مع هتلر ودولة إسرائيل على أن اليهود عرق بعينه ؟

وتطبيق مصطلح « التصفية العرقية » لا ينطبق إلا على احتلال يشوع لكنعان . فهو لم يترك أحدا على قيد الحياة فى المدن التى احتلها ، كما يؤكد العهد القديم . ليس هناك شك فى اضطهاد هتلر لليهود ، نظرا لإيمانه بعقيدة « عظمة الجنس الأبيض » . وخلطه بين اليهود والشيوعيين ، الذين عاداهم بشدة وعنف ، وقتل منهم

(٥٦) L / A lbum d'A uschwiz * Le Seuil . Paris. 1983 .

(٥٧) Tom Sergerv . Le Septime million * Ed. Liana Levi. 1993 . P. 588

ثلاثة آلاف من الألمان ، وسجناء السلاف . وما إن كون الحزب الوطنى الاشتراكى ، حتى قرر طرد اليهود من ألمانيا ، ثم من أوروبا حينما بات سيذا لها . وقد فعل ذلك بأسلوب لا إنسانى ، أولا عن طريق نفيهم ، ثم عن طريق حبسهم فى مخيمات ، وطردهم خارج الحدود . ثم فكر فى نفيهم إلى مدغشقر ، ثم إلى شرق أوروبا ، خصوصا بولاندا ، حيث عمل السلاف ، اليهود ، والفجر فى الصناعات العسكرية القاسية ، التى حصدتهم أفواجا ، ثم أصابهم التيفود ، ونتج عن ذلك الجثث التى اكتظت بها المقابر الكبيرة . وماذا كانت نتيجة أفعال هتلر القاسية تجاه أعدائه ؟

مات خمسون مليون فرد خلال الحرب الثانية ، منهم سبعة عشر مليون روسى ، وتسعة ملايين ألمانى . دفعت بولندا ثمنا باهظا ، مثلها كمثل غيرها من الدول الأوروبية المحتلة . هناك ضحايا حتى بين الجنود من إفريقيا وآسيا ممن لم يكن لهم صلة تذكر بالصراعات الأوروبية .

لم يعاد هتلر اليهود فحسب ، كما ادعى حنا أرنديتز . بل كان معاديا للإنسانية جمعاء ، وإن طبقت خمس نول أوروبية سياساته ضد « الملونين » . ذات ما فعله هتلر مورس ضد الهنود الحمر ، الذين قتل ٧٥٪ منهم (كذلك عن طريق العمل الإجبارى والمرض ، أكثر من المجازر) . وحدث ذات الشئ مع سكان إفريقيا ، الذين نقل الملايين منهم وبيعوا فى سوق النخاسة ، وقتل عشرة مقابل كل واحد تم استعباده . وهكذا ، فإن الحديث عن أفظع محرقة بشرية فى التاريخ غير صادق ، ويساعد المستعمر على تغطية جرائمه القاسية ، وكان ذلك أسلوبا ملائما لستالين لتغطية جرائمه البشعة ، قتل ٢٠٠٠٠٠ مدنى خلال ساعتين فى درسدن ، بلا أى هدف عسكري لأن الجيش الألمانى كان يتقهقر أمام التقدم السريع للقوات السوفيتية التى وصلت إلى أودر فى يناير . والولايات المتحدة كذلك ألقت بالقنابل الذرية فوق هروشيما ونجازاكي ، مما تسبب فى مقتل ٢٠٠٠٠٠ شخص وجرح أو إعاقة مائة وخمسين ألفا آخرين ، بلا داع . فإمبراطور اليابان ، هيروهيرو ، بدأ مفاوضات الاستسلام فى ٢١ مايو ١٩٤٥ مع الاتحاد السوفيتى من خلال سفير اليابان للشئون الخارجية . وقد عرفت واشنطن بحدوث هذه المفاوضات . الهدف من إسقاط القنابل كان سياسيا ، وهو تدمير القوة اليابانية قبل أن تتدخل روسيا . وهكذا وجد جميع قوات الدول المنتصرة أن وجود « محرقة » وقتل منظم على أساس عرقى سيبرر جرائمهم اللاإنسانية .

المؤرخ الأمريكى ، البرايت ، الذى كان مديرا للمدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية برر جرائم القتل والتصفية العرقية التى مارسها جاشوا حين غزا أراضى كنعان ، ثم استطرد قائلاً : « لا يحق للأمريكان محاسبة الإسرائيليين . فقد قتلنا ألافاً من الهنود الحمر وما أبقينا إلا على قلة قليلة منهم جمعناها فى أماكن بعينها ^(٥٨) .

أما كلمة محرقة ، فبدأ استخدامها فى كتاب « الليلة » (1956) وشاعت بسبب استخدامها عنواناً لفيلم ، وتدل على التصميم على تحويل الجرائم التى ارتكبت بحق اليهود إلى حدث استثنائى لا يقارن بأى جريمة أخرى . التضحية اليهودية باتت ، حسب هذا التفكير ، مثل تضحية المسيح دلالة على بدء عهد جديد .. مما سمح لحبر بالقول : « إن تكوين الدولة العبرية كان إجابة الرب للمحرقة اليهودية » .

وهكذا بات لهذه المحرقة طبيعة مقدسة ، إذ تحوى :

– مجزرة تامة .

– تضحية ومعاناة شديتين .

فكرة المجزرة التامة التى تؤدى لقتل جميع اليهود تبقى بلا أدلة علمية . معاداة هتلر للسامية ترتبط بحربه ضد الشيوعيين ، وأول مخيمات أنشأها كانت ضد الشيوعيين ، وقتل فيها الآلاف منهم . وقد اتهم هتلر اليهود باتهامين متعارضين : فهم أولاً أكثر الشيوعيين نشاطاً ، وهم كذلك رأسماليون يستغلون الشعوب . ولذلك قرر ، بعد إتمام تدميره للحزب الشيوعى فى ألمانيا والنمسا ، أن يدمر الاتحاد السوفيتى . كانت بداية النهاية لسلطة هتلر ، وفى روسيا ، استخدم وحدات خاصة من أجل القضاء على الشيوعيين الذين قاوموا قواته ، وقتل قياداتهم ، حتى إن كانوا أسرى حرب .

وقد سعى هتلر كذلك إلى طرد اليهود من أوروبا إلى بلد أخرى . الأسلوب الأول كان السماح لهم بالهجرة ، مقابل ثمن . وقد ساعد الصهاينة هتلر فى هذا الجزء من مشروعه . أما الخطوة الثانية فكانت إخراج اليهود من أوروبا ونقلهم إلى مدغشقر .

De l'age de Piere. ED. Payot, 1951. P. 205 (٥٨)

ولم يتم تنفيذ المشروع لأن ألمانيا لم تملك العدد الكافي من البواخر فى زمن الحرب . احتلال هتلر لبولندا سمح بتحقيق جزء من هذا المخطط الدموى . فنقل اليهود إلى معسكرات حيث أجبروا على العمل الشاق ، ومات غير القادرين منهم على إنجازه ، وتعرضوا للتجويع وعانوا الأمراض القاسية . وهل كان هناك حاجة إلى المبالغة فى أعداد الضحايا ، والعودة لتقليصها لاحقا ؟

مثلا، حين تحول عدد القتلى المذكورين على مدخل بركيناو واوستوتش من أربعة ملايين إلى مليون . أو حين تحولت القطعة الموجودة على مدخل حجرة الغاز فى داشاوا لتؤكد على أنها لم تعمل أبدا^(٥٩). وفى عام ١٩٨٠ ، ولأول مرة ، شكك الصحفى المعروف ، بوآز افرون ، بالطبيعة الخاصة لمعاناة اليهود :

لابد أن ينهب كل زائر إلى ياد فاشم حتى يفهم طبيعة المشاعر والظن الذى يجدر به المعاناة منه .

وإن تصورنا أن العالم يكرهنا ، فلا نحتاج لأن نحاسب على أفعالنا تجاهه .

العزلة من العالم وقوانينه ستؤدى ببعض اليهود إلى معاملة من هم من غير اليهود كجنس أقل شأنًا مما سيؤدى إلى العنصرية .

افرون يحذر من هذه النزعة للخط بين عدوانية العرب ومعاداة النازيين للسامية^(٦٠).

لابد أيضا من التفرقة بين غرف التطهير وغرف الغاز . فغرف التطهير تهدف للحد من انتشار الأمراض المعدية ، وهى موجودة فى باريس ولندن . وأن اعتبر الإعلام غرف التطهير غرف غاز فذلك للتأكيد على وجود المحرقة . فكل ما تم من بحث لم يعثر على أى ورقة تقدم أمرا باستخدام حجر الغاز ، أو تطلب إنشائها . وقد كتب المؤرخ مارتن بروسزات ، من مؤسسة التاريخ المعاصر : « لم يوجد فى داشاوا ، أو فى برجن بلسن ، أو بوشنوالد ، أى غرف قتل فيها الأفراد بالغاز » .

Le Monde, July , 18th 1990 P. 7 (٥٩)

Boaz Evron, " le Genocide Un Danger Pour la Nation . " Iton 77 May June 1980 . (٦٠)

كتب جين جابريل كوهن ما يلي : دعنا نطالب بتكسير هذه الغرف التي يشاهدها السواح فيتصورون أنها غرف غاز ، وإن لم تكن كذلك ، كما نعلم الآن . وإلا فسنخاطر ألا يصدقنا الناس حين نتحدث عن أشياء حدثت بالفعل . »^(٦١)

– أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد ما يسمى بالشعب الفلسطيني . لا تتصور أننا أتينا وطردهم واحتلنا أرضهم . لم يوجدوا قبلنا »^(٦٢).

العقيدة الصهيونية تعتمد على مبادئ بسيطة ، مذكورة في سفر التكوين : « وفي ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » . (٢٠ – ١٨ ، ١٥) .

بدون التساؤل عما يعنيه هذا الميثاق ، ولن ، وهل كان بلا قيود ، يؤكد الصهاينة أن الله أعطاهم الأرض الفلسطينية .

الإحصائيات الإسرائيلية تدل على أن نسبة المتدينين في المجتمع ١٥٪ . ومع ذلك ، يدعى ٩٠٪ من سكان المجتمع الإسرائيلي أن الله – الذي لا يؤمنون به – قد قدم لهم هذه الأرض . وحتى الأحزاب المتدينة لا تجد سوى قلة تتبع عقائدها . وهذا التناقض يفسره المؤلف ناتان واينستوك إذ يقول في كتابه « الصهيونية ضد إسرائيل » . (١٩٩٩ ، ص ٣١٥) .

إن كان الأخبار ينتصرون في إسرائيل ، فذلك بسبب أن الصهيونية تعتمد على ديانة موسى الموجودة في التوراة . إن ذهبت فكرة « الشعب المختار » و « الأرض الموعودة » لانهارت الصهيونية . لهذا السبب تأخذ الأحزاب اليمينية قوتها من الصهيونية العلمانية . البنية الداخلية لإسرائيل تفرض على حكامها تقوية الأخبار . الأحزاب الاشتراكية هي التي تدافع عن تعليم الدين في المدارس . وبما أن هذه الدولة تحيا لأن الرب وعد بوجودها

(٦١) Liberation, March , 5th 1979 , P. 4

(٦٢) Golda Meir, Statement to " THE " Sunday Times" 15 June 1969 .

وحمايتها ، لا يحق لأحد مساءلتها عن شرعية وجودها . هذه هي المسألة التي قدمتها جولدا مائير^(٦٣).

أما بيجن ، فقال في أوصلو لمجلة ديفر ، في ١٢ ديسمبر ١٩٧٨ : « هذه الأرض وعدنا بها الرب ، وهي حق لنا » .

بن جوريون ذكر بأن الأمريكان أبقوا الحدود مفتوحة مع اليهود الحمر حتى يتاح لهم التوسع إلى المحيط الهادئ . ثم استطرد قائلاً : « لا يهمنا الحفاظ على الوضع الراهن . لابد لنا من خلق دولة قادرة على التوسع » . والممارسات السياسية تتطابق تماماً مع هذه النظرية . إذ تؤخذ الأرض عنوة ويطرده سكانها . وهكذا لا يمكن تطبيق القوانين الدولية في التعامل مع إسرائيل . بل فرضت على الأمم المتحدة من قبل الولايات المتحدة ، وعلى أساس ثلاثة شروط :

(١) عدم المساس بالقدس .

(٢) السماح للفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .

(٣) احترام الحدود التي حددتها قواعد التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن : أن إسرائيل ترفض الاعتراف بقرار الأمم المتحدة الصادر يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧^(٦٤).

وقد أوضح موشى ديان أسباب هذا الرفض : « إعلان الاستقلال الأمريكي المعروف لا يحدد حدوداً للدولة . لا يجدر بنا تحديد دولتنا^(٦٥) .

والسياسات الإسرائيلية تتطابق مع قانون الغابات هذا : فالحكومة الإسرائيلية لم تحترم قوانين التقسيم ، مع أنها تدل على تحيز الغرب لصالحها . فعدد اليهود كان اثنين وثلاثين بالمائة من السكان ، وملكوا خمسة بالمائة من الأرض ، ومع ذلك سيطروا على ستة وخمسون بالمائة منها . الولايات المتحدة ساهمت بتطبيق هذه القوانين .

(٦٣) Le Monde , 15 October 1971 .

(٦٤) " New York Times " , 6 December 1953 .

(٦٥) Jerusalem Post 10 August 1967 .

قال ولسن ، المسئول في وزارة الخارجية : « طلب رئيس الجمهورية منا الوصول للعدد المطلوب في الأمم المتحدة بأى شكل من الأشكال . »^(٦٦) أما وزير الدفاع آنذاك ، جيمس فورستال ، فأكد : « أن أسلوب الضغط وكبت أصوات المعارضة اقترب من الفضيحة »^(٦٧) تم استخدام شركات القطاع الخاص التى كان لها تعاقدات مع دول أعضاء فى الأمم المتحدة للتعامل مع نولها من أجل الوصول للقرار . وحين رفض العرب القرار استغلت إسرائيل الفرصة واحتلت أراضى جديدة مثل يافا ، وهكذا وفى عام ١٩٤٩ ، كان ٧٧٠٠٠٠ فلسطينى قد هجروا من ديارهم عن طريق الإرهاب . وأشهر مثل على هذا كان مجزرة دير ياسين التى قتل سكانها البالغ عددهم ٢٥٤ رجلا وفتاة وطفلاً .

فى كتاب « الثورة : تاريخ ارجون » أكد بيجن استحالة إنشاء إسرائيل بدون « انتصار » دير ياسين (ص ١٦٢) ثم استطرد : قامت الهاجانا بعدة هجمات على الجبهات . وهرب العرب صارخين : « دير ياسين » . وأى فلسطينى ترك أرضه قبل ١ أغسطس ١٩٤٨ اعتبر « غائباً » . وبهذه الطريقة تمت مصادرة سبعين ألف هكتار من أصل مائة وعشرة آلاف هكتار . وحين صدر قانون التعويضات ، حدد سعر الأرض بما كان عليه عام ١٩٥٠ ، وإن انخفض سعر العملة الإسرائيلية إلى خمس ماكان عليه قبل ذاك . وكذلك ، بما أن المجتمع الفلسطينى كان إقطاعياً ، فقد اشترى الإسرائيليون الكثير من الأراضى من الإقطاعيين « الأفندية » ، وتم تهجير الفلاحين الذين زرعوها منها .

وقد كتب مبعوث الأمم المتحدة ، الكونت فوك برناوت ، فى تقريره الأول ما يلى : « لا يحق لإنسان منع هؤلاء الأبرياء من العودة إلى ديارهم . بينما تهطل مجموعات المهاجرين اليهود على فلسطين كالطرر . مما يهدد باستبدال سكان الأرض لقرون بسكان جدد » وهو يصف « العدوانية الصهيونية وتدمير الكثير من القرى بلا أى حاجة عسكرية لذلك » . وقد كتب برناوت تقريره هذا فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ . وفى اليوم التالى تم اغتياله فى الجزء الصهيونى من القدس .

(٦٦) . S Welles. We Need Not Fail * Boston , 1948, P. 63 .

(٦٧) . Forrestal's Memoirs, NY, Viking Press, 1951 . P. 363 .

وما كانت أول مرة يقتل فيها الصهاينة من يكشف خداعهم . فقد صرح لورد « موين » ، القائم بالأعمال البريطاني في القاهرة ، في ١٢ يونيو ١٩٤٢ في مجلس العموم البريطاني « إن اليهود في عصرنا ليسوا أحفادا لليهود القدماء ، ولا يحق لهم المطالبة بالأرض المقدسة » . وقد دعا إلى تحديد عدد المهاجرين من اليهود إلى فلسطين ، واعتبر « عدوا لدودا لاستقلال اليهود » . وقد تم اغتياله في القاهرة يوم ٦ نوفمبر من قبل عضوين من أعضاء عصابات شتيرن . وبعد أعوام ، في ٢ يوليو ١٩٧٤ : ذكرت مجلة « نجمة المساء » في أوكلاند أن جسدَي اثنين من القتلة تم استبدالهما بعشرين سجيناً عربياً حتى يتم دفنهما في المقبرة الخاصة بالأبطال في القدس . وقد نعت الحكومة البريطانية تقدير إسرائيل للقتلة واعتبارهم أبطالاً .

وفي ٢٢ يوليو ١٩٦٤ تم تفجير الجناح الخاص بالقيادات البريطانية في القدس مما أدى لوفاة أكثر من مائة شخص - بينهم بريطانيون وعرب ويهود . وكان التنظيم المسئول عن الجريمة هو أرجون . واحتلت دولة إسرائيل مكان المستعمرين القدماء واستخدمت ذات الأساليب . فمثلاً ، المساعدات المائية للزراعة لم تقدم بأسلوب المساواة ، بل تمت مساعدة الفلاحين اليهود . فما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٩ زاد حجم الأراضي المزروعة من قبل اليهود من ٢٠٠٠٠ هكتار إلى ١٦٤٠٠٠ . أما بالنسبة للعرب ، فالزيادة كانت من ٨٠٠ هكتار إلى ٤١٠٠ . وهكذا بات النظام العنصري الذي وجد في عصر الاستعمار البريطاني أشد سوءاً . الدكتور روزنفيلد ، في كتابه « العمال المهاجرون العرب » الذي نشره في الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٧٠ ، يلاحظ أن الزراعات العربية كانت أفضل حالاً خلال الاستعمار البريطاني مما آلت إليه بعد ذلك .

العنصرية كذلك واضحة في سياسة الاسكان . رئيس مجموعة حقوق الإنسان في إسرائيل ، د . إسرائيل شاهاق ، وهو أستاذ في الجامعة العبرية في القدس ، يقول في كتابه « عنصرية دولة إسرائيل » : توجد مدن في إسرائيل لا يحق للعرب الدخول إليها . وهناك صلوات يهودية تم اقتراحها من قبل وزارة التربية في إسرائيل تدعو الله للانتقام من أمة القتل الألمان . وهكذا نمت ثقافة معاداة الغير .

يقول إهود بريفر ، وهو ضابط مسئول عن التعليم فى الجيش : « بعد الاستماع لخطب كاهانا تخيل عدد كبير من جنود اليهود مخططات كثيرة لقتل جميع العرب » - ويستطرد قائلا :

من المقلق تماما أن ما حدث فى ألمانيا لليهود يستخدم لتبرير العنصرية اليهودية . من الضرورى إذا التعامل مع قضية اضطهاد اليهود فى ألمانيا ، ولكن كذلك مع مخاطر العنصرية فى مجتمع يسعى للديمقراطية . الكثير من الجنود بدأوا يعتقدون أن القتل الذى عاناه اليهود على يد النازية الهتلرية يبرر أفعالا لا إنسانية يقومون بها .

وقد طرحت هذه القضية بوضوح قبل تكون دولة إسرائيل . فإن مدير « المؤسسة اليهودية الاقتصادية » ، يوسف ويتز ، كتب فى عام ١٩٤٠ .

من الضرورى التأكيد أن هذه البلد لن تكفى لشعبين . إن هجرها العرب ، ستكفيها . لابد لهم جميعا من الرحيل . لا يجب أن تبقى قرية واحدة ، قبيلة واحدة . لابد أن نشرح لزعماء الأمم الصديقة أن أرض إسرائيل ستكفيها إن تركها العرب ، خصوصا إن وصلت إلى حدود الليطاني شمالا ، وإلى مضاب الجولان شرقا .^(٦٨)

وفى الجريدة الإسرائيلية المعروفة ، يديعوت أحرونوت ، فى يوليو ١٤ ، ١٩٧٢ ذكر - يورام بار بوراث - الهدف المنشود :

وظيفة القيادات الإسرائيلية هى أن تشرح للرأى العام ، بوضوح وشجاعة ، بعض الحقائق التى نسيناها مع مرور الوقت . الأولى هى عدم وجود صهيونية ، أو دولة يهودية ، بدون طرد العرب والاستيلاء على الأراضى .

وهكذا يصير المنطق الصهيونى واضحا : فكيف يمكن إنشاء دولة يهودية على أرض يسكنها شعب آخر ؟ وقد قدمت الصهيونية حلا وهو طرد الفلسطينيين وإنشاء المستوطنات فى أراضيه . وفى عهد وعد بلفور امتلك اليهود ٢,٥ ٪ من أرض فلسطين ، وخلال وقت التقسيم ٦,٥ ٪ وفى ١٩٨٢ امتلكوا ٩٣ ٪ .

(٦٨) . Yossef Weitz, "Journal" Tel Aviv, 1965 .

أما أساليب طرد الناس واحتلال أراضيهم فتتسم بالعنصرية . فى المرحلة الأولى استغل البارون انوار دى روثسكايلد العمالة الفلسطينية الرخيصة ، تماما كما استغل الفلاحة العربية فى الجزائر . وقد حدث تغير مع مجىء المهاجرين من روسيا بعد فشل ثورة ١٩٠٥ . فبدلا من الاستمرار فى الصراع من أجل تحسين الأوضاع فى بلادهم ، مع باقى الثوار الروس ، جلب الفارون معهم نوعا خاصا من الصهيونية الاشتراكية إلى فلسطين . خلقوا تجمعات فلاحية وهى « الكيبوتز » ، التى رفضت الفلاحين الفلسطينيين وخلقت اقتصادا يهوديا . وهكذا انتقلت فلسطين من الاستعمار التقليدى (الذى استغل العمالة العربية الرخيصة) إلى تكوين المستوطنات اليهودية . ومنذ هذه اللحظة بدأ مشروع استبدال شعب بآخر ، واحتلال أرضه . وكانت الخطوة الأولى تكوين « مؤسسة اقتصادية يهودية » عام ١٩٠١ ، التى أوضحت ما يميز المشروع الصهيونى من المشاريع الأخرى الاستعمارية : فالأراضى التى يشتريها الصهاينة لا تباع ولا تعاد ولا تعار لغير اليهود . وقد تم تقنين هذا الوضع فى الخمسينيات .

نظام آخر كان إبقاء قوانين الطوارئ ، التى استخدمها البريطانيون عام ١٩٤٥ ضد العرب . القانون ١٢٤ يعطى للقائد العسكرى للمنطقة الحق فى استخدام ذريعة « الأمان » بحيث يمنع المواطنين من التحرك . وهكذا يمنع الجيش الأفراد من دخول منطقة ، ويتم اعتبارها بعد عام « غير مزروعة » فتأخذها وزارة الزراعة لتزرعها . وحين بدأ البريطانيون باستخدام هذا النظام ، احتج المحامى برنارد جوزف عليه :

وهل بتنا جميعا ضحايا للاضطهاد الرسمى ؟ لايمكن أن يطمئن أى مواطن لعدم تعرضه للسجن بلا محاكمة . قدرة الدولة على طرد أى فرد بلا حدود . لا داع لأن يرتكب المواطن جريمة ، القرار يتم اتخاذه فى المكتب ويطبق بيسر .

وهذا المحامى ذاته برنارد جوزف ، حين بات وزير العدل الإسرائيلى ، طبق القانون ذاته ضد العرب .

وهكذا تحدث ج. شابيرا عن هذا القانون ، فى ذات المظاهرة فى ٧ فبراير ١٩٦٤ . فى تل أبيب ^(٦٩) : « لا يوجد نظام كهذا فى أى بلد متحضر . حتى ألمانيا النازية لم تستخدم قوانين كهذه » ولكن ج . شابيرا ذاته ، حين عين قاضيا فى الدولة الإسرائيلية ، طبق هذه القوانين التى احتج عليها ضد العرب . ومن أجل تبرير هذه الأوضاع المخيفة ، لم ترفع القوانين الاستثنائية منذ عام ١٩٤٨ وقد أعلن شمعون بيريز بصراحة فى جريدة « ديفر » فى ٢٥ يناير ١٩٧٢ : « أن استخدام قانون ١٢٥ ضرورى للصراع الإسرائيلى من أجل الاستيطان والهجرة ».

قانون ١٩٤٨ (الذى تم تعديله عام ١٩٤٩) عن استصلاح الأراضى يسعى لذات الهدف . إذ يتيح لوزير الزراعة مصادرة أى أراض خاوية هجرها العرب الخائفون ، كما حدث بعد مجازر دير ياسين وكفر قاسم (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) . الوحدة ١٠١ (التى خلقها موسى ديان وقادها آريل شارون) حررت بهذه الطريقة الكثير من الأراضى بعد أن طردت سكانها العرب وقدمتها لليهود .

أسلوب الاستيلاء على الأرض وصل لقمته مع قانون ٢٠ يونيو ١٩٤٨ الذى تعامل مع ملكيات الغائبين ، وقوانين مصادرة الأرض (١٢ مارس ١٩٥٢) وغيرها من القوانين التى قننت السرقة عن طريق إنشاء المستوطنات ، كما يوضح ناتان وينستوك فى كتابه : الصهيونية ضد إسرائيل :

من أجل مسح ذكرى وجود سكان فلاحين ولخلق مصداقية لأسطورة الأرض المهجورة تم تدمير القرى العربية - المنازل ، الحيطان ، وحتى المقابر . وفى ١٩٧٥ ، قدم بروفيسر إسرائيل شاحاق قائمة تحوى اسم ٢٨٥ قرية عربية تم تدميرها ومسحها تماما ، من أصل ٤٧٥ وجدت عام ١٩٤٨ .

ولإقناع العالم بأن فلسطين كانت صحراء قبل وجود إسرائيل ، تم تدمير مئات القرى ومسحها بالأرض ^(٧٠).

(٦٩) . Haprakit, February 1046 , p. 58 - 64 .

(٧٠) . Israel Shahak, " Racism and the State of Israel " , p. 152 .

وكانت النتيجة هي تهجير مليون ونصف مليون فلسطيني ، واعتبرت أراضيهم
أراضٍ يهودية ، ملك اليهود ٦,٥ ٪ / عام ١٩٤٧ ، ويملكون اليوم ٩٣ ٪ (٧٥ ٪
تملكها الدولة ، و ١٤ ٪ تملكها مجموعة الاقتصاد اليهودي (National Fund) .

ولذلك يصعب انتقاد قوانين الأمم المتحدة بشأن إسرائيل ، وخصوصا قانون
العاشر من نوفمبر ١٩٧٥ (قرار ٢٣٧٩) الذي يعتبر الصهيونية نوعا من العنصرية
والتمييز .

ولكن هذه القوانين العنصرية التي تساعد اليهود على الاستيطان ، لم تزد أعداد
المهاجرين . والواقع هو أن أغلبية اليهود الذين يأتون إلى إسرائيل يفرون من معاداة
السامية في بلادهم . ففي ١٨٨٠ ، وجد ٢٥٠٠٠ يهودي في فلسطين من أصل
..... ٥٠٠٠٠ . في عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرة بعد أن قُتِلَ القيصرية معاداة السامية .
وهكذا انتقل إلى فلسطين حوالي ٥٠٠٠٠ يهودي روسي بين عامي ١٩١٧ و ١٩٨٢ .
وبين الحربين هاجر اليهود من بولندا والمغرب فرارا من الاضطهاد . ولكن العدد
الأكبر جاء من ألمانيا بسبب معاداة هتلر لليهود ، التي نتج عنها مجيء ٤٠٠٠٠ منهم
قبل عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٤٧ ، عشية إنشاء الدولة الإسرائيلية ، كان عدد اليهود
..... ٦٠٠٠٠ من تعداد كلي يبلغ ١٢٥٠٠٠٠ .

قبل حرب ١٩٤٨ ، عاش ٥٦٠٠٠٠ عربي في الأراضي التي تحولت إلى
إسرائيل . عام هاجر منهم ، وبسبب ازدياد أعداد السكان ، باتت أعدادهم
..... ٤٥٠٠٠٠ في أواخر عام ١٩٧٠ . وقد كشف تنظيم حقوق الإنسان الإسرائيلي أنه ،
بين يونيو ١٩٦٧ و ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ تم تفجير ٢٠٠٠ منزل بالديناميت من قبل
السلطات الإسرائيلية في الضفة الغربية .

حسب إحصاء ٢١ ديسمبر ١٩٢٢ ، البريطاني ، سكن فلسطين ٧٥٧٠٠٠
مواطن منهم ٦٦٢٠٠٠ عربي (٥٩٠٠٠٠ مسلم عربي ، و ٣٧٠٠٠٠ مسيحي عربي)
و ٨٣٠٠٠ يهودي (أي ٨٨ ٪ عرب و ١١ ٪ يهود) . ومن الضروري تذكر أن هذه
الصحراء المزعومة كانت تصدر الحمضيات .

وقد زار أحد الصهاينة . وهو أشار جوينسبرج فلسطين عام ١٨٩١ ، وكتب باسم احاد حام واصفا ما يراه .

يتصور الناس أن فلسطين أرض صحراوية ، خاوية ، يستطيع أى فرد المجئ إليها وامتلاك ما يريده منها . ولكن الحقيقة مخالفة تماما . ففي أى جزء من هذه الأرض ، يصعب العثور على حقول غير مزروعة . الجزء الوحيد الفارغ هو الصحراء والأراضي المرتفعة التى يصعب زراعتها ^(٧١) .

والواقع هو أن المزارعين الفلسطينيين صدروا ٣٠٠٠٠ طنا من القمح كل عام وأن مساحة الأراضي العربية المزروعة تضاعفت إلى ثلاثة أضعافها بين ١٩٢١ و ١٩٤٢ ، وأن الحقول التى زرع فيها البرتقال تزايدت أعدادها إلى سبعة أضعاف بين عامي ١٩٢١ و ١٩٤٧ ، الإنتاج الكلى تضاعف عشر مرات بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٨ .

يتنبأ تقرير بيل ، الذى قدم إلى مجلس العموم البريطانى من وزير المستعمرات فى يوليو ١٩٣٧ ، مستندا إلى تزايد حقول البرتقال ، بأن الدول المصدرة ستكون كما يلى :

فلسطين ١٥٠٠٠٠٠

الولايات المتحدة ٧٠٠٠٠٠٠

إسبانيا ٥٠٠٠٠٠٠ ^(٧٢) .

وقد وصلت لجنة تحقيق تابعة للكونجرس الأمريكى للاستنتاجات التالية بشأن الأوضاع السكانية فى الضفة الغربية :

ملا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ إسرائيلى يسكنون الآن فى الأراضي المحتلة (شاملة هضبة الجولان والقدس الشرقية) ، وهم تقريبا ١٢ ٪ من السكان . حوالى ٩٠٠٠٠ منهم يعيشون فى ١٥٠ مستوطنة فى الضفة الغربية ، التى تملك

(٧١) Ahad Ha'am. Complete Works (In Hebrew) . Tel Aviv . Devir Publ. House and

Jerusalem . The Hebrew Publishing House 8 th edition P. 23 (Tel Aviv)

Peel Report " , chapter 8, 19 , p. 214 (٧٢)

السلطة الإسرائيلية نصفها . أما في القدس الشرقية والضواحي العربية المحيطة بها ، فحوالي ١٢٠٠٠ إسرائيلي استوطنوا في ١٢ منطقة ، في غزة ، حيث صادرت الدولة اليهودية ٣٠ ٪ من الأرض ، يعيش ٣٠٠٠ إسرائيلي في ١٥ مستوطنة . في الجولان ، هناك ١٢٠٠٠ فرد في حوالي ٣٠ موقع ^(٧٣) .

وقد ذكرت جريدة إسرائيل الأولى ، يديعوت أحرونوت ، مايلي :

تتزايد النشاطات الاستيطانية بحدة عما شاهدناه منذ السبعينات . وزير الإسكان والتعمير أريل شارون مشغول بإنشاء المزيد من المستوطنات ، تطوير الموجود منها ، إنشاء الطرق وإعداد دروب جديدة ^(٧٤) .

ولا يمكن أن ننسى أن شارون هو القائد الإسرائيلي الذي أمر بغزو لبنان . وقد قام بتسليح الكتائب التي طبقت « البرامج » في مخيمات فلسطينية مثل صبرا وشاتيلا وقد تورط شارون في هذه القضية ، واعترف بهذا التورط المحقق الإسرائيلي الذي حقق في المجزرة . أما الاعتناء بهذا المستوطنات اليهودية في المناطق المحتلة وحمايتها من قبل الجيش الإسرائيلي وتسليح المستوطنين ، فتجعل أي استقلال حقيقي للفلسطينيين وأي سلام من المستحيلات طالما بقي الاحتلال قائما .

ولكن النشاط الاستيطاني يتركز في القدس ويهدف إلى منع تطبيق أي قرار بإعادتها (وإن شجبت الولايات المتحدة ، والأمم المتحدة ، احتلال القدس) . النشاط الاستيطاني عموما مخالفة فاضحة للقوانين الدولية ، وخصوصا قوانين مؤتمر جنيف ١٩٤٩ ، الذي يؤكد الفصل التاسع والأربعون منه على أن « أي قوة محتلة لا يحق لها نقل سكانها إلى المنطقة القابعة تحت الاحتلال » . وحتى هتلر لم يخالف هذا القانون الدولي ، إذ لم ينقل الألمان للاستيطان في أراض تم إفراغها من سكانها الأصليين ، أما العذر ، وهو « الأمن » فمثله مثل الإرهاب ، غير مقنع . الإحصائيات بهذا الشأن تبلغنا بالكثير : ١١١٦ فلسطينيا قد تم قتلهم خلال الانتفاضة ، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧ ،

Le Monde , 18 April 1993 . (٧٣)

Le Monde, April 8 , 1993 . (٧٤)

عن طريق إطلاق الجنود أو المستوطنين النار عليهم . بين الضحايا هناك ٢٢٣ طفلا وصبيا تقل أعمارهم عن سبعة عشر عاما . أما الجرحى ، فأعدادهم حوالى ٢٠٠٠٠ حسب المصادر الإسرائيلية و ٩٠٠٠ حسب مصادر فلسطينية . وقد قتل من الجانب الإسرائيلى حوالى ٢٣ جنديا و ٤٠ مدنيا ، غالبهم من المستوطنين . أما عدد المعتقلين من الفلسطينيين ، فحوالى خمسة عشر ألف فرد .

وقد توفى ١٢ فلسطينيا فى غياهب السجون الإسرائيلية ، بعضهم فى ظروف غامضة . منظمة بيتسالم الإنسانية الإسرائيلية تؤكد أن ٢٠٠٠٠ معتقل يتم تعذيبهم كل عام خلال التحقيق فى المعتقلات العسكرية (٧٥) .

ومن المحزن أن الكثير من الإسرائيليين واليهود عموما فى عصرنا باتوا يبررون هذه الممارسات . وكأن إسرائيل باتت العجل الذهبى الذى يعبدونه فى هذا العصر .

الاستغلال السياسى للأسطورة

مجموعة الضغط الإسرائيلية – الصهيونية فى الولايات المتحدة :

تأثير رئيس وزراء إسرائيل على السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط يفوق تأثيره فى بلده^(١) .

وكيف أدت هذه الأساطير لإيمان الملايين من الأفراد الطيبين ؟ عن طريق خلق « أجهزة اجتماعية ضاغطة » تستطيع التأثير على سلوك السياسيين وتوجيه الرأى العام .

أساليب الفعل تتكيف مع الدولة المعنية . فى الولايات المتحدة ، يعتبر « الصوت » الإسرائيلى عاملاً مؤثراً فى الانتخابات (بسبب تغيب الكثيرين عن الاقتراع ، وغياب الفوارق بين الحزبين) . أحيانا كثيرة يعتمد المنتصر على فرق ٣٪ أو ٤٪ .

أكثر من ذلك ، الرأى العام متقلب ، يعتمد على « مظهر » المرشح ، وقدراته المادية . فى عام ١٩٨٨ ، تطلبت انتخابات مجلس الشيوخ للدعاية حوالى ٥٠٠٠٠٠٠ دولار^(٢) .

وأكثر الجماعات الضاغطة قوة فى العاصمة الأمريكية هى American Israel Public Affairs Committee . وإن اعتبر بن جوريون أن واجب كل إسرائيلى هو الرحيل إلى إسرائيل والحياة فيها ، فهناك من اعتقد أن وظيفة اليهود الأمريكان ، وهى العمل لمصلحة إسرائيل فى الخارج ، أكثر أهمية^(٣) .

(١) Paul Findley, " they Dare To Speak Out " p . 92

(٢) Alain Cotta, " Capitalism in all its States, " Ed Fayard 1991 .P 158

(٣) Melvin Wofsky ; We are one ! American Jewry and Israel " , New York , 1978 Pub. An- der Le Monde 12 September, 1993 . 118

وقد تم الاعتراف بإسرائيل وقبولها في الأمم المتحدة بسبب ضغوط الجماعة الصهيونية . ولم يود أيزنهاور استفزاز الدول المصدرة للنفط ، واعتبره « مادة إستراتيجية وأحد أعظم مصادر الثروة في تاريخ البشرية » . ولكن عوامل الانتخابات دفعته لتغيير رأيه ، وبقي هذا الوضع مع لاحقيه من الرؤساء . وعن موضوع تأثير وقوة الجماعات الصهيونية في الانتخابات ، اعترف الرئيس ترومان في عام ١٩٤٦ لمجموعة من الدبلوماسيين : « أحتاج للإجابة على أسئلة مئات الآلاف من الأفراد الذين يتوقعون نجاح الصهيونية . حيث إنه لا يوجد للعرب قوة ولا حول في الانتخابات الأمريكية »^(٤) . وقد صرح رئيس وزراء بريطانيا السابق ، كليمنت أتلي ، إن السياسات الأمريكية في فلسطين يحددها الصوت الانتخابي اليهودي ، ومعونات اقتصادية تقدمها بضع شركات يهودية كبيرة^(٥) .

وإن كان أيزنهاور قد أوقف ، مع الروس ، العدوان الثلاثي على قناة السويس ، إلا أن عضو مجلس الشيوخ ، الرئيس اللاحق للولايات المتحدة ، كيندي ، لم يبد أي اهتمام بالموضوع . في عام ١٩٥٨ ، اتصلت الهيئات اليهودية به ، وقال مراسلها بصراحة : « إن قلت ما نريد قوله ، تعتمد علينا . وإن لم تفعل ، فلن نكون المجموعة الوحيدة التي ستدير ظهرها لك » ثم استطرد شارحا : « كانت فكرة أيزنهاور تجاه قناة السويس خاطئة ، بينما كانت فكرة ترومان عام ١٩٤٨ صائبة »^(٦) . وقد اتبع كيندي هذه النصيحة عام ١٩٦٠ حين تم اختياره مرشحا للحزب الديمقراطي . وبعد تعهداته أمام الشخصيات اليهودية الهامة في نيويورك حصل على خمسمائة ألف دولار لحملته الانتخابية ، وعلى كلوتز كمستشار ، و ٨٠ ٪ من الصوت اليهودي^(٧) . وقد صرح كيندي لبن جوريون في لقائهما الأول في فندق استوريا والدورف في ربيع

(٤) William Eddy, F. P. Roosevelt and Ibn Saoud, N.Y. " American Friends in the Middle East, 1954 p. 31

(٥) Clement Atlee, " A Prime Minister Remembers " , Heinmann, London 1961 , P . 181

(٦) Melvin Wofeky, " We are One " p . 265 - 266 .

(٧) Ibidem , P. 271 to 280

١٩٦١ : أصبحت رئيساً بسبب أصوات اليهود الأمريكان . أبلغنى بما أستطيع أن أفعله للشعب اليهودى «^(٨).

وبعد كيندى سار لندن جونسون على ذات الدرب . إذ كتب دبلوماسى إسرائيلى : « فقدنا صديقاً جيداً . ولكن عثرنا على صديق أفضل . فجونسون صديق مخلص لإسرائيل فى البيت الأبيض »^(٩) . وقد أيد جونسون إسرائيل خلال حرب الستة أيام عام ١٩٦٧ . ومنذ ذلك الحين شجع ٩٩ ٪ من اليهود فى أمريكا إسرائيل . قال يهود - مثلهم مثل بقية الشعوب ، يفضلون الوقوف إلى جانب المنتصر ، أو يجبرون على ذلك .

قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، فى نوفمبر ١٩٦٧ ، طلب من إسرائيل إخلاء الأراضى المحتلة وأعلن ديجول حصاراً عسكرياً على الأسلحة الموجهة إلى إسرائيل . والكونجرس الأمريكى فعل الشيء نفسه ، ولكن جونسون ألغى الحظر فى ديسمبر ، وبسبب ضغوط الصهاينة ، قدم طائرات الفانتوم إلى إسرائيل . نيكسون أيضاً قدم ٢٥ طائرة فانتوم وأكثر من ٨٠ قاذفة صواريخ إلى الدولة العبرية .

وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر فى ٨ سبتمبر ١٩٧٠ اقترح الرئيس السادات السلام مع إسرائيل . ولكن موشى ديان ، وزير الأمن ، رفض الفكرة ، بالرغم من آراء وزير الخارجية أبا ابان . وهكذا ، وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بدأ السادات هجومه المعروف ، ودمر سمعتى جولدا مائير ، التى استقالت فى ١٠ أبريل ١٩٧٣ ، وموشى ديان . ومع ذلك ، قدمت مجموعات الضغط الإسرائيلية بليونى دولار من الأسلحة إلى إسرائيل أثناء الحرب^(١٠) . بل إن الكثير من البنوك اليهودية تبرعت وأضيفت الأموال إلى المعونات الأمريكية^(١١).

(٨) . Edward Tivnan, " The Lobby: p. 56

(٩) I . L . Kenen, " Israel's Defenese Line ", Prometheus Book, 1981 . Pp. 66 - 67

(١٠) Neff, " Warriors of Jerusalem : (p. 217)

(١١) Bick, p. 65

ومن بين ٢١ تبرعوا بأكثر من ١٠٠٠٠٠ دولار إلى السنتر هيوبرت همفري ، خمسة عشر كانوا يهوداً ، ومنهم جماعات اليهود في هوليوود ، مثل واسرمان . وهم تبرعوا بأكثر من ٢٠ ٪ مما استلمه الحزب الديمقراطي من هبات ^(١٢) .

أما جيمى كارتر ، فذهب إلى المعبد اليهودي في نيو جيرسى ، وقال : « أعبد ذات الرب مثلكم . ونحن نؤمن بذات الكتاب المقدس . ليس بقاء إسرائيل قضية سياسية ، بل أخلاقية » ^(١٣) . خلال هذه الفترة ، استطاع بيجن والأحزاب الدينية انتزاع السلطة من حزب العمال ، . وقد « اعتبر بيجن نفسه يهودياً أكثر منه إسرائيلياً » ^(١٤) .

وفي نوفمبر ١٩٧٤ جاء ناحوم جولدمان ، مدير مجلس النواب اليهودي ، إلى واشنطن لرؤية الرئيس كارتر ، وقدم النصيحة الغربية تماماً : « دمروا التجمعات الصهيونية في الولايات المتحدة » ^(١٥) . جولدمان - الذى قدم حياته للصهيونية ولعب دوراً أساسياً فى التجمع الصهيونى منذ زمن ترومان - قال إن هذا التجمع ضار ويعوق مسيرة السلام فى الشرق الأوسط . وقد كان بيجن رئيس وزراء إسرائيل وأراد جولدمان إضعافه ، حتى إن حدث ذلك عن طريق إضعاف القوة الصهيونية فى الولايات المتحدة. وبعد ستة أعوام تحدث سايرس فانس ، الذى حضر الاجتماع ، وقال إن « جولدمان طلب منا تدمير الصهيونية ولكننا أجبنا بأننا لا نملك القوة اللازمة بل قد يفتح ذلك الباب لمعاداة السامية » ^(١٦) .

وقد شارك بيجن السلطة مع حزب العمال ، واختار موشى ديان لوزارة الخارجية بدلا من شمعون بيريز . ووافق اليهود الأمريكان على هذا الاختيار لشخصيات متطرفة التفكير ، بدلا من السعى وراء الاعتدال . ولكن رجال الأعمال ، بعد أن لاحظوا تأثير الأحزاب على بيجن وخصوصا اهتمامه بـ « القطاع الخاص » ، رحبوا

(١٢) Stephen D. Issacs, " Jews and American Politics " (N . Y . pub. Doubleday . 1974 .)
Chapter .

(١٣) Time : 21, June , 1976

(١٤) Sliver, " Begin : The Haunted Prophet " p. 164 .

(١٥) " Stem , " New York , 24 , April 1978

(١٦) " Interview with Cryus Vance by Edward Tivnan, " The : obby " , pub. Simon and Schuster, 1987, 1987 , p.123

باتفاقيات كامب ديفد . قدم بيجن سيناء ، ولكنه لم يقدم الضفة الغربية ، التي اعتبرها أرضاً مقدسة ^(١٧) . وفي عام ١٩٦٧ وصل كارتزل ٦٨ ٪ من الأصوات اليهودية . وفي عام ١٩٨٠ وصل إلى ٤٥ ٪ من هذه الأصوات ، بعد أن باع خلال هذه الفترة طائرات إف ١٥ إلى مصر وطائرات أواك إلى السعودية ، وإن أكد على أن هذه الطائرات لن تستخدم ضد إسرائيل بما أن الجيش الأمريكي تحكم في النظام من الأرض . أما بيجن ، فبعد أن اطمأن إلى إخراج مصر من المعركة ، قام بتدمير محطة عراقية لإنتاج الطاقة النووية أنشأها الفرنسيون . ونظراً لقلة الاحتجاج ، قرر قصف ما قال إنه قواعد لمنظمة التحرير في بيروت في ١٧ يوليو ١٩٨١ . وقد استمر بيجن في طموحه لتكوين إسرائيل الكبرى الأسطورية ، فأنشأ المزيد من المستوطنات في الضفة الغربية ، والتي اعتبرها كارتز غير قانونية ، وعارضت قرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٢٢٨ ولكن ريجان اعتبر أن إسرائيل ستقف ضد المد الشيوعي الذي خشى أن يهدد الخليج . وفي نوفمبر عام ١٩٨١ ، التقى وزيراً الشؤون العسكرية ، كاسبر واينبرجر الأمريكي ، وأريل شارون ، الإسرائيلي ، للاتفاق على خطة بشأن إيقاف المد السوفيتي ^(١٨) .

وفي ١٤ ديسمبر ، ضم بيجن الجولان ، واحتج ريجان على هذا الكسر لقرارات الأمم المتحدة فأجابه بيجن : « هل نحن جمهورية موز ؟ مجرد دولة تمتلككم ؟ » .

وفي العام التالي احتل بيجن لبنان . الجنرال هيج وافق على هذا الهجوم الذي هدف لخلق النزعات الطائفية في لبنان . قلة من الأمريكان انتقدت هذا الاحتلال . ولكن مجازر صبرا وشاتيلا (التي تواطأ شارون وايتون مع مرتكبيها) أجبرت الجماعات اليهودية على الحديث . وهكذا انتقد مدير المجلس اليهودي العالمي ، هرتزبرج ، ومعه العديد من الأهبار ، بيجن في أكتوبر ١٩٨٢ . وقد عاتب بيجن الحبر شايندلر لأنه انتقده في التلفاز ، على أساس أنه « أمريكي أكثر منه يهودياً » واعتبره أحد معاونيه « خائناً » ^(١٩) . اليمين اليهودي في أمريكا أكد أيضاً على تشجيعه

(١٧) Stephen Issace : " Jews and American Policy " , Doubleday . 1974 D. 122

(١٨) N.Y. Times , 1 December 1981 .

(١٩) Michael Kremer, " American Jews and Israel. The Schism " , N.Y., 18 October 1982

للسياسات الإسرائيلية : « نؤكد أن ما يهمننا أكثر من الضفة الغربية هو قدرة إسرائيل على إيقاف المد الشيوعي .» وقد شجع الصهاينة المسيحيون العدوان الإسرائيلي ، وقدمت إسرائيل مكافأة لجيرى فالول ، الذى اعتبره بيجن « الممثل الشرعى لستين مليون مسيحى أمريكى » وقدرها مائة مليون دولار ، ومعها مائة وأربعون مليون دولار أخرى من التبرعات ^(٢٠) . القوة الاقتصادية ، ومعها القوة السياسية ، فى عالم يباع فيه ويشترى كل شىء ، باتت الأهم .

ومنذ عام ١٩٤٨ ، قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ بليون دولار شملت المساعدات الاقتصادية والعسكرية ^(٢١) . ومما يسعد إسرائيل وجود تعويضات ضخمة تقدم من ألمانيا ، وتبرعات يهود الشتات ، مما يتيح لقيادات إسرائيل التفكير بشأن « إسرائيل العظمى » .

ولا يمكن تجاهل تأثير لجنة العلاقات العامة الإسرائيلية الأمريكية (AIPAC) التى ازدانت ميزانيتها من مليون وستمائة ألف دولار عام ١٩٨٢ إلى ٦٩٠٠٠٠٠ دولار عام ١٩٨٨ ^(٢٢) .

ولم يخف الصهاينة نور مجموعاتهم الضاغطة . قال بن جوريون : « حين يتحدث يهودى ، فى أمريكا أو فى جنوب أفريقيا ، مع آخر عن « حكومتنا » ، فهو يعنى الحكومة الإسرائيلية ^(٢٣) . وفى المؤتمر ال ٢٢ للمنظمة الصهيونية العالمية ، أكد أنه يجدر بكل يهودى فى العالم « التعاطف ومعاونة الدولة اليهودية بلا شروط ، حتى إن تعارض موقف كهذا مع سلطات الدول التى يسكنون فيها » ^(٢٤) .

وهذا الخلط بين الديانة اليهودية والصهيونية السياسية الذى يشمل الالتزام بدولة إسرائيل (التى باتت عجلأً ذهبياً معبوداً) ، قد يؤدى إلى معاداة السامية .

(٢٠) . "Time, Power, Glory, k Politics", 17 February 1986 .

(٢١) . "Time : , June , 1994 .

(٢٢) Wall Street Journal, 24 June 1987

(٢٣) "Rebirth and Destiny of Israel ", 1954 , p. 489

(٢٤) Ben Gurion :Tasks and Character of a Modern Zionist : , Jerusalem Post , 17 August195

وقد اضطرت الحكومة الأمريكية للاستجابة . ففي رسالة إلى « قنصلية اليهود الأمريكان » ، نشرت في مايو عام ١٩٦٤ ، قال وزير الدولة ، تالبوت ، إن الولايات المتحدة تعتبر إسرائيل دولة مستقلة ، « ولا تعترف بأي علاقة سياسية مبنية على أساس التعاطف الديني . ولا توافق على أى نوع من التفرقة على أساس الدين » . ولذلك ، لا نعتبر أن « الشعب اليهودي » قضية يتعامل معها القانون الدولي . ولكن هذا التذكير لم يؤد لأى فعل ضد التجمعات اليهودية في أمريكا .

قصة بولارد تقدم مثالاً مهماً : ففي نوفمبر ١٩٨٥ ، قبض على مدافع عن الصهيونية يعمل في المركز الرئيسى للأسطول الأمريكى ، وهو جوناثان بولارد ، متلبساً وهو يأخذ إلى منزله أوراقاً سرية . وحين حقت معه الشرطة ، اعترف بأنه استلم خمسة آلاف دولار منذ عام ١٩٨٤ مقابل إرسال مستندات إلى إسرائيل . وليست هذه القضية فردية . بل توضح مدى اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة حالياً . وقد بدأ هذا الوضع عام ١٩٨١ حين قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل كل ماطلبت من سلاح باسم الدفاع والأمن . وكانت أولى نتائج هذه الهبة غزو لبنان . مثل هذه التصرفات الأمريكية شجعت غطرسة إسرائيل . ومن المعروف أن علاقات مبنية على الاعتماد قد تؤدي للعنوانية والكرهية . في وضع إسرائيل ، بدت مظاهر هذا الوضع عن طريق الهجوم على تونس ، أو قضية بولارد (٢٥) .

وقد حاول الأمريكان اليهود لعقود إقناع الرأى العام الأمريكى أن دعمهم لإسرائيل لن يؤثر على إخلاصهم للولايات الأمريكية . والآن يبدو أنه من الصعوبة الثقة بهم بهذا الشأن .. ومن يتحدثون عن إخلاص مزوج سيجدون من يستمع لهم . وليس من الصعوبة بمكان العثور على أمثلة حين نجح الضغط الصهيونى فى فرض سياسات ليس لواشنطن أى مصلحة منها . فمثلاً ، قام عضو مجلس الشيوخ ، السيد فولبرايت ، بجلب القيادات الصهيونية لمواجهة اللجنة الأمريكية المسئولة عن العلاقات الخارجية ، حتى يتم إلقاء بعض الضوء على النشاطات الخفية لهذه الجماعات . وقد

Washington Post " , 5 December 1985 (٢٥)

لخص استنتاجاته في برنامج « وجهاً لوجه مع الأمة » لقناة سى بى إس فى ٧ أكتوبر ١٩٧٣ : « يسيطر الإسرائيليون على السياسات فى الكونجرس والسنت » . ثم استطرد : « بل إن الكثير من أعضاء مجلس الشيوخ ، حوالى سبعين بالمائة منهم ، يتخذون القرارات بسبب ضغوط جماعات لا بسبب مبادئ يؤمنون بها » وخسر السيد ألبرايت مقعده فى مجلس الشيوخ فى الانتخابات اللاحقة .

وبعد هذا التحقيق ، وبالرغم من استنتاجاته ، زادت قوة جماعات الضغط الصهيونية . فى كتابه ، « هم يجرون على الحديث » الذى نشرته شركة لورنس هيل (عام ١٩٨٥) قام بول فندلى ، الذى عمل فى مجلس الشيوخ ل ٢٢ عاماً ، بوصف قوة جماعات الضغط الصهيونية ، قائلاً : إن ذلك الجزء من الحكومة الإسرائيلية يسيطر على الحكومة الأمريكية ووسائل الإعلام بل ويؤثر على الجامعات والكنائس .

وليس من الصعب العثور على أمثلة توضح أن طلبات الإسرائيليين تعمل ضد مصالح أمريكا . فى ٣ أكتوبر ، ١٩٨٤ ألغى مجلس النواب ، بموافقة ٩٨٪ من الأصوات كل تحديد للعلاقات التجارية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، بالرغم من تقارير سلبية من وزارة التجارة واعتراض الاتحادات العمالية . وكل عام ، مهما زادت القيود المفروضة على الميزانية ، ازدادت المساعدات لإسرائيل . أكثر التقارير سرية تصل إلى إسرائيل ، مما يعنى أن مستوى الجاسوسية مرتفع جداً . وقد كتب أدلاى ستيفنسون (المرشح للرئاسة الأمريكية سابقاً) فى مجلة العلاقات الأجنبية عدد ٧٥ - ٧٦ : « يستحيل مناقشة أى شأن يتعلق بإسرائيل مهما بلغت سرية بدون معرفة الحكومة الإسرائيلية » (١٢٦) وبالرغم من رفض وزارة الدفاع ، المؤسس على القوانين الأمريكية ، لتقديم القنابل الانشطارية (التى يمكن استخدامها ضد المدنيين) ، لإسرائيل خلال الحرب اللبنانية ، إلا أن الإسرائيليين حصلوا عليها واستخدموها مرتين فى بيروت لحصد أرواح المدنيين .

وفى عام ١٩٧٣ شهد الأدميرال الأمريكى توماس مور : « طلب منا المسئول العسكرى الإسرائيلى فى السفارة الإسرائيلية طائرات تحمل صواريخ ثقيلة . فأجبناه :

« لا يوجد لدينا سوى القليل جداً منها ، ونحن بحاجة لها . الكونجرس لن يوافق » قال المسئول الإسرائيلي : « قدموها لنا . ونحن سنعرف كيف نتعامل مع الكونجرس » . ثم أكد الأدميرال أن الطائرات ذهبت إلى إسرائيل بالفعل . (ص ١٦١) .

في يونيو ١٩٦٧ قصفت الطائرات الإسرائيلية الباقرة « الحرية » التي حملت أجهزة مراقبة دقيقة تماماً ، لمنعها من معرفة نوايا الهجوم على الجولان . مات ٢٤ بحاراً وجرح ١٧١ . وظلت الطائرات تحلق فوق الباقرة لست ساعات وتم قصفها لسبعين دقيقة . وقد اعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الخطأ وانتهى الأمر . ولكن في عام ١٩٨٠ اعتبر أحد شهود العيان للجنة تحقيق أن الهجوم جريمة قتل . الأدميرال توماس مور أوضح أن هذه الجريمة لم يتم الحديث عنها لأن الرئيس جونسون خشي رد فعل اليهود ، نظراً لتأثيرهم الانتخابي . « قال الأدميرال : سيجن جنون الشعب الأمريكي إن عرف حقيقة ما حدث » .

وفي عام ١٩٨٠ ، طلب ادلى ستيفنسن تخفيض ١٠٪ من المساعدات العسكرية إلى إسرائيل لإجبارهم على إيقاف إنشاء المستوطنات في الأراضي المحتلة ، وذكر النص أن ٤٣٪ من المساعدات الأمريكية ذهبت لتسليح إسرائيل المكونة من ثلاثة ملايين شخص فحسب . وقال ستيفنسن كذلك : « إن رئيس وزراء إسرائيل يؤثر على سياسات الولايات الخارجية تجاه الشرق الأوسط أكثر مما يؤثر على بلاده » .

وجماعات الضغط الصهيونية تفعل كل شيء ، من الضغط الاقتصادي إلى الابتزاز ، من السيطرة على الإعلام إلى التهديد بالقتل .

يقول بول فندلي : « من يجرؤ على انتقاد سياسات إسرائيل يتوقع عقوبات مؤلمة وحتى حرمانه من العمل . الرئيس يخشى جماعات الضغط هذه ، ومجلس النواب خاضع لها ، والجامعات تخافها . وزعماء الإعلام وقواد الجيش يستسلمون لضغوطها^(٢٦) .

جماعات الضغط الإسرائيلية الصهيونية فى فرنسا

جرؤ الجنرال ديغول فى فرنسا على القول التالى : « يوجد فى فرنسا جماعات ضغط إسرائيلية يبدو تأثيرها واضحاً فى الإعلام ».^(٢٧) وقد أثار هذا القول عاصفة إعلامية آنذاك ، ولكنه كان تقييماً صادقاً إلى حد بعيد . ومنذ ذلك الحين ، لم يوجد أى مرشح فرنسى للرئاسة لم يذهب إلى إسرائيل . وقوة الجماعات الضاغطة الصهيونية ، تجسدها مجموعة LICRA (التجمع ضد العنصرية ومعاداة السامية) التى تتحكم بالإعلام بحرية تامة . وإن لم تزد أعداد اليهود عن ٢٪ من السكان ، إلا أن الصهيونية تتحكم بمتخذي القرار فى الإعلام ، التلفاز والمذياع والصحافة ، الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية ، والسينما ، وحتى نور النشر ، وخير دليل على هذا الوضع هو تعاطف الإعلام مع إسرائيل ، لدرجة أن عنف الضعيف يسمى إرهاباً ، وعنق القوى يدعى : « الكفاح ضد الإرهاب » . مثلاً ، حين يُقتل رجل مقعد على سطح باخرة « اخيلو لاورو » تقوم وسائل الإعلام ولا تقعد . أما حين تنتقم إسرائيل عن طريق القصف لتونس وتقتل خمسين شخصاً يعتبر هذا دفاعاً عن « القانون والنظام » .

وأود الآن تقديم شهادتى الشخصية ، فحتى عام ١٩٨٢ ، كان لى حق الطباعة فى أهم نور النشر ، وإجراء المقابلات وإدارة الحوارات فى التلفاز ، الإذاعة ، والصحافة ، وحين حدث غزو لبنان ، نشرت صفحة كاملة (دفعت ثمنها) فى مجلة لموند ، عدد ١٧ يونيو ١٩٨٢ ، ومعى الأب مايكل ليلونج والقس ماثيوت ، درسنا فيها معنى هذا الغزو وقيمناه ، مؤكدين على أن طبع إسرائيل ومنطقها الصهيونى هو سبب هذه العدوانية . وقد تلقيت تسعة تهديدات بالقتل . ورفعت مجموعة LICRA ضدنا قضية « لمعادتنا السامية والتحريض على العدوانية ضد اليهود » . وقد أكد محامينا أننا نفصل تماماً بين العقائد اليهودية ، والدولة الإسرائيلية ، وأن الكثير من اليهود قد انتقدوا غزو إسرائيل للبنان . وأكدنا أن سياسات إسرائيل اللإنسانية هى التى تؤدى بالكثيرين إلى معاداة اليهود ، ولذلك فإن تصارعنا مع الصهيونية إنما هو ضد معاداة

السامية . وقد ذكر المحلفين أن أحبار الدنيا بأسرها احتجوا على أفكار هرتزل إبان ظهورها . وأن الفلسطينيين اليوم إنما يحاربون غزواً لأرضهم تجسده المستوطنات الإسرائيلية .

وحين استمعت لمحامى LICRA يدعى معاداتى للسامية تذكرت وقوفى مع الوزير الإسرائيلى بارزىلى أمام حائط المبكى عام ١٩٧٠ وزيارتى لناعوم جولدمان (رئيس التجمع الدولى اليهودى) عام ١٩٦٧ . تذكرت أياماً قضيتها فى معسكرات النازى ، وأنا أعد المحاضرات لرفاقى المحبوسين معى ، بشأن « أنبياء إسرائيل » .

فى ١ يناير ١٩٨٩ . - استمعت للأخبار عن ثورة الحجارة : ٣٢٧ فلسطينياً قتلوا (أغلبهم أطفال يلقيون بالأحجار) وثمانية من صف إسرائيل (أغلبهم جنود ، يطلقون النار) . ثم أعلن الوزير الإسرائيلى : « سيحدث التفاوض فقط حين يتخلى الفلسطينيون عن العنف » هل كنت أحلم ؟ أم تم تخدير الروح الناقدة للعالم بأسره ؟ انتصار التفاهة على العقل .

ومنذ عام ١٩٨٩ ، أعلن الجنرال بيجول احتجاجه على سيطرة الصهاينة على الإعلام . وقد استطاع هذا التأثير الآن عكس المعانى تماماً ، حتى باتت مقاومة الضعيف إرهاباً ، واعتداء القوى « حرباً ضد الإرهاب » .

وقد وقفت المحكمة العليا ، فى قرار ٢٤ مارس ، ١٩٨٦ فى صفنا ، واعتبرت أننا كنا ننتقد إسرائيل ، ولا نسعى لخلق نزعة عنصرية . وقد طلب من LICRA أن تدفع تكاليف القضية . ثم استأنفت LICRA القضية للمحكمة العليا وخسرت الاستئناف أيضاً . وطلب القضاة منها أن تدفع التكاليف . ولو كنا قد خسرنا أى من القضيتين ، لتصدرت صورنا مع الاتهامات بمعاداة السامية الصفحات الأولى لكل مجلة فرنسية وأوروبية .

ولكن ، وبالرغم من الانتصار ، دفعت ثمناً باهظاً . منعت من الظهور فى التلفاز ، ورفضت مقالاتى . وقد نشرت أربعين كتاباً ترجمت إلى سبع وعشرين لغة قبل ذلك . بلغنى أن بعض دور النشر تلقت تهديدات بالمقاطعة الأمريكية لو نشروا كتبى ، ويعدم السماح لهم بحقوق الترجمة للأعمال الأمريكية . قال ناشر آخر

لمسئول النشر ، بعد أن وافق على نشر كتاب لي ، « لا أستطيع تقبل أى كتب لجارودى هنا » .

وهذه قصة دفن رجل حى .

وهكذا لم يسمح لنا بمقاومة دعايات لا يمكن تصديقها ، وحكم على بالموت الأدبى ، لأنى تجرأت على كتابة الحقيقة .

أسطورة ، المعجزة الإسرائيلية ، . التمويل الخارجى لإسرائيل

قدمت ألمانيا الكثير من المال لإسرائيل . وكان المفاوض من قبل إسرائيل ناحوم جولدمان قد وصف فى مذكراته ماتم بهذا الشأن :

فى بداية عام ١٩٥١ ، طلبت إسرائيل لأول مرة تعويضات من ألمانيا ، وكان قدرها بليون ونصف البليون دولار ، دفعت ألمانيا الغربية نصفها ، والشرقية النصف الآخر . واعتمد اختيار هذا القدر من المال على الأسس التالية :

تقبلت إسرائيل حوالى ٥٠٠٠٠٠ يهودى كانت تكلفة ضم كل منهم إلى المجتمع ٣٠٠٠ دولار . وبما أن إسرائيل أنقذت هؤلاء الضحايا من النازية ، فهى تطالب بهذا المبلغ باسم الشعب اليهودى . وفى الواقع ما كان هناك حق شرعى لهذا الطلب ، إذ لم توجد إسرائيل خلال فترة الحكم النازى .

بكثير من الشجاعة والكرم قبلت القيادات الألمانية بدء المفاوضات وهى مستعدة لدفع بليون دولار ، وإن وجد من اعترض عليها بشدة داخل الحكومة ، بين زعماء الأحزاب السياسية وفى عالم البنوك والصناعة . وبعد مفاوضات طويلة ، وافق الوفد الألمانى على دفع ثلاثة بلايين مارك ، وهو ربع المبلغ الذى طلبه الوفد الإسرائيلى . استمرت المفاوضات فى ٢ يوليو ووافقت إسرائيل على التنازل التالى : وهو تقديم ١٠ ٪ من خمسمائة مليون أخرى إلى ضحايا النازية من غير اليهود . وقد تم الاتفاق فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ فى لوكسمبرج . وساعدت هذه المعونات الألمانية الاقتصاد الإسرائيلى كثيراً . الخطوط الهاتفية ، القطارات ، البنية الأساسية للموانئ ، أجزاء

بأكملها من الصناعة والزراعة ما كانت لتتقدم بدون المعونات الألمانية . وأخيراً ، فإن مئات الآلاف من اليهود قد استلموا مبالغ جيدة بسبب قوانين التعويض الألمانية .^(٢٨)

وفى كتاب آخر من كتبه المعروفة ، يتحدث ناحوم جولدمان عن مفاوضات مع قيادات النمسا ، التى طلب منها دفع تعويضات لليهود . وقد أجابته تلك القيادات بأن سكان النمسا كانوا أيضاً من الضحايا ، فنكرها بما حدث فى قسبنا فى مارس ١٩٣٨ ، فوافقت على دفع ثلاثين مليون دولار . وبعد فترة عاد جولدمان وطلب ثلاثين مليوناً أخرى ، ثم أعاد الكرة مرة ثالثة ، وتحققت طلباته كل مرة

وقد وجدت مصادر أخرى للتمويل نتج عنها ما يسمى « المعجزة الإسرائيلية » فى ميدان الاقتصاد والتسلح . والواقع أن قيام الغرب بمد إسرائيل بالعتاد والسلاح ، جعلها أكثر قوة بكثير من الدول العربية المحيطة بها .

وباستثناء التعويضات ، تستفيد إسرائيل من مد لا ينضب من المعونات الأمريكية ، ناتج عن قوة مجموعات الضغط الإسرائيلية ، وكذلك تبرعات من يهود الشتات . والسيد بنحاس سايبير ، الذى كان وزيراً للاقتصاد ، كشف عام ١٩٦٧ فى القدس خلال مؤتمر أصحاب البلايين من اليهود أن إسرائيل قد استلمت بين ١٩٤٩ - ١٩٦٦ حوالى سبعة بلايين دولار^(٢٩) .

د . يلف هرزوج ، المدير العام فى مكتب وزير الخارجية ، قال فى تعريف هذه اللقاءات ما يلى : « نسعى لجلب الاستثمارات الأجنبية إلى بلادنا ولربط رأس المال اليهودى فى الخارج بالاقتصاد الإسرائيلى . نحاول أيضاً منع اليهود من الامتزاج بشعوب الدول التى يعيشون فى ظلالها » . وقد استفادت إسرائيل بالفعل من هذا النشاط الذى جلب لها بليون دولار كل عام .

ولكن المعونات الأكثر أهمية أتت من الدولة الأمريكية التى قدمت حوالى ثلاثة بلايين دولار كل عام . ونصف هذه المعونات تتكون من هدايا وديون سرعان ما تنسى . أما الديون المتبقية فتتزايد بسرعة وقد اقتربت الساعة من عشرين بليون دولار . أى حوالى ٥٠٠٠ دولار يناط دفعها بكل فرد من السكان .

(٢٨) Nahume Goldmann , " Autobiographie ", Pub . Fayard, Paris 1969.

(٢٩) " The Israeli Economist . September 1967 vol. 9 .

ومنذ موافقة الحكومة على قانون خاص بتصدير الأسلحة خارج الولايات المتحدة صارت أغلب المعونات تأتي في شكل سلاح .

ولمعرفة مقدار المعونات التي وصلت لإسرائيل ، يمكن تذكر أن خطة مارشال لمعونة أوروبا الغربية بين ١٩٨٤ - ١٩٥٤ وصلت قيمتها إلى ثلاثة عشر بليون دولار . بكلمات أخرى ، وصل لإسرائيل ، وسكانها من اليهود حوالي المليونين ، أكثر مما قدم لمنتهى مليون أوربي ، وهذا يعني أن كل مواطن إسرائيلي استلم مائة ضعف المواطن الأوربي .

يمكن المقارنة بين المعونات التي تستلمها إسرائيل ودول العالم الثالث ما بين عامي ١٩٥١ - ١٩٥٩ وهي لم تزيد على ٣ بلايين دولار ، بينما استلمت إسرائيل خلال الفترة ذاتها ٤٠٠٠٠٠٠٠ دولار أي أنها بالرغم من أن تعداد سكانها واحد من الألف في العالم الثالث ، استلمت عشر المجموع الكلي^(٢٠) .

ولكن إسرائيل لا تزال تريد المزيد . فهي تسعى لتكوين شبكة استثمارات عالمية تكون مركزاً لها . وقد قدم أحد طالبي الدكتوراه في التسعينات لجامعة باريس أطروحة تتناول « التمويل الخارجي لدولة إسرائيل »^(٢١) وهذا النص يوضح أنها اعتمدت سابقاً على تبرعات من اليهود في الشتات ، وإن باتت الآن تعتمد أكثر فأكثر على معونات الولايات المتحدة التي تفوق بليون دولار كل عام . وهكذا ، وفي عام ١٩٨٢ ، تمت الموافقة على تقديم سلاح بقيمة بليون دولار إلى إسرائيل ، ومسح نصف السعر فوراً ، وأضيف الباقي للديون . وتم تأجيل الدفع لحوالي عشر سنوات . والواقع أن إسرائيل لا تدفع شيئاً من هذه الديون ، فما تدفعه يضاف إلى المعونات المالية السنوية^(٢٢) .

من مصادر الدعم الاقتصادي لإسرائيل أيضاً الأسهم والسندات الإسرائيلية التي تباع غالبيتها العظمى في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتضاف بأرباحها السنوية

(٢٠) Goerge Corn , : Les Finances d' Israel " (lps. 1986)

(٢١) Jacques Bendelac " Les fonds Extérieurs d'Israel " Ed " Economica " Paris, 1982

(٢٢) T. Stauffier. Christian Science Monitor, December 20 th 1981

إلى الاقتصاد الإسرائيلي . وقد وصل إلى إسرائيل في الواقع حوالى أحد عشر بليون ونصف البليون دولار ما بين عامى ١٩٨٢ و ١٩٨٤^(٣٢)

وهكذا يبدو واضحاً أن إسرائيل تعتمد أكثر فأكثر ، ومنذ السبعينيات ، على تمويل من الولايات المتحدة .

وقد كتب البروفسور يشايهاو لبيوييتز من الجامعة اليهودية فى القدس ، فى كتابه « إسرائيل واليهودية » الذى نشر بالعبرية فى القدس عام ١٩٨٧ ما يلى :

نظامنا فاسد حتى النخاع للأسباب التالية :

١ (نفكر فى كل شىء حسب نظام الوطنية والدولة . (ص . ١٨٢) وإن باتت الدولة هدفاً فى حد ذاته ، لقلت أهمية الدين اليهودى . بل إننا نعتبر أن الشعور الوطنى هو سبب دمار الإنسانية . إن الدولة العبرية ليست دولة تملك جيشاً ، بل جيشاً يملك دولة .

٢ (دولتنا تعتمد كلياً على المعونات الأمريكية . وهكذا قد تنهار هذه الدولة إن توقفت المعونات (١٨٦) .

استنتاج

أولاً : بشأن استخدام الأساطير للتعبير عن النمو الإنسانى للبشرية . لقد طور الإنسان ، حتى قبل اكتشاف الكتابة ، التراث الشفهى الذى قد يصور أحداثاً حقيقية ، وإن كان هدفه تبرير الأسس التى يعتمد عليها التنظيم الاجتماعى ، النشاطات الثقافية ، مصادر القوة المتاحة للقيادات ، أو طموحات المجتمع المستقبلية.

وهذه الأساطير العظيمة تعود لفجر الإنسانية ، وتصف الأفعال الجريئة للأجداد الأسطوريين ، اللحظات المهمة حين أدرک الإنسان قواه ووظائفه ، رغبته فى تحسين أوضاعه عن طريق تجاربه وآماله متصوراً نفسه فى المستقبل حين ستتحقق أحلامه .

أما ما نسميه « التاريخ » فيكتبه المنتصرون ، أسياى الإمبراطوريات ، القواد الذين يدمرون الأرض ، الاقتصاديون الذين يبنون ثروات العالم .

الحركة الصهيونية تستخدم أساطير قديمة لتبرير سياساتها المعاصرة . انتقاد الاستخدام السياسى للكتب المقدسة لا يعنى البتة انتقاد هذه الكتب . تضحية النبى إبراهيم ، أو الخروج يبقيان رمزاً لسعى الإنسان وراء الحرية ، الخروج من العبودية والبحث عن الله والروح . ما ننتقده هو استخدام الصهاينة لهذه النصوص المقدسة ، التركيز على فكرة الشعب المختار ، التى تبرر مبدئياً جميع أنواع التسلط ، الاستعمار ، وقتل الناس .

وقد اعتمد هذا العمل على نصوص واقعية : ما كان الهدف منها الدعوة للحرب ضد إسرائيل ، بل تحويل القضية من الدين إلى السياسة . فالأرض المعنية محتلة ، وتبقى خاضعة للاحتلال بسبب موازين القوى . الهدف ليس إعادة كتابة التاريخ ، بل طلب تطبيق القوانين الدولية العادلة حتى لا نحيا حسب قوانين الغابة .

فى وضع الشرق الأوسط ، نطالب بتطبيق القرارات التى قدمتها الأمم المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، خصوصاً قرار ٢٤٢ ، الذى منع احتلال المزيد من الأرض ، وسرقة الثروات المائية ، والأراضى عن طريق الاستيطان الذى تحميه قوة

سلاح الجيش الإسرائيلي والمستوطنون . إن استمرار الاحتلال يجعل السلام صعباً ، لأن التعايش بين شعبين متساويين مستقلين بات مستحيلاً . وهذا السلام يرمز له مدينة القدس ، المقدسة ، التي يجدر بالأديان الثلاثة أن تحيا فيها معا .

في ذات الوقت ، فإن انتقاد أسطورة « المحرقة » ليس سعيًا لعد أرقام الضحايا . إن عذب فرد واحد من أجل جنوره أو عقائده ، فذلك سيبقى جرمًا ضد الإنسانية جمعاء . ولكن لا يحق لشعب أن يؤكد على معاناته للاضطهاد على حساب شعوب أخرى . التأكيد على محرقة اليهود قد يدفع بالفرد لتناسي مجازر الهنود الحمر ، واستعباد الشعوب الأفريقية ، وغيرها من جرائم الحكام القساة .

محاكم نيورمبورج التي قام بها المنتصرون في الحرب العالمية الثانية أسعدت الجميع ، فبات سهلاً على الأمريكيان تناسي الجرائم التي ارتكبوها ضد الهنود الحمر . لم يتذكر أحد حملات التطهير التي قام بها ستالين ، ونسى البريطانيون والفرنسيون ما ارتكبوه من جرائم أثناء الاستعمار . أما المنتصرون أكثر من غيرهم ، فكانوا الصهاينة الذين مثلوا دور الضحية ، وأنشأوا دولة إسرائيل . بالرغم من وفاة أكثر من خمسين مليون فرد خلال الحرب ، اعتبر الصهاينة أنهم الضحية الوحيدة التي عانت تسلط هتلر ، وهكذا اعتبروا نفوسهم أعلى من القانون .

لا أود الحديث عن صدق ما قاله الإعلام . ولكن توضيح الحقائق فحسب .

الهدف الأساسي لهذا الكتاب هو كشف الجرائم التي نتجت عن الأساطير الصهيونية ، التي سببت خمس حروب وهددت الأمن والسلام ، بتشجيع الولايات المتحدة الأمريكية بسبب ضغوط المجموعات الصهيونية وتأثيراتها على الرأي العام العالمي .

أخيراً ، كان من الضروري لنا - عن طريق تقديم المصادر والأدلة على ما ذكره - من فصل نفوسنا عن جميع عمليات التزوير التي تهدف لتشويه دين أو مجتمع ، وتؤدي هذه الطريقة إلى الكراهية والاضطهاد ، المثال المشهور هو « بروتوكولات حكماء صهيون » ، الذي تحدثت عنه في كتب سابقة ، وقد عثر هنري رولن على أحد النصوص التي زورها فون بليفن الوزير الروسي للداخلية في أوائل القرن العشرين .

(١) توجد وثيقة فرنسية كتبها عام ١٨٦٤ المؤلف موريس جولى ضد نابليون الثالث عنوانها : « نقاش فى الجحيم بين مونتسكو وميكافيللى » قدم فيه نقداً قاسياً للنظام التوسعى للإمبراطور الفرنسى .

(٢) توجد مقالة كتبها المهاجر الروسى ، الباسووين ، ضد سفير روسيا للاقتصاد ، الكونت د . ويت ، عنوانها : « إلى أين يقود السيد ويت روسيا » ١٨٩٥ وهو دراسة مسروقة من نص سابق انتقد السيد د . كالون ، وانتقد العلاقات بين وزير الاقتصاد والبنوك الدولية ، وهدف الهجوم كان نقد ويت الذى كرهه المؤلف .

من المؤسف أن هذا النص المزور انتشر (خصوصاً فى بعض الدول العربية) . وقدم للصهاينة والإسرائيليين خير عذر للدفاع عن سياساتهم الشرق أوسطية .

دعنا نلخص مايقدمه التاريخ النقدى بدون الاعتماد على الأساطير التى تهدف للدفاع عن سياسات بعينها .

بنى هتلر نفسه على الأساطير العنصرية ، وهاجم اليهود بعد أن دمر الشيوعية ، التى كان تدميرها هدفه الأساسى (وهى حقيقة جعلت الديمقراطيات الغربية تعاونه لمدة طويلة) . وقد اضطهد هتلر اليهود لسببين متعارضين : فأولاً ، اتهمهم بأنهم سببوا الثورة الروسية ، ويسعون للوصول إلى قلب أوربا ، وثانياً ، أنهم يمثلون الرأسمالية .

وقد قال الحزب الاشتراكى الوطنى إن « اليهودى لايمكن أن يكون مواطناً مخلصاً » .

وهكذا فقدت ألمانيا بعض أهم شخصياتها العلمية ، الثقافية ، والموسيقية ، لأن أصلهم يهودى . تجاهل هتلر بشكل متعمد الفوارق بين الدين والعرق . فى عام ١٩١٩ ، أعلن مايسميه « الحل الحاسم » : أى « التخلص من اليهود » . وهذا الهدف بقى معه حتى وفاته ، تماماً مثل الصراع ضد الشيوعية . وما إن وصل للسلطة حتى قام وزيره بعقد اتفاقية هافارا مع الصهاينة لنقل اليهود الألمان إلى فلسطين .

وبعد عامين أصدرت ألمانيا قانون « الدفاع عن طهارة الدم » ضد اليهود والمغاربة . وهذا القانون سمح بإبعاد اليهود من الخدمات المدنية ومن المواقع الهامة فى القطاع الخاص . ومنع التزاوج بين الأجناس ، وتم اعتبار اليهود أجنبى ، وازدادت حدة التفرقة عام ١٩٣٨ . وفى ٧ نوفمبر ١٩٣٨ قتل شاب يهودى يدعى جرنيسبان فون راث ، عاملاً فى السفارة الألمانية فى باريس . نتج عن هذا الحادث تدمير المتاجر اليهودية فى يومى ٩ - ١٠ نوفمبر ، ونهبها . ثم تدمير ونهب ٨١٥ متجرًا ، ١٧١ منزلاً و ٢٦٧ محفلاً و ١٤ مبنى آخر ، واعتقل ٢٠٠٠ يهودى ، و ٧ رجال بيض ، وثلاثة أجنبى .

وما كان هذا العنف رد فعل عفوى للشعب الألمانى ، بل برنامجاً منظماً للحزب النازى .

الحكومة رسمياً انتقدت هذا البرنامج . ولكن الواقع أن أوامر صدرت من مكتب جورنج ذاته تدعم العنصرية . الأول يقدم بعض التعويضات للجالية اليهودية ، الثانى يفصل اليهود عن الحياة الألمانية الاقتصادية ، والأخير يقرر أن شركات التأمين تدفع للدولة ، لا لليهود التعويضات لمن كان مؤمناً .

١ - يوجد توازن بين الأساليب التى استخدمت لاضطهاد اليهود فى ألمانيا والعرب . فى فلسطين عام ١٩٨٢ ، حدثت محاولة لاغتيال دبلوماسى إسرائيلى فى لندن . القيادات فوراً اتهمت منظمة التحرير ، احتلت أراضى لبنانية لتدمير القواعد الفلسطينية هناك ، مما أدى لقتل عشرين ألف فرد . بيجن وأريل شارون ، مثل جوبلز سابقاً ، انتقما عن طريق قتل أعداد كبيرة من الأبرياء .

وقد سعت إسرائيل باكراً لإشعال نار الطائفية فى لبنان . قال الجنرال موشى ديان ما يلى فى ١٦ يونيو ١٩٥٥ « كل ما نحتاجه هو العثور على شخص يدعم قضيتنا ، ويؤجج نار الطائفية فى لبنان . ثم يخلها جيشنا وتسير الأمور بخير بعد ذلك » .

وما يجعل الجريمة الإسرائيلية أكثر بشاعة هو أن سببها ليس منظمة التحرير . قدمت مرجريت تاتشر الأدلة على أن من ارتكب الجريمة كان من أعداء منظمة التحرير

إلى مجلس العموم البريطاني . وبعد اعتقال المنتبين ، قالت : « أراد هؤلاء الأفراد اغتيال رئيس منظمة التحرير في لبنان .. وذلك يثبت أن المهاجمين لم يدعموا منظمة التحرير . أما الهجوم الإسرائيلي على لبنان ، فاستخدم الاغتيال لتبرير الاعتداء » .

هذا الرفض للدعاية الإسرائيلية لم يلاحظه أحد في فرنسا ، التي بقي إعلامها يؤكد على أسطورة « الدفاع عن الذات » . واستخدامه لتبرير عنوان جديد .

أما الحرب ، مثل غيرها من الأعمال العدوانية ، فهي ترتبط بالعقائد الصهيونية . وقد قام الألمان بعد احتلال بولندا بإنشاء مواقع جمع اليهود فيها ، وتم التفكير بشكل جدي في نقلهم إلى مدغشقر عام ١٩٤٠ . وبعد احتلال أجزاء من الاتحاد السوفيتي ، قرر هتلر نقل اليهود من أوروبا إلى روسيا ، بل وأعلن عام ١٩٤٢ ، في ٢ يناير ، « لابد أن يهجر اليهود أوروبا ، أفضل حل لهم هو الرحيل إلى روسيا » .

مع تراجع القوات الألمانية من روسيا ، طلب هتلر أن يستخدم اليهود في العمالة . في مخيماتهم كانت الأوضاع سيئة لدرجة وفاة الآلاف منهم ، خصوصاً بعد انتشار التيفوس ، الذي تطلب تعقيم الثياب منه استخدام بعض الأفران . ثم نُقل اليهود لبناء طرق في ظروف صعبة أدت لوفاة عشرات الآلاف منهم .

وهذه الجريمة البشعة لا تحتاج لنيران المحرقة التي رسمتها الدعاية الصهيونية . ولا يحق كذلك نسيان خمسين مليون ضحية ماتت خلال الحرب ضد البربرية النازية .

لا يزال التقييم التاريخي غير تام . لأن الكثير من الملفات الألمانية لاتزال في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولابد من دراستها للتأكد من حقيقة ما حدث . والآن فقط بدأت المعلومات المتوفرة في روسيا بهذا الشأن بالظهور . ولكن من الضروري الفصل بين التاريخ والأسطورة . بات الآن من المؤكد أن رقم أربعة ملايين ضحية ماتت في مخيم أوسترتش غير دقيق . العدد الصائب كان مليوناً فحسب . فكرة الستة ملايين يهودي الذين قضى هتلر عليهم في حله الحاسم قلّت بكثير الآن . أما وفاة سبعة عشر مليون روسي وتسعة ملايين ألماني ، فهذه الأرقام لا تزال ، مع الأسف ، أقل أهمية بكثير .

ومن أجل تحقيق الهدف الصهيوني ، تم تجاهل حقائق التاريخ والعدالة . « الحل الحاسم » بات يعنى التصفية العرقية ، لا تهجير اليهود الأوربيين إلى أفريقيا أو روسيا .

من المؤسف أن الكثير من النصوص التاريخية بهذا الشأن لا تزال محرمة ، مناقشتها ممنوعة . لا يوجد أى أسلوب لانتقاد الهتلرية خير من كشف الحقائق . ولهذا الهدف كتبنا هذا الكتاب .

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

| | | |
|---|------------------------------|---|
| ١ - اللغة الطيا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد برويش |
| ٢ - الوثنية والإسلام | ك. مانهو ياتيكر | ت : أحمد فؤاد بليغ |
| ٣ - التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقي جلال |
| ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كارييتكوفا | ت : أحمد الحضري |
| ٥ - ثريا في غيبوبة | إسماعيل قصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦ - اتجاهات البحث اللساني | ميلكا إفييتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكي |
| ٨ - مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩ - التغييرات البيئية | أنطرو س. جودي | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠ - خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد معتمد عبد الجليل الأزدي وعمر علي |
| ١١ - مختارات | فيسوافا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢ - طريق الحرير | ديفيد براونستون وامرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣ - بيانة الساميين | روبرتسن سميت | ت : عبد الوهاب طوب |
| ١٤ - التحليل النفسي والأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن المودن |
| ١٥ - المركبات الفنية | إدوارد لويس سميت | ت : أشرف رفيق عفيقي |
| ١٦ - أشعة السوداء | مارتن برنال | ت : بإشراف / أحمد عثمان |
| ١٧ - مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوي |
| ١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة | جورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠ - قصة الطم | ج. ج. كراوثر | ت : يعنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح |
| ٢١ - خوخة وألف خوخة | سمد بهرنجي | ت : ماجدة العناني |
| ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد علي الناصري |
| ٢٣ - تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤ - ظلال المستقبل | باتريك بارنر | ت : بكر عباس |
| ٢٥ - مثوى | مولانا جلال الدين الرومي | ت : إبراهيم السوقي شتا |
| ٢٦ - دين مصر العام | محمد حسين فيكل | ت : أحمد محمد حسين فيكل |
| ٢٧ - التنوع البشري الخلاق | مقالات | ت : نضجة |
| ٢٨ - رسالة في التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩ - الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الدين |
| ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مانهو ياتيكر | ت : أحمد فؤاد بليغ |
| ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | جان سوفاجيه - كلود كلين | ت : عبد الستار الخطوبى / عبد الوهاب طوب |
| ٣٢ - الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمي |
| ٣٣ - التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية | أ. ج. هويكتز | ت : أحمد فؤاد بليغ |
| ٣٤ - الرواية العربية | روجر آن | ت : حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥ - الأسطورة والعداة | بول . ب . نيكسون | ت : خليل كلفت |

| | | |
|--|---|---------------------------------------|
| ٣٦ - نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | ت : حياة جاسم محمد |
| ٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها | بروجيت شيفر | ت : جمال عبد الرحيم |
| ٣٨ - نقد الحداث | ألن تورين | ت : أنور مفيت |
| ٣٩ - الإغريق والمسد | بيتر والكوت | ت : منيرة كروان |
| ٤٠ - قصائد حب | آن سكمتون | ت : محمد عبد إبراهيم |
| ٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية | بيتر جران | ت : عطف أحمد / إبراهيم قصى / مصد ملحد |
| ٤٢ - عالم ماك | بنجامين باربر | ت : أحمد محمود |
| ٤٣ - الذهب المزدوج | أوكتايفو پات | ت : المهدي أخريف |
| ٤٤ - بعد عدة أصياف | ألدوس مكسلي | ت : مارلين تانرس |
| ٤٥ - التراث المخور | روبرت ج دنيا - جون ف أ هالين | ت : أحمد محمود |
| ٤٦ - عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | ت : محمود السيد على |
| ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج١ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ت : ماهر جويجاتي |
| ٤٩ - الإسلام في البلقان | ه . ت . نوريس | ت : عبد الوهاب طوب |
| ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | ت : محمد بركة وشمس لليلد يوسف الأنكى |
| ٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية | داريو بيانوييا و. م بينيا ليمتى | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٢ - العلاج النفسى التبعي | بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر ميل | ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣ - الدراما والتنظيم | أ . ف . أنجتون | ت : مرسى سعد الدين |
| ٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح | ج . مايكل والتون | ت : محسن مصيلحي |
| ٥٥ - ما وراء الطم | جون بولكجهوم | ت : على يوسف على |
| ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود على مكى |
| ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى |
| ٥٨ - مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٩ - المعبرة | كارلوس مونييث | ت : السيد السيد سهيم |
| ٦٠ - التصميم والشكل | جوهانز ايتن | ت : صبرى محمد عبد الفنى |
| ٦١ - موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور - سميت | مراجعة وإشراف : محمد الجوهري |
| ٦٢ - لغة النص | رولان بارت | ت : محمد خير البقاعى . |
| ٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٢ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) | آلان وود | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | ت : عبد الطيف عبد الطيم |
| ٦٧ - مختارات | فرناندو بيسوا | ت : المهدي أخريف |
| ٦٨ - تناسخ المعجوز وقصص أخرى | فالتين راسبونين | ت : أشرف الصباغ |
| ٦٩ - العلم الإسلامى فى أول القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى |
| ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أرخينيو تشانج رودريجت | ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١ - السيدة لا تصلح إلا الرعى | داريو فو | ت : حسين محمود |

| | | |
|---|-------------------------------|--------------------------------|
| ٧٢ - السياسي العجوز | ت . س . إليوت | ت : قزاد مجلى |
| ٧٢ - نقد استجابة القارئ | جيم . ب . توميكنز | ت : حسن ناظم وعلى حاكم |
| ٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر | ل . ا . سيميتولا | ت : حسن بيومي |
| ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية | لندريه موروا | ت : أحمد درويش |
| ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي | مجموعة من الكتب | ت : عبد المقصود عبد الكريم |
| ٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٧٨ - العولمة : نظرية الاجتماعية والثقافة لكونية | رونالد روبرتسون | ت : أحمد محمود ونورا أمين |
| ٧٩ - شعرية التأليف | بوريس لومبنسكى | ت : سعيد الفانسي وناصر حلاوي |
| ٨٠ - بوشكين عند «نافرزة الدموع» | الكسندر بوشكين | ت : مكارم الفهرى |
| ٨١ - الجماعات المتخيلة | بنكت أندرسن | ت : محمد طارق الشرقاوي |
| ٨٢ - مسرح ميغيل | ميغيل دي أونامونو | ت : محمود السيد على |
| ٨٢ - مختارات | غوتفريد بن | ت : خالد المعالي |
| ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد | مجموعة من الكتب | ت : عبد الحميد شيحة |
| ٨٥ - منصور العلاج (مسرحية) | صلاح زكي أقطاي | ت : عبد الرازق بركات |
| ٨٦ - طول الليل | جمال مير صادق | ت : أحمد قنمى يوسف شتا |
| ٨٧ - نون والقلم | جلال آل أحمد | ت : ماجدة العناني |
| ٨٨ - الابتلاء بالتغريب | جلال آل أحمد | ت : إبراهيم السوقي شتا |
| ٨٩ - الطريق الثالث | لنتوني جيفز | ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين |
| ٩٠ - وسم السيف (قصص) | نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية | ت : محمد إبراهيم مبروك |
| ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربر الاسومسكا | ت : محمد هناء عبد الفتاح |
| ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح | | |
| الإسبانيون أمريكي المعاصر | كارلوس ميغيل | ت : نادية جمال الدين |
| ٩٣ - معنات العولة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | ت : عبد الوهاب طوب |
| ٩٤ - الحب الأول والصحة | سمويل بيكيت | ت : فوزية العشماوى |
| ٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني | أنطونيو بويزو بايخو | ت : سري محمد محمد عبد اللطيف |
| ٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة | قصص مختارة | ت : إينوار الخراط |
| ٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول) | فرنان برودل | ت : بشير السبامى |
| ٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز للصويوني | نماذج ومقالات | ت : أشرف الصباغ |
| ٩٩ - تاريخ السينما العالمية | ديفيد روبنسون | ت : إبراهيم قنديل |
| ١٠٠ - مساطة العولة | بول ميرست وجراهام تومبسون | ت : إبراهيم قنمى |
| ١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج) | بيرنار فاليت | ت : وشيد بنحو |
| ١٠٢ - السياسة والتسامح | عبد الكريم الخطيبى | ت : عز الدين الكتانى الإنريسي |
| ١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء | عبد الوهاب المزيب | ت : محمد بئيس |
| ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى | برتول بريشت | ت : عبد الغفار مكلوى |
| ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع | جيرار جينيت | ت : عبد العزيز شميل |
| ١٠٦ - الأدب الأندلسى | د. ماريا خيسوس روبييرامقى | ت : أشرف على دعور |
| ١٠٧ - صورة القواني في الشعر الأندلسى للعصر | نخبة | ت : محمد عبد الله الجعيدى |

| | | |
|--|--------------------------|---------------------------------|
| ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي | مجموعة من النقاد | ت : محمود على مكي |
| ١٠٩ - حروب المياه | جون بولوك وعادل درويش | ت : هاشم أحمد محمد |
| ١١٠ - النساء في العالم النامي | حسنة ميجوم | ت : منى قطان |
| ١١١ - المرأة والجريمة | فرانسيس هيندسون | ت : ريهام حسين إبراهيم |
| ١١٢ - الاحتجاج الهادئ | أرلين طوى ماكليود | ت : إكرام يوسف |
| ١١٣ - راية التمرد | سادى پلانت | ت : أحمد حسان |
| ١١٤ - مسرحيات هيلد كوتجى وسكان للمستعمر | رول شوينكا | ت : نسيم مجلى |
| ١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده | فرجينيا رولف | ت : سميرة رمضان |
| ١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) | سيتشيا تلسون | ت : نهاد أحمد سالم |
| ١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام | ليلي أحمد | ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال |
| ١١٨ - النهضة النسائية في مصر | يث يارون | ت : ليس النقاش |
| ١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق | أميرة الأزهرى سنيل | ت : بإشراف / رؤوف عباس |
| ١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط | ليلي أبو لغد | ت : نخبه من المترجمين |
| ١٢١ - الدليل الصغير في كتابة للمرأة العربية | فاطمة موسى | ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال |
| ١٢٢ - نظام العبيدية القديم ونموذج الإنسان | جوزيف فوجت | ت : منيرة كروان |
| ١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وملاحقتها العربية | نيتل الكسندر وفنادولينا | ت : أنور محمد إبراهيم |
| ١٢٤ - الفجر الكائن | جون جراي | ت : أحمد قزاد بليغ |
| ١٢٥ - التطويل الموسيقي | سيدريك ثورپ ديفي | ت : سمعه الخولي |
| ١٢٦ - فعل القراءة | فولكلنج إيسر | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٢٧ - إرهاب | صفاء فتحي | ت : بشير السباعي |
| ١٢٨ - الأدب المقارن | سوزان بامسنت | ت : أميرة حسن نويرة |
| ١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة | ماريا بولورس أسيس جارونه | ت : محمد أبو العطا وآخرون |
| ١٣٠ - الشرق يصعد ثانية | أنثريه جوندز فرائك | ت : شوقي جلال |
| ١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي) | مجموعة من المؤلفين | ت : لويس بقطر |
| ١٣٢ - ثقافة العمالة | مايك فينرستون | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٣٣ - الخوف من المرايا | طارق طي | ت : طلعت الشايب |
| ١٣٤ - تشریح حضارة | باري ج. كيمب | ت : أحمد محمود |
| ١٣٥ - المختار من ت. م. إليوت (ثلاثة أجزاء) | ت. م. إليوت | ت : ماهر شفيق فريد |
| ١٣٦ - فلاحو الباشا | كينيث كرونو | ت : سحر توفيق |
| ١٣٧ - منكرات ضابط في الصلة الفرنسية | جوزيف ماري مواريه | ت : كاميليا صبحي |
| ١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والصف | إيقلينا تاروني | ت : وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٣٩ - باريسيفال | ريشارد فاچنر | ت : مصطفى ماهر |
| ١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار | هربرت ميسن | ت : أمل الجبوري |
| ١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية | مجموعة من المؤلفين | ت : نسيم عطية |
| ١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل | أ. م. فورستر | ت : حسن بيومي |
| ١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي | ديريك لايدار | ت : علي السمرى |
| ١٤٤ - صاحبة الوكاندة | كارلو جولونتي | ت : سلامة محمد سليمان |

| | | |
|---|---------------------------------|----------------------------|
| ١٤٥ - موت أرتيميو كروث | كارلوس فوينتس | ت : أحمد حسان |
| ١٤٦ - الورقة الحمراء | ميجيل دي ليس | ت : علي عبد الرؤوف الجبى |
| ١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة | تاتكريد دورست | ت : عبد الظفار مكاوى |
| ١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) | إنريكي أندرسون إمبرت | ت : علي إبراهيم علي منوفى |
| ١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس | عاطف فضول | ت : أسامة إسير |
| ١٥٠ - التجربة الإغريقية | روبرت ج. ليتمان | ت : منيرة كروان |
| ١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى | نخبة من الكتاب | ت : محمد محمد الخطابى |
| ١٥٣ - فرام الفراغة | فيولين فانويك | ت : فاطمة عبد الله محمود |
| ١٥٤ - مدرسة فرانكفورت | فيل سليتر | ت : خليل كلفت |
| ١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر | نخبة من الشعراء | ت : أحمد مرسى |
| ١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى | جى أنبال وآلان وأرليت فيرمو | ت : مى التمساني |
| ١٥٧ - خسرو وشيرين | النظامى الكنجوى | ت : عبد العزيز بقوش |
| ١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ١٥٩ - الإيديولوجية | ديفيد هوكس | ت : إبراهيم فتحى |
| ١٦٠ - آلة الطبيعة | بول إيرليش | ت : حسين بيومى |
| ١٦١ - من المسرح الإسباني | البيخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا | ت : زيدان عبد الحليم زيدان |
| ١٦٢ - تاريخ الكنيسة | يوجنا الأسبوى | ت : صلاح عبد العزيز محبوب |
| ١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ | جوزيف مارشال | ت : بإشراف : محمد الجهرى |
| ١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) | جان لاكوتير | ت : نبيل سعد |
| ١٦٥ - حكايات الخطب | أ . ن أفانا سيفا | ت : سهير المصايفة |
| ١٦٦ - العلاقات بين للفنيين والطلبيين في إسرائيل | يشعياهو ليفمان | ت : محمد محمود أبو غدير |
| ١٦٧ - فى عالم طاغور | رايندرا نات طاغور | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة | مجموعة من المؤلفين | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٦٩ - إبداعات أدبية | مجموعة من المبدعين | ت : شكرى محمد عياد |
| ١٧٠ - الطريق | ميفيل دليبيس | ت : بسام ياسين رشيد |
| ١٧١ - وضع حد | فرانك بيجو | ت : هدى حسين |
| ١٧٢ - حجر الشمس | مختارات | ت : محمد محمد الخطابى |
| ١٧٣ - معنى الجمال | ولتر ت . ستيس | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء | ايليس كاشمور | ت : أحمد محمود |
| ١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية | لورينزو فيلشس | ت : وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية | توم تيتبيرج | ت : جلال البنا |
| ١٧٧ - أنطون تشيخوف | هنرى تروايا | ت : حمزة إبراهيم منيف |
| ١٧٨ - مختارات من الشعر اليهنى الحديث | نخبة من الشعراء | ت : محمد حمدى إبراهيم |
| ١٧٩ - حكايات أيسوب | أيسوب | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٠ - قصة جاويد | إسماعيل قصيح | ت : سليم عبدالأمير حمدان |
| ١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى | فمنست . ب . ليتش | ت : محمد يحيى |

| | | |
|--|----------------------------|--|
| ١٨٢ - العنف والنبوة | و . ب . بيتس | ت : ياسين طه حافظ |
| ١٨٣ - چلن كوكو على شاشة السينما | رينيه جيلسون | ت : فتحى العشرى |
| ١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تقام | هانز ايندورفر | ت : مسوى سعيد |
| ١٨٥ - أسفار العهد القديم | توماس تومسن | ت : عبد الوهاب طوب |
| ١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل أنور | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٧ - الأرضة | بُزْرَجْ علوى | ت : علاء منصور |
| ١٨٨ - موت الألب | اللين كرتان | ت : بدر الصيب |
| ١٨٩ - العمى والبصيرة | بول دى مان | ت : سعيد القانمى |
| ١٩٠ - محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت : محسن سيد فرجاني |
| ١٩١ - الكلام وأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت : مصطفى حجازى السيد |
| ١٩٢ - سياحت نامه إبراهيم بك جا | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ١٩٣ - عامل النجم | بيتر أبراهامز | ت : محمد عبد الواحد محمد |
| ١٩٤ - مقترحات من نقد الأدب - لبركى | مجموعة من النقاد | ت : ماهر شفيق فريد |
| ١٩٥ - شقاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ١٩٦ - المهلة الأخيرة | فالتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ١٩٧ - الفاروق | شمس الطماء شبلى النعمانى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ١٩٨ - الاتصال الجماهيرى | إدوين إمري وأخرون | ت : إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية | يعقوب لاندوى | ت : جمال أحمد الرافعى وأحمد عبد الحليم حاد |
| ٢٠٠ - ضحايا التنمية | جيرمى سيبروك | ت : فخرى لبيب |
| ٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | ت : أحمد الانتصارى |
| ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج١ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٢٠٣ - الشعر والشاعرية | الطاف حسين حالى | ت : جلال السعيد الحفناوى |
| ٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شارازر | ت : أحمد محمود هويدى |
| ٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافالى - سفورزا | ت : أحمد مستجير |
| ٢٠٦ - الهولوية تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | ت : على يوسف على |
| ٢٠٧ - ليل إفريقى | رامون خوتاسنديز | ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | ت : محمد أحمد صالح |
| ٢٠٩ - السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ |
| ٢١٠ - مقنويات حكيم سنائى | سنائى الفرنوى | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١١ - فرلينان دوسومير | جوناتان كتر | ت : محمود حمدي عبد الفنى |
| ٢١٢ - قصص الأمير مرزيان | مرزيان بن رستم بن شروين | ت : يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١٣ - سرقة قديم طليز فى رحلة القاهر | ريمون فلاود | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢١٤ - قواعد جبهة المنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيفنز | ت : محمد محمود محى الدين |
| ٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك جا | زين العابدين المراغى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | ت : أشرف الصباغ |
| ٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان | صمويل بيكيت | ت : نادية البنهاوى |
| ٢١٨ - رايمولا | خوليو كورتازان | ت : على إبراهيم على منوفى |

| | | |
|---|-------------------------|---|
| ٢١٩ - بقايا اليوم | كانو ايشجورو | ت : طلعت الشايب |
| ٢٢٠ - الهيولى في الكون | بارى باركر | ت : علي يوسف علي |
| ٢٢١ - شعرية كفاقي | جريجوري جوزدانييس | ت : رفعت سلام |
| ٢٢٢ - فرانز كافكا | رونالد جراي | ت : نسيم مجلى |
| ٢٢٣ - العلم في مجتمع حر | بول فيراينر | ت : السيد محمد نقادي |
| ٢٢٤ - نمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ت : منى عبد الظاهر ابراهيم السيد |
| ٢٢٥ - حكاية غريق | جابريل جارشيا ماركث | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى | ديفيد هريت لورانس | ت : طاهر محمد علي البريري |
| ٢٢٧ - المسرح الإيماني في القرن السابع عشر | موسى مارديا ديف يوركي | ت : السيد عبد الظاهر عبد الله |
| ٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩ - ملزق البطل الوحيد | نورمان كيمن | ت : أمير ابراهيم العمري |
| ٢٣٠ - من الذباب والفئران واليشر | فرانسواز جاكوب | ت : مصطفى ابراهيم فهمي |
| ٢٣١ - الدرافيل | خايمي سالوم بيدال | ت : جمال أحمد عبد الرحمن |
| ٢٣٢ - مابعد المعلومات | توم ستيفر | ت : مصطفى ابراهيم فهمي |
| ٢٣٣ - فكرة الاضمحلال | أرثر هيرمان | ت : طلعت الشايب |
| ٢٣٤ - الإسلام في السودان | ج. سينمر تريمنجهام | ت : فؤاد محمد عكرد |
| ٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١ | جلال الدين الرومي | ت : ابراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٣٦ - الولاية | ميشيل تود | ت : أحمد الطيب |
| ٢٣٧ - مصر أرض الوادي | روبير فيدين | ت : عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨ - العولة والتحرير | الانكتاد | ت : ياسر محمد جاد الله وعري مديولى أحمد |
| ٢٣٩ - العري في الأدب الإسرائيلي | جيلرافر - رايوخ | ت : نالية سليمان حافظ وايهاب صلاح فليق |
| ٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامي حافظ | ت : صلاح عبد العزيز محمود |
| ٢٤١ - في انتظار البرابرة | ك. م كويتز | ت : ابتسام عبد الله سعيد |
| ٢٤٢ - سبعة أنماط من الفموض | وليام إمبسون | ت : صبرى محمد حسن عبد النبي |
| ٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١) | ليفى بروفنسال | ت : مجموعة من المترجمين |
| ٢٤٤ - الغليان | لاورا إسكيبيل | ت : نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥ - نساء مقاتلات | إليزابيتا أنيس | ت : توفيق علي منصور |
| ٢٤٦ - قصص مختارة | جابريل جرشيا ماركث | ت : علي ابراهيم علي متوفى |
| ٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر | وولتر أرمبرست | ت : محمد الشرقاوي |
| ٢٤٨ - حقول مدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الطيم |
| ٢٤٩ - لغة التمزق | دراجو شتامبيوك | ت : رفعت سلام |
| ٢٥٠ - علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ت : ماجدة أباطة |
| ٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢ | جوردون مارشال | ت : بإشراف : محمد الجوهري |
| ٢٥٢ - رلندات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت : علي بدران |
| ٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيعينوف | ت : حسن بيومي |
| ٢٥٤ - الفلسفة | ديف روينسون وجودي جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥ - أفلاطون | ديف روينسون وجودي جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |

| | | |
|---|-------------------------------|-------------------------------|
| ٢٥٦ - ديكاكارت | فيف روينسون وجودي جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلي رايت | ت : محمود سيد أحمد |
| ٢٥٨ - الفجر | سير أنجوس فريزر | ت : عبادة كحيلة |
| ٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني | نخبة | ت : فاروچان كازانچيان |
| ٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢ | جوردون مارشال | ت : ياشراف : محمد الجوهري |
| ٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود | زكي نجيب محمود | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٦٢ - مدينة المعجزات | إرنارد مندوتا | ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن | جون جرين | ت : علي يوسف علي |
| ٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة | هوراس / شلي | ت : لويس عوض |
| ٢٦٥ - روايات مترجمة | أوسكار وايلد وصموئيل جونسون | ت : لويس عوض |
| ٢٦٦ - مدير المدرسة | جلال آل أحمد | ت : عادل عبد المنعم مويلم |
| ٢٦٧ - فن الرواية | ميلان كونديرا | ت : بدر الدين عروكي |
| ٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج٢ | جلال الدين الرومي | ت : إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ | وليم جيفور بالجريف | ت : صبري محمد حسن |
| ٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢ | وليم جيفور بالجريف | ت : صبري محمد حسن |
| ٢٧١ - الحضارة الغربية | توماس سي . باترسون | ت : شوقي جلال |
| ٢٧٢ - الأبيرة الأثرية في مصر | س. س. والترز | ت : إبراهيم سلامة |
| ٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط | جوان آر. لوك | ت : عنان الشهاوي |
| ٢٧٤ - السيدة بريارا | رومولو جلاجوس | ت : محمود علي مكي |
| ٢٧٥ - س. س. إبيد شامراً وثقافاً وكتباً سرخياً | أقلام مختلفة | ت : ماهر شفيق فريد |
| ٢٧٦ - فنون السينما | فرانك جوتيران | ت : عبد القادر التمساني |
| ٢٧٧ - الفجائن : الصراع من أجل الحياة | بريان فورد | ت : أحمد فوزي |
| ٢٧٨ - البدايات | إسحق عظيموف | ت : ظريف عبد الله |
| ٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية | فرانسيس ستونر سوندرز | ت : طلعت الشايب |
| ٢٨٠ - من الألب الهندي الحديث والمعاصر | بريم شند وآخرون | ت : سمير عبد الحميد |
| ٢٨١ - القربوس الأعلى | مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي | ت : جلال الحفناوي |
| ٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية | لويس ولبيوت | ت : سمير حنا صابق |
| ٢٨٣ - السهل يحترق | خوان روافو | ت : علي البمبي |
| ٢٨٤ - هرقل مجنوناً | يوريبيدس | ت : أحمد متمان |
| ٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي | حسن نظامي | ت : سمير عبد الحميد |
| ٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج٢ | زين العابدين المراغي | ت : محمود سلامة علاوي |
| ٢٨٧ - الثقافة والعمل والنظام العالمي | أنتوني كينج | ت : محمد يحيى وآخرون |
| ٢٨٨ - الفن الروائي | ديفيد لودج | ت : ماهر البطوطي |
| ٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامقاني | أبو نجم أحمد بن قوس | ت : محمد نور الدين |
| ٢٩٠ - علم اللغة والترجمة | جورج مونان | ت : أحمد زكريا إبراهيم |
| ٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١ | فرانشيسكو رويس رامون | ت : السيد عبد الظاهر |
| ٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢ | فرانشيسكو رويس رامون | ت : السيد عبد الظاهر |

| | | |
|--|---------------------------------|-------------------------------|
| ٢٩٢ - مقدمة للأدب العربي | روجر آلان | ت : نخبة من المترجمين |
| ٢٩٤ - فن الشعر | يوالو | ت : رجاء ياقوت صالح |
| ٢٩٥ - سلطان الأسطورة | جوزيف كامبل | ت : بدر الدين حب الله الديب |
| ٢٩٦ - مكبث | وليم شكسبير | ت : محمد مصطفى بدوي |
| ٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوريانية | ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني | ت : ماجدة محمد أنور |
| ٢٩٨ - منسأة العبيد | أبو بكر تفلوابليوه | ت : مصطفى حجازي السيد |
| ٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية | جين ل. ماركس | ت : هاشم أحمد فؤاد |
| ٣٠٠ - أسطورة برومثيروس مع ١ | لويس هورن | ت : جمال الجزيري و بهاء جاهين |
| ٣٠١ - أسطورة برومثيروس مع ٢ | لويس هورن | ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي |
| ٣٠٢ - فنجنشتين | جون هيتون وجودي جروفز | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٣ - بوذا | جين هوب ويورن فان لون | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٤ - ماركس | ريوس | ت : إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٥ - الجلد | كروزيو مالابارته | ت : صلاح عبد الصبور |
| ٣٠٦ - المساسة - النقد الكنتي لتاريخ | جان - فرانسوا ليوتار | ت : نبيل سعد |
| ٣٠٧ - الشعور | ديفيد باييتو | ت : محمود محمد أحمد |
| ٣٠٨ - علم الوراثة | ستيف جونز | ت : مملوح عبد المنعم أحمد |
| ٣٠٩ - الذهن والمخ | انجوس چيلاتي | ت : جمال الجزيري |
| ٣١٠ - يونج | ناجي هيد | ت : محيي الدين محمد حسن |
| ٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي | كولنجوود | ت : فاطمة إسماعيل |
| ٣١٢ - روح الشعب الأسود | وليم دي بويز | ت : أسعد حليم |
| ٣١٣ - أمثال فلسطينية | خابير بيان | ت : عبد الله الحميدى |
| ٣١٤ - الفن كعلم | جينس مينيك | ت : هويدا السباعي |
| ٣١٥ - جراسمى في العالم العربي | ميشيل بروندينو | ت : كاميليا صبحي |
| ٣١٦ - محاكمة سقراط | أ. ف. ستون | ت : نسيم مجلى |
| ٣١٧ - بلا غد | شير لايموفا - زنيكين | ت : أشرف الصباغ |
| ٣١٨ - الأدب العربي في العصور العشر الأخيرة | نخبة | ت : أشرف الصباغ |
| ٣١٩ - صور دريدا | جايتن ياسييفاك وكريستوفر نوريس | ت : حسام نايل |
| ٣٢٠ - لمة السراج لحضرة التاج | مؤلف مجهول | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع ٢، ٣) | ليفى برو فنسمال | ت : نخبة من المترجمين |
| ٣٢٢ - وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن العربي | دبليو. إيوجين كليفلاند | ت : خالد مقلح حمزة |
| ٣٢٣ - فن السانتورا | تراث يوناني قديم | ت : هاتم سليمان |
| ٣٢٤ - اللعب بالنار | أشرف أسدى | ت : محمود سلامة علاوى |
| ٣٢٥ - عالم الآثار | فيليب بوسان | ت : كريستين يوسف |
| ٣٢٦ - المعرفة والمصلحة | جورجين هابرماس | ت : حسن صقر |
| ٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة | نخبة | ت : توفيق على منصور |
| ٣٢٨ - يوسف وزليخة | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت : عبد العزيز بقوش |
| ٣٢٩ - رسائل عبد الميلاء | تد هيرز | ت : محمد عبد إبراهيم |

- ٢٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت
٢٢١ - عندما جاء السريين
٢٢٢ - رحلة شهر الصل وقصص أخرى
٢٢٣ - الإسلام في بريطانيا
٢٢٤ - لقطات من المستقبل
٢٢٥ - عصر الشك
٢٢٦ - متون الأهرام
٢٢٧ - فلسفة الولا
٢٢٨ - نظرات خاطرة وقصص أخرى من الهند
٢٢٩ - تاريخ الأدب في إيران ج-٢
٢٣٠ - اضطراب في الشرق الأوسط
٢٤١ - قصائد من ولك
٢٤٢ - سلمان وأبسال
٢٤٣ - العالم البرجوازي الزائل
٢٤٤ - الموت في الشمس
٢٤٥ - الركض خلف الزمن
٢٤٦ - سحر مصر
٢٤٧ - العبيبة الطلثون
٢٤٨ - القصيدة الأولى في الطب التركي جا
٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة
٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية
٢٥١ - مبادئ المنطق
٢٥٢ - قصائد من كفافيس
٢٥٣ - الفن الإسلامي في القدس (منسجة)
٢٥٤ - الفن الإسلامي في القدس (تبتية)
٢٥٥ - التيارات السياسية في إيران
٢٥٦ - الخيرات المر
٢٥٧ - متون هيرميس
٢٥٨ - أمثال الهوسا العامة
٢٥٩ - محاورات بارمنيدس
٢٦٠ - إنثروبولوجيا اللغة
٢٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة
٢٦٢ - تلميذ باينبرج
٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقي
٢٦٤ - حدائق شكسبير
٢٦٥ - سام باريس
٢٦٦ - نساء يركضن مع الذئب
٢٦٧ - القلم الجريء
- مارفن شبرد
ستيفن جرائ
نخبة
فيل مطر
آرثر سي. كلارك
ناتالي ساروت
نصوص قديمة
جوزايا رويس
نخبة
علي أصغر حكمت
بيرش بيرينجولو
واينر ماريا ولك
نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
تالين جورديمير
بيتر بلانجوه
بونه فدائي
رشاد رشدي
جان كوكتو
محمد فؤاد كوبرلي
آرثر والديون وآخرين
أقلام مختلفة
جوزايا رويس
قسطنطين كفافيس
باسيليو بابون مالدونالد
باسيليو بابون مالدونالد
حجت مرتضى
بول سالم
نصوص قديمة
نخبة
أفلاطون
أندريه جاكوب ونويلا ياركان
الان جرينجر
هاينرش شوبرال
ريتشارد جيسون
إسماعيل صراج الدين
شارل بودليير
كلاريسا بنكولا
نخبة
- ت : سامي صلاح
ت : سامية دياب
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمي
ت : فتحي العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الانتصاري
ت : جلال السعيد المفتاوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخري لبيب
ت : حسن حلمي
ت : عبد العزيز بقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال الجزيري
ت : بكر الحلو
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الانتصاري
ت : نعيم عطية
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : محمود سلامة علاوي
ت : بدر الرفاعي
ت : عمر الفاروق عمر
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : حبيب الشاروني
ت : ليلى الشرييني
ت : عاطف معتمد وأمال شاور
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبري محمد حسن
ت : نجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد
ت : مصطفى محمود محمد
ت : البراق عبد الهادي رضا

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٧٥٢ / ٢٠٠٢

يقدم هذا الكتاب مختارات من أدبيات كتبها مؤلفون غربيون - غالبيتهم من اليهود - لانتقاد الفكر الصهيوني، وكشف مخاطر استفحاله على يهود العالم، وعلى الحضارة الإنسانية ذاتها.

يتعرف القارئ العربي - من خلال قراءة هذا الكتاب - على رؤية المفكرين اليهود الذين انتقدوا الصهيونية في الغرب، وهي وجهة نظر جديدة؛ فبعبس ما هو شائع، يعتبر هؤلاء المؤلفون الصهيونية حركة إرهابية، يتهمونها بالتطرف والعنصرية في أفكارها الأساسية، وبمحاولة استغلال الغرب لضمان بقاء وأمن إسرائيل، وهناك أيضاً نقاشات بشأن قضية معاداة السامية، وازديادها بسبب عدوانية إسرائيل وما تمارسه من عنف ضد الفلسطينيين.